دراسات إسلامية

شطحات الصوفية

تأليف
الدكتور عبد الرحمن بدوي

الناشر
وكالة المطبوعات
٢٧ شارع فهد السالم - الكويت

دراسات إسلامية

— ٩ —

الدكتور عبد الرحمن بدوي

شطحات الصوفية

الجزء الأول

أبو يزيد البسطامي

الناشر
وكالة المطبوعات
٢٧ شارع فهد السالم - الكويت

فهرس الكتاب

النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي

المسلك الجلي في حكم شطح الولي

ملحق نصوص خاصة بالبسطامي

الشطح عند الصوفية

- ١ -

أباحَتْ دَمِي إذ باحَ قلبي بحبِّها ... وحَلَّ لها . في حُكْمِها . ما استحلَّتِ

وما كنتُ مِمَّن يُظهر السرَّ إنما ... عروسُ هواها في ضميري تجلَّتِ

فألقَتْ على سري أشعةَ نورها ... فلاحَتْ لجُلاَّسي خفايا طَوِيَّتي

فإن كنتُ في سُكْرِي شطحتُ فإنني ... حَكَمْتُ بتمزيق الفؤاد المُفَتَّتِ

ومن عَجَبٍ أن الذين أُحِبُّهم ... – وقد أعلَقوا أيدي الهوى بأعنَّة –

سَقَوْني وقالوا : لا تُغَنِّ ! ولو سَقَوْا ... جبالَ حُنَيْنٍ ما سقوني لغنَّتِ (١)

في هذا عذاب الصوفي : لقد توقَّل في معراج السلوك ففني عن كل ما سوى الله ، وتطهرت روحه من كل ما لا ينتسب إليه . فصار في حال فناء عن وجود السِّوى وشهود السِّوى وعبادة السِّوى . وتجلَّى له الحق لأول وهلة ، فلم يصبر على ما شاهد ، بل اندفع يصرخ وهو سكران بحُمَيَّا الرؤية : أنا أنت ! لقد فُضَّ له عن السرِّ الأكبر ، فلم يقو على حمل هذه الأمانة العظمى في باطنه ، ففاض لسانه بالترجمة عنها حتى يكون في هذا تصريف لما انطوت عليه من شحنة هائلة – وتلك ظاهرة الشطح . « فالشطح كلامٌ يترجمه اللسان عن وجدٍ يفيض عن معدنه ، مقرونٌ بالدعوى » (٢) .

---

(١) من قصيدة لعز الدين المقدسي (المتوفي سنة ٦٦٠ هـ = سنة ١٢٦٢ م) أوردها ماسينيون في « ديوان الحلاج » ، « المجلة الأسيوية » JA ، عدد يناير مارس سنة ١٩٣١ ص ١٣٢ – ص ١٣٣ .

(٢) السراج : « اللمع » ص ٣٤٦ ، نشرة ألن نيكلسون . ليدن سنة ١٩١٤ .

وهو « عبارة مستغربة في وصف وجدٍ فاض بقوّته وهاج بشدة غليانه وغلبته »[1].

الشطح إذن تعبير عما تشعر به النفس حينما تصبح لأول مرة في حضرة الألوهية ، فتدرك أن الله هي وهي هو . ويقوم إذن على عتبة الاتحاد . ويأتي نتيجة وجد عنيف لا يستطيع صاحبُه كتمانه ، فينطلق بالإفصاح عنه لسانُه . وفيه يتبين هذه الهويةَ الجوهرية فيما بين العبد الواصل والمعبود الموصول إليه . فيتحدث على لسان الحق ، لأنه صار والحقّ شيئاً واحداً ؛ ومن هنا ينتقل الخطاب إلى صيغة المتكلم بعد أن كان — في حال المناجاة — بصيغة المخاطب ؛ وفي حال الذكر بصيغة الغائب . لكن مَن المخاطِب ومن المخاطَب ؟ الأحرى أن يكون كلاهما واحداً ، ولذا لا يُفْتَرضُ هنا غيرٌ يتوجه إليه الخطاب ؛ وهذا هو الأصل في تحريم إذاعة ما يجري في النفس إبان هذه الحال . ومن أذاع فقد شطح . لكن هل كان في وسعه ألاَّ يذيع ؟ ذلك هو مأزق الصوفي : فشدة الوجد ترغمه على الإذاعة ، والمذاع سرّ بين العبد والرب . لأن التفرقة انتفت وصار اتحاد . ولهذا يمكن أن يقال إن الشطح سر للصوفي لا بد منه . هنالك تتخذ الكلماتُ عند النفس امتلاءها الخاص بحقيقتها الوقتية ، وتَسمع في باطنها أحاديث قُدسية ، ثم تُصْلح النفسُ لغتها وفقاً لتلك الأحاديث ؛ وعلى وصيد الاتحاد الصوفي تقف ظاهرةُ الشطح ، هذه الدعوة إلى التبادل ، فيُوزَع العاشقَيْن باستبدال كل منهما دوره بدور الآخر ؛ وتُرغَب النفس في التعبير ، « بصيغة المتكلم » ، ومن غير شعور منها بذلك ، عن مقاصد المحبوب نفسه ؛ وإن في هذا لأشد امتحانٍ لتواضعها ، وإنه لختم لاصطفائها »[2].

فالعناصر الضرورية لوجود ظاهرة الشطح هي : (أولاً) شدّة الوجد ؛

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧٥ .

(٢) ماسينيون : « بحث في أصول المصطلح الفني للصوفية المسلمين » ، ص ٩٩ . باريس سنة ١٩٢٢ .

و (ثانياً) أن تكون التجربة تجربة اتحاد ؛ و (ثالثاً) أن يكون الصوفي في حال سُكْر ؛ و (رابعاً) أن يَسمع في داخل نفسه هاتفاً إلهياً يدعوه إلى الاتحاد . فيستبدل دوره بدوره ؛ و (خامساً) أن يتم هذا كلّه والصوفي في حال من عدم الشعور . فينطق مترجماً عما طاف به متخذاً صيغة المتكلم وكأن الحقّ هو الذي ينطق بلسانه . أما الشطحة نفسها فتمتاز بعدة خصائص : منها أنها بصيغة ضمير المتكلم . وإن كان هذا الشرط غير متحقق باستمرار ؛ وأنها تبدو غريبة في ظاهرها . لكنها صحيحة في باطنها . أو على حدّ تعبير السّرّاج « ظاهرها مستشنع . وباطنها صحيح مستقيم [1] » ؛ ومن هنا تظهر بمظهر الدعوى العريضة الكاذبة .

فلنأخذ في بيان هذه العناصر بالتفصيل . أما شدة الوجد فلأن الاتحاد يقع — أول ما يقع — بعد وجد عنيف . ولهذا كانت حال الشطح تمتاز بالاضطراب . والحركة ، والانفعال الجامح . والسّراج يرد كلمة : « الشطح » من الناحية اللغوية إلى معنى الحركة فيقول : « إن الشطح في لغة العرب هو الحركة ؛ يقال شَطَحَ يَشْطَح : إذا تحرّك ... فالشطح لفظة مأخوذة من الحركة . لأنها حركة أسرار الواجدين إذا قوي وَجْدُهم فعبّروا عن وجدهم ذلك بعبارة يَستغرب سامعُها » [2] . والسر في هذا الاضطراب أن الانفعال يغلب على الوجدان فلا يقوى على احتماله . فيضطرب ويهتز ويتحرك بعنف . على أن الصوفية قد ميزوا مع ذلك بين نوعين من الواجدين : الواجد الساكن والواجد المتحرك . وحاولوا المفاضلة بينهما . فقال « قوم إن السكون والتمكن أفضل وأعلى من الحركة والانزعاج [2] » . وجاء أبو سعيد بن الأعرابي في كتابه «الوجد» فميز بين نوعين من الواردات في الأذكار فقال : إن « منها ما يوجب السكون . فالسكون فيها أفضل من الحركة ؛ ومنها ما يوجب الحركة ؛ فالحركة

---

(١) أبو نصر عبدالله بن علي السراج الطوسي : « اللمع في التصوف » ، ص ٣٧٥ ، نشرة ألن نيكلسون . ليدن ، سنة ١٩١٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٨ .

فيها أتم ؛ إذ حكمتها القهر لأهلها . فإذا لم يتقدّم بهذا القهر كان الوارد ضعيفاً في وروده . ولو ورد بحقيقته لأوجب ضرورةً الحركة [٢] » . وعلى هذا فالأمر يتوقف على نوع الوارد : فإن كان عنيفاً أدى إلى الحركة قسراً عن صاحبه . وإن كان هادئاً أدى إلى السكون . « فمن شرّف أهل السكون إنما شرّفهم بفضل عقولهم وشدة تمكنهم ؛ ومن فضّل المتحركين فضّلهم بقوة الوارد من الذكر الذي ينخنس (= يتخلف) دون فهم العقل . فكان أفضل لفضل الوارد . وإذا كان العقلان مستويين ليس أحدهما أفضل . فالساكن أتم . وهذا ما لا أحسبه يكون : أن يستوي رجلان أو عقلان أو واردان ؛ وقد أبى ذلك أهلُ العلم . وإذا بطل التساوي رجعنا إلى ما قلنا في أول المسئلة أن لا معنى لتفضيل الساكن على المتحرك ، ولا المتحرك على الساكن ، لاختلاف الحال الواردة التي توجب الحركة . والحال التي توجب السكون ... فليس الفضل هاهنا بالحركة ولا بالسكون حتى تُعلَم الحالُ الواردة على المتحرّكين وعلى الساكنين . فإن كانت الحال توجب سكوناً فلم تُسكِّن صاحبها ، فهو ناقص عن غيره ؛ وإن كانت توجب حركةً فلم تحركه ، دلّ ذلك على نقص وارده [١] » . وهذا تقرير أوفى على الغاية في الوضوح ودقة الفهم . وحاصله بالنسبة إلى موضوعنا أن هذا الوجد المفضي إلى الشطح يستلزم الحركة والاضطراب ، لقوة الوارد وغلبته على صاحبه .

لكن ما هي بواعث هذا الوجد ؟ دواعي الوجد عديدة . قال أبو سعيد بن الأعرابي أيضاً : « الوجدُ ما يكون عند ذِكْرٍ مُزْعِجٍ ، أو خوفٍ مُقْلِقٍ ، أو توبيخ على زلّة ، أو محادثة بلطيفة ، أو إشارة إلى فائدة ، أو شوق إلى غائب ، أو أسف على فائت ، أو ندم على ماضٍ ، أو استجلاب إلى حالٍ ، أو داعٍ إلى واجب ، أو مناجاة بسرّ . وهي مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسرّ بالسرّ ، واستخراج مالك بما عليك مما سبق لك لتسعى

---

(١) أبو نصر السراج : « اللمع » ، ص ٣٠٩ .

فيه : فيُكْتَبَ لك بعد كونه منك . فيُثبتَ لك قَدَم ٌ بلا قَدَم ، وذكر بلا بلا ذكر »(١) . وليس من شك في أن داعي الوجد بالنسبة إلى الشطح هو آخر ما ذكر من دواعٍ . وهو المناجاة بسرٍّ . هو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالبطن ، أي الشعور بالهوية فيما بين العبد الواصل والمعبود الموصول إليه . فيشعر بأن المعبود هو الباطن ، وأن العبد هو الظاهر ، فباطن العبد هو ظاهر المعبود ، وباطن المعبود هو ظاهر العبد ، فناسوتُ الله يُظْهِر سرَّ سنا لاهوته الثاقب ، كما يقول الحلاج . وقوله : « استخراج مالك بما عليك مما سبق لك لتسعى فيه » معناه أن تُسْتَخْرَجَ للعبد حقيقتُه الإلهية التي وُجِدَتْ وجوداً سابقاً ، وعليه وقد تبينها أن يسعى إلى الظفر بها من جديد ، وذلك «بما عليه» ، أي بأدائه ما يجب عليه من حقوق الرعاية وواجبات نحو الحق . هنالك يكتب له ما كان له ، أي يصير ويستحيل من الناسوت إلى اللاهوت ، فيتحقق الاتحاد بين كليهما ، أو بالأحرى يفنى الناسوت ولا يبقى ثَمَّ غيرُ اللاهوت لأنه هو الذي كان في الأصل . فيثبتُ له قَدَم بلا قدم ، أي يثبت له اللاهوت بدون الناسوت ؛ ويثبت له ذكر بلا ذكر ، أي يستحيل إلى الذكر نفسه بوصفه المذكور ، فلا يعود بعدُ في حاجة إلى الذكر ، إذ استغنى بالذكر المذكور عن الذكر الذاكر . فصار ذكراً (= مذكوراً) بلا ذكرٍ (= ذاكر) . بلا ذكرٍ (= ذاكر) . ومن هنا كان عنصر « السرّ » في الوجد المولّد للشطح من أبرز العناصر في تكوينه وتلوينه ؛ وسنتبين هذا المعنى بتمامه عما قليل . وإن كان داعيه المناجاةَ بسرٍّ ، فإن ثمت عوامل انفعالية مساعدة هي التي تولّد الجانب الحركي فيه ، لأن الأحرى أن يقال إن المناجاة بالسرّ هي السبب المباشر ، والسبب المباشر لا بد له من مقدّمات تمهّد له وتفضي إلى إيجاده . ومن هذه العوامل وأقواها الشوقُ إلى الاتحاد . فيحس العبدُ أن ثمت نار عطش تشتعل في جوفه ، عطش إلى الفناء في حضن الألوهية ؛ ومن هنا قيل إن الوجد «هو ، في الأحوال ، شعلة متأججة من نار العطش تستفيق لها الروحُ

---

(١) أورده السراج : « اللمع » ، ص ٣١٠ .

بلمع نور أزلي وشهود رفعي (١) ؛ » فيبدأ هذا الوجد بالتحرق عطشاً ، بزيد لهيبه لمعُ نور وارد من الحضرة تتنوّره الروح فتُلْيح إلى جناب الأزل وتشاهد نفسها وقد رُفِعَتْ إليه مقدّماً في تخيلها . فهنا شوق مشفوع بالرجاء : شوق إلى الاتحاد بالله ، ورجاء في تحقيق هذا الاتحاد بما يلوح له من نور يضيء منه عالم القدس ويطلع على ما في الغيب من الحقائق . لكنه مع ذلك رجاء كثيراً ما يبدو كالبرق الخُلّب ، خصوصاً في أول طريق الوجد ؛ إذ يلوّح له بقرب الطريق ، فيبادر مسرعاً فلا يجد شيئاً ؛ وكلما سنح له بارق ، جرى وراءه ؛ لهذا يهيم من بارق إلى بارق ؛ ولا ييأس ، وإلا توقف ؛ لأن البوارق متوالية . فإن أيس من أحدها فسرعان ما يجد الآخر من بعده . لذا لا تخلو أحوالهم ها هنا من حال القلق (٢) بكل ما ينطوي عليه من ضيق وكراهية للحياة وسقوط صبر وتوحّش عما سوى الله . وكل هذا من شأنه أن يزيد في الانفعالات المولّدة للوجد ، لأن هذه الأحوال كلها تمتاز بالعنف والتأجج وعرامة الحركة وقوة الاضطراب فيهـــا .

وإذا كانت درجة الشوق تتناسب مع مكانة الموضوع المشتاق إليه ، فأي شوق أقوى من الشوق إلى الاتحاد بالله عند الصوفي ؟! وهذا مما يزيد في فوران الوجد . فهو وجد" غايته الاتحاد بالله ؛ لهذا كان هذا عنصراً جوهرياً في تكوينه . والاتحاد بالله هنا يُقصد كاملاً . أعني أن يصير المحب والمحبوب شيئاً واحداً فعلاً : سواء في الجوهر والفعل ، أي في الطبيعة والمشيئة والفعل الصادر منها ، فتكون الإشارة إلى الواحد عين الإشارة إلى الآخر ؛ ثم تختفي الإشارة لانعدام المشير . فلا يصير ثمت غير واحد أحد هو الكل في الكل . وهنا يُفرّق بين الاتحاد والحلول على أساس أن الاتحاد هو شهود وجود واحد مطلق

---

(١) ضياء الدين الكمشخانلي : « جامع الأصول » ، ص ٣٥٧ ، القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ = سنة ١٩٢٠ .

(٢) راجع كتابنا : « الإنسانية والوجودية في الفكر العربي » ، ص ٨٢ – ص ٩٥ ، القاهرة سنة ١٩٤٧ .

بلمع نور أزلي وشهود رَفْعي »(١) ؛ فيبدأ هذا الوجد بالتحرّق عطشاً ، يزيد لهيبه لمْعٌ نور وارد من الحضرة تتنوّره الروحُ فتُليح إلى جناب الأزل وتشاهد نفسها وقد رُفِعَتْ إليه مقدّماً في تخيّلها . فهنا شوق مشفوع بالرجاء : شوق إلى الاتحاد بالله . ورجاء في تحقيق هذا الاتحاد بما يلوح له من نور يضيء منه عالم القدس ويطلع على ما في الغيب من الحقائق . لكنه مع ذلك رجاء كثيراً ما يبدو كالبرق الخُلّب . خصوصاً في أول طريق الوجد ؛ إذ يلوّح له بقرب الطريق ، فيبادر مسرعاً فلا يجد شيئاً ؛ وكلما سنح له بارق ، جرى وراءه : هذا يهيم من بارق إلى بارق ؛ ولا ييأس ، وإلا توقف ؛ لأن البوارق متوالية . فإن أيس من أحدها فسرعان ما يجد الآخر من بعده . لذا لا تخلو أحوالهم ها هنا من حال القلق (٢) بكل ما ينطوي عليه من ضيق وكراهية للحياة وسقوط صبر وتوحّش عما سوى الله . وكل هذا من شأنه أن يزيد في الانفعالات المولّدة للوجد ، لأن هذه الأحوال كلها تمتاز بالعنف والتأجّج وعرامة الحركة وقوة الاضطراب فيهـــا .

وإذا كانت درجة الشوق تتناسب مع مكانة الموضوع المشتاق إليه ، فأيّ شوق أقوى من الشوق إلى الاتحاد بالله عند الصوفي ؟! وهذا مما يزيد في فوران الوجد . فهو وجدٌ غايته الاتحاد بالله ؛ هذا كان هذا عنصراً جوهرياً في تكوينه . والاتحاد بالله هنا يُقصد كاملاً . أعني أن يصير المحب والمحبوب شيئاً واحداً فعلاً : سواء في الجوهر والفعل ، أي في الطبيعة والمشيئة والفعل الصادر منها . فتكون الإشارة إلى الواحد عين الإشارة إلى الآخر : ثم تختفي الإشارة لانعدام المشير . فلا يصير ثمت غير واحدٍ أحد هو الكل في الكل . وهنا يُفترق بين الاتحاد والحلول على أساس أن الاتحاد هو شهود وجود واحدٍ مطلق

---

(١) ضياء الدين الكمشخانلي : « جامع الأصول » ، ص ٣٥٧ ، القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ = سنة ١٩٢٠ .

(٢) راجع كتابنا : « الإنسانية والوجودية في الفكر العربي » ، ص ٨٢ - ص ٩٥ . القاهرة سنة ١٩٤٧ .

من حيث أن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد معدومة في نفسها . لا من حيث إن لما سوى الله وجوداً خاصاً يصير متحداً بالحق . أما الحلول فيقتضي شيئين وينقسم إلى قسمين : حلول سَرَياني ، وحلول جَرَياني ؛ والأول هو اتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد ، فيسمى السّاري حالاً والمَسْري فيه مَحلاً . أما الحلول الجرياني فهو عبارة عن أن يكون أحد الشيئين طرفاً للآخر مثل الماء للكأس . وابن تيمية يقسم كلاً من الاتحاد والحلول إلى قسمين : إذ كلاهما إما مطلق ، أو معين في شخص . فالمعين « كقول النصارى ، والغالية في الأئمة من الرافضة . وفي المشايخ من جُهّال الفقراء والصوفية ، فإنهم يقولون به في معنى : إما بالاتحاد — كاتحاد الماء واللبن ، وهو قول اليعقوبية ، وهم السودان من الحبشة والقبْط ، وإما بالحلول — وهو قول النّسطورية ، وإما بالاتحاد من وجه دون وجه ، وهو قول الملكانية . وأما الحلول المطلق — وهو أن الله تعالى بذاته حالٌ في كل شيء — فهذا تحكيه أهلُ السنة والسلفُ عن قدماء الجهمية ... وأما ما جاء به هؤلاء (يقصد الحلاج وابن سبعين والصدر الرومي الخ) من الاتحاد العام فما علمت أحداً سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة . وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق ، وأن وجود ذات الله ، خالقِ السموات والأرض ، هي نفسُ وجود المخلوقات . فلا يُتصور عندهم أن يكون الله تعالى خالق غيره ، ولا أنه ربُّ العالمين ، ولا أنه غني وما سواه فقير ؛ لكن تفرقوا على ثلاثة طرق ... (الأول) أن يقولوا إن الذوات بأسرها كانت ثابتةً في العدم ، ذاتُها أبديةٌ أزلية حتى ذوات الحيوان والنبات والمعادن والحركات والسكنات ، وأن وجود الحق فاض على تلك الذوات ، فوجودها وجود الحق وذواتها ليست ذوات الحق ؛ ويفرقون بين الوجود والثبوت : فما كنتَ به في ثبوتك ظهرتَ به في وجودك ... (الثاني) أن وجود المحدثات هو عين وجود الخالق ليس غيره ولا سواه ... (الثالث) أنه ما ثمّ غيرٌ ولا سوى بوجه من الوجوه ،

من حيث أن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد معدومة في نفسها . لا من حيث إن لها سوى الله وجوداً خاصاً يصير متحداً بالحق . أما الحلول فيقتضي شيئين وينقسم إلى قسمين : حلول سَرَياني ، وحلول جَرَياني : والأول هو اتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد . فيسمى السّاري حالاً والمَسْري فيه مَحَلاً . أما الحلول الجرياني فهو عبارة عن أن يكون أحد الشيئين طرفاً للآخر مثل الماء للكأس . وابن تيمية يقسم كلاً من الاتحاد والحلول إلى قسمين : إذ كلاهما إما مطلق . أو معين في شخص . فالمعين « كقول النصارى ، والغالية في الأئمة من الرافضة . وفي المشايخ من جُهّال الفقراء والصوفية ، فإنهم يقولون به في معنى : إما بالاتحاد — كاتحاد الماء واللبن ، وهو قول اليعقوبية ، وهم السودان من الحبشة والقِبْط ، وإما بالحلول — وهو قول النِّسطورية ، وإما بالاتحاد من وجه دون وجه ، وهو قول الملكانية . وأما الحلول المطلق — وهو أن الله تعالى بذاته حالٌّ في كل شيء — فهذا تحكيه أهلُ السنة والسلفُ عن قدماء الجهمية ... وأما ما جاء به هؤلاء (يقصد الحلاج وابن سبعين والصدر الرومي الخ) من الاتحاد العام فما علمت أحداً سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة . وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق ، وأن وجود ذات الله ، خالقِ السموات والأرض ، هي نفسُ وجود المخلوقات . فلا يُتصور عندهم أن يكون الله تعالى خالق غيره ، ولا أنه ربُّ العالمين ، ولا أنه غني وما سواه فقير ، لكن تفرقوا على ثلاثة طرق ... (الأول) أن يقولوا إن الذوات بأسرها كانت ثابتةً في العدم ، ذاتُها أبديةٌ أزلية حتى ذوات الحيوان والنبات والمعادن والحركات والسكنات ، وأن وجود الحق فاض على تلك الذوات ، فوجودها وجود الحق وذواتها ليست ذوات الحق ، ويفرقون بين الوجود والثبوت : فما كنتَ به في ثبوتك ظهرتَ به في وجودك ... (الثاني) أن وجود المحدثات هو عين وجود الخالق ليس غيره ولا سواه ... (الثالث) أنه ما ثَمّ غيرٌ ولا سوى بوجه من الوجوه ،

وأن العبد إنما يشهد السوى ما دام محجوباً . فإذا انكشف حجابه رأى أنه ما ثمّ غيرٌ وتبيّن له الأمر [1] » . وهذه الطرق الثلاثة هي طرق ابن عربي والصدر الرومي والعفيف التلمساني : فابن عربي يفرق بين الوجود والثبوت ؛ والموجود هو المتحقق . والثابت هو المعدوم الممكن الوجود ؛ فالأشياء كانت ثابتة في العدم منذ الأزل ثم فاض عليها الحق بوجوده . فوجودها وجوده . ولكن ذواتها ليست ذواته . فالاتحاد عند ابن عربي إذاً هو في الوجود . والاختلاف في الذوات . والصدر الرومي يرى أن الله هو الوجود المطلق والمعين معاً . فليس له وجود إلا وجود المخلوقات نفسها ؛ وإذن فلا يوجد لله وجود غير وجود الكائنات . على أن كُلاًّ من ابن عربي والصدر الرومي قد أشار إلى شيئين ، وإن كاد الرومي أن يقضي على كل تفرقة ؛ أما العفيف التلمساني فهو الذي أوفى على الغاية في الاتحاد فجعل مذهبه أنه ما ثم غير ولا سوى بوجه من الوجوه ؛ فقضى نهائياً على فكرة السّوى والأغيار . وابن سبعين يعدّ أقرب إلى التلمساني منه إلى ابن عربي والصدر الرومي .

ولن نستطيع أن نقصر الشطح على نوعٍ واحدٍ من هذه الأنواع المختلفة للاتحاد . وإلا لكان في ذلك تضييق لمعناه لا مبرر له . ولذا نرى أن الاتحاد في هذا الباب يمكن أن يفهم على أية صورة من تلك الصور التي أوضحناها . لكن يمكن أن يقال إن درجات الشطح تتناسب تناسباً طردياً مع درجات الاتحاد أو الحلول — ونقول الاتحاد أو الحلول لأن كليهما صالح لإيجاد ظاهـــرة الشطح .

وأهمية فكرة الاتحاد في تكوين أو تكييف عملية الشطح كبيرة . خصوصاً في تفسير الشطحيات التي تعبّر عن تساوي الأديان كلها — سماوية وغير سماوية — بالنسبة إلى الصوفي . فالأديان عنده متساوية لأن الوجود واحد ؛ والوجود هو الله ؛ فكلها إذن من الله . وبالنسبة إلى الله تنتفي كل تفرقة .

وثالث العناصر في تكوين ظاهرة الشطح أن يكون الصوفي في حال سُكْرٍ .

---

(١) ابن تيمية : « مجموعة الرسائل والمسائل » ، ص ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ .

وهي حال يؤكدها الآخذون بمذهب الشطح والمنكرون له : الأولون لأن المعاينة لا تتم في طريق السلوك إلا بعد ورود وارد قوي يغلب على السالك فيغيب عن إحساسه . وهذا هو السكر : وهذا الوارد هو أن يكاشف بنعت الجمال . فتطرب روحه وينتشي فؤاده أقوى انتشاء . ويقول بها المنكرون حتى يتلمسوا المعاذير فيرفضوا هذه الشطحات . ولهذا نرى ابن تيمية – عدو الصوفية اللدود – يقول إن « بعض ذوي الأحوال قد يحصل له في حال الفناء القاصر سُكْرٌ وغيبةٌ عن السِّوى . – والسكر وجدٌ بلا تمييز – . فقد يقول في تلك الحال : سبحاني ! أو : ما في الجبة إلا الله – أو نحو ذلك من الكلمات التي تؤثر عن أبي يزيد البسطامي أو غيره من الأصحاء . وكلمات السكران تطوى ولا تروى ولا تؤدى » (١) : وعلى هذا فلا يؤخذ بها . وإذن يجب رفضها . كما ترفض كلمات السكران بالطعام أو الشراب . كذلك نجد عبد القادر الجيلاني يرى أنه إذا كانت هذه الكلمات الشطحية صادرة عن الصوفية « في حال الصحو فهو من الشيطان الذي لا حكم له . إذ لا يحكم إلا على ما تلفظ (به) في حال الصحو ؛ وأما الغيبة فلا يقام (في المخطوط : يدام) عليها (ص : عليه) حكمٌ » (٢) . وواضح أن رأي هؤلاء الخصوم لا يمكن أن يقام له وزن عند من يرى أن الشطح ظاهرة صوفية سليمة . وأن الكلمات الشطحية لا تقل في صدقها عن الكلمات التي تصدر في حال الصحو . فلا دخل للصحو أو السكر في تحديد القيمة الذاتية لهذه الكلمات ؛ وإلا أخطأنا فهم هذه الظاهرة الممتازة . وهؤلاء الخصوم خلطوا – عن قصد – بين السكر الروحي والسكر الجسماني .

إنما يقصد بالسكر هنا انتشاء الروح بمكاشفة الحق لها بسرّه وبأنه هو هي وهي هو . فتطرب أشد الطرب لاكتشاف هذه الحقيقة : فسكرها إذاً شدة غبطتها بمعرفة سرّ وجودها . وهو أن وجودها هو وجود الله أو أنها هي الله .

---

(١) ابن تيمية : « مجموعة الرسائل والمسائل » ج ١ ، ص ١٦٨ .

(٢) مجموع رسائل وتعليقات وتقييدات ؛ مخطوط برقم ١٢٤٢ فاتيكان عربي ؛ ورقة ٤٣ ب .

أو أنه ليس ثمّ إلا الله – وفقاً لاختلاف أنواع الاتحاد كما رأينا . وإذاً فلا مدخل في هذا السكر للهذيان أو الوساوس الشيطانية أو الهلوسة والتخليط وما يلابس السكر الجسماني .

وإذن فليس لأولئك الخصوم أن يتهموا السكر وما ينتج عنه من شطحيات بأنه هذيان لا يؤخذ به الصوفي ولا يلام عليه . إنما هو عين الحق في نظر الصوفي الحق . وابن تيمية كان من الخبث بحيث أوهم بالتشابه بين السكر الجسماني والسكر الروحي من حيث قيمةُ الصدق في كليهما ؛ والحق أنه لا وَجْه للشَّبَه بينهما إلا في مقدار اللذة التي ينعم بها السالك والشارب . وعبد القادر الجيلاني كان من السذاجة أو الرغبة في المداراة – شأنه دائماً في كل مذهبه ؛ ففيه ترض ظاهر لمن يدعون أنهم أهل السنة – بحيث ادّعى أن هذه الكلمات الشطحية لو صدرت في حـال الصحو لعُدّت من وساوس الشيطان ؛ وهو بهذا يريد – عن قصد أو غير قصد – أن يضع من شأنها ، لا على أساس ما سيفعله الآخرون ممن لا يأخذون عليها إلا إفشاء السر بدون إذن من الحق ، بل بسبب أنها من قبيل لَمَمِ المنزوفين من فرط الخُمار .

ماذا يقع في هذا السكر ؟ قلنا إن سببه هو مكاشفة الحق للروح بسرّ الاتحاد . وهذه المكاشفة على هيئة طائف أو هاتف يأذن لها أن تستبدل بدورها دوره ؛ فتتحدث عن لسانه ، ويعلن لها أنه يبادلها حُبّاً بحب ؛ وأن الآنيّة قد رفعت بينهما ، فصارا شيئاً واحداً . وهذا هو العنصر المميز الخاص في هذا الجانب من التصوف عند المسلمين . فأحوال الوجد وطلب الاتحاد والسكر كلها توجد في أنواع التصوف الأخرى ؛ أما هذا التبادل في الأدوار بين العبد والحق والإذن له بالتعبير بصيغة المتكلم فهو العنصر الجديد حقاً في التصوف الإسلامي . ويمكن تفسيره على أساس أن الهوّة وقد بعدت كل البعد بين الله والعبد – والتصوف هو المحاولة المضادة للتقريب بينهما – قد اندفع فأوغل في الطريق إلى الطرف المقابل تماماً . الأطراف في تماس ، والتطرف في جانب لا يمكن أن يعالج إلا بالتطرف في الجانب المضاد . أما وقد جاءت الشريعة بالعلو في الفارق بين

المخلوق والخالق ، فلتأت الحقيقة والطريقة بالغلو في التوحيد بين العبد والمعبود . ولهذا لم نجد هذه الظاهرة – ظاهرة الشطح – في التصوف المسيحي مثلاً ، لأن فكرة التوسط تلعب منذ البداية دورها الخطير في التقريب بين الله وبين المخلوقات ؛ والتجسد هو أظهر تعبير عن هذا التوسط بحيث كان من عقائد المسيحية الرسمية الجوهرية اتحادُ اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح ؛ لهذا لم يكن للصوفي المسيحي أن يتطرف في جانب الاتحاد [1] ؛ وكان اتحاده بالألوهية دائماً عن طريق هذا الوسيط ، المسيح ؛ كما يلاحظ من ناحية أخرى أن فكرة التوسط هذه قد جعلت من غير الممكن قيام صلة مباشرة بين العبد والرب عند المسيحي ، بل لا بد من المرور بالوسيط ، أعني المسيح . أما في الإسلام فالصلة مباشرة بين العبد والرب ، فإن تَمَّ اتحادٌ تم بطريق مباشر . لقد حمل المسيح عن المسيحيين مؤونة هذا الاتصال المباشر والاتحاد المطلق ، أما في الإسلام فعلى كل مسلم أن يقوم بهذا الفعل الهائل من تلقاء نفسه ؛ لهذا كان من الطبيعي أن يقف الصوفي المسيحي عند وصيد الألوهية دون أن يفنى في حضنها ، إذ المسيح يحجبه دائماً عنها ، وأن يدخل الصوفي المسلم في قلبها فيفنى فيها معلناً أن بقاءه إنما هو في هذا الفناء . وهنا قد يقال في الرد على هذا : إن اليهودية تتصور الفارق بين المخلوق والخالق على نفس النحو الذي يتصوره الإسلام ، فلماذا لم يقل صوفيتها بالشطح أو ما في معناه ؟ والجواب عن هذا يسير ، وهو أن فكرة اليهودية عن الله كانت من الإرهاب بحيث لم تُعْطِ الصوفي اليهودي الثقة بنفسه بحيث يتطلع إلى الاتحاد المطلق بالألوهية . لأن إله إسرائيل إله جبار منتقم يرسل الصواعق والطوفان ، وبالنسبة إلى هذا الإله تنتفي معاني الأنس والحب والقرب وما يطوف بها من معانٍ هي وحدها التي تشجع المرء على الاقتراب من الحضرة ؛ بينما إله المسلمين رحمن ، رحيم ، ودود ، يحب

---

(١) راجع الملاحظات القيمة التي أبداها جلسون في كتابه « اللاهوت الصوفي عند القديس برنار » ص ١٤٢ – ص ١٥٦ ، باريس ، ط ٢ سنة ١٩٤٧ Et. Gilson : *La Théologie mystique de Saint Bernard*

المؤمنين ويحبونه ، إلى آخر كل هذه الأوصاف التي تنطوي على مغريات الأنس به وبالقرب منه والحبّ له والشوق إلى الاتحاد به ، بل والفناء فيه .

هذه المنزلة التي يبلغها الصوفي حين إعلان تبادل الأدوار هي منزلة التوحيد . وهي « أن لا يُشْهِدك الحق إياك[1] » أي لا يطلعك على وجودك . بل يطلعك على وجودٍ واحد ما عداه غير موجود ؛ فتفنى أنت عن وجود ذاتك . وبالأحرى عن وجود كل موجود آخر سوى الله ؛ وتخرج عن جميعك . وفي هذا يقول الشبلي : « لا يتحقق العبد بالتوحيد حتى يستوحش من سره وحشةً لظهور الحق عليه »[2] . هنالك لا يخطر بباله شيء آخر غير الحق : « فالشواهد عن سرّه مصروفة . والأعواض عن قلبه مطرودة ؛ فلا شاهد يشهده . ولا عوض يعبده . ولا سرّ يطالعه . ولا برّ يلاحظه ؛ هو في حقه محجوب . وفي حظه عن حظه مسلوب . فلا نصيب له في نصيب . وهو مأسور في أوفر النصيب ، والحق أوفر نصيب »[3] . فيكون ثمت توحيد للحق ذاته . وكما يقول صاحب « جامع الأصول » إن التوحيد « في الأحوال : شهود الحب من الحق بالحق للحق ذوقاً ؛ وفي الولايات : الفناء عن رسوم الصفات في الحضرة الواحدية وشهود الحق بأسمائه وصفاته لا غير ؛ وفي الحقائق : الفناء في الذات مع بقاء رسم الخفاء المستور بنور الحق المشعر بالاثنينية المثبت للخلق »[4] . على أن هذا الشرط الأخير — أعني بقاء رسم الخفاء المستور بنور الحق المشعر بالاثنينية المثبت للخلق — لا وجود له عند القائلين بوحدة الوجود ؛ والمؤلف الذي نقل عنه صاحب « جامع الأصول » إنما وضع هذا الشرط حرصاً منه على نفي معنى وحدة الوجود عن مذهبه . لهذا

---

(١) الكلاباذي : « التعرف لمذهب أهل التصوف » ، ص ١٠٣ ، نشرة آربري . القاهرة سنة ١٩٣٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٤) ضياء الدين الكمشخانلي : « جامع الأصول » ، ص ٣٦٨ . القاهرة سنة ١٩١٠ .

يجب أن نستقطه في هذا الباب هنا . والخلاصة إذن أن التوحيد الذي يلقنه الصوفي في حال السكر هو شهود الحق في ذاته لذاته ، وفناء الذات الخاصة في ذات الألوهية ، وأنه ما ثمّ إلا الله : فوجود العبد وجود الرب . والعكس ؛ ولهذا يمكن أن يُنْسَب إلى العبد ما ينسب إلى الرب من صفات وأسماء . والصوفية ، الذين لا يرون هذا التوحيد . لا يمكن أن تُنْسَب إليهم ظاهرة الشطح . ذلك أن خصوم وحدة الوجود من الصوفية « أنكروا هذا التوحيد ، وقالوا بغلبة المشهود على الشاهد ، واستتار وجود الشاهد بنوز المشهود مثل استتار الكواكب في ضياء الشمس واختفاء صورة الحديد المُحْماة وكونها في صورة النارية الغالبة عليها » . ولكن القائلين بوحدة الوجود « يردون هذا القول بما يردون به قول أهل الظاهر ، ويقولون : هذا ذوق من لم يصل إلى درجة الفناء التام ولم يُقَوّوا سلوكهم . فبقوا قاصرين ... ولم يشعروا أن فيما ذهبوا إليه رائحة الحلول . كما يدل عليه تمثيلهم بالحديدة المحماة . فإن التجلي — قبل أن يفني التعيُّن فناءاً تاماً ويُمْحى الرَّسْمُ محواً كاملاً — يرى الشاهدُ وجودَه وأنانيته باقياً ، والمشهود قد استولى على وجوده بعضَ الاستيلاء مع بقاء الاثنينية بين الشاهد والمشهود ؛ فهذا لا يخلو من الحلول ... وأما إذا كمل التجلي ، فنيت الأنانية فناءاً تاماً ثم بقيت ببقاء المشهود . إذ يرى نفسه في طور آخر ، ويجد ذاته وجداناً صريحاً سارياً في الكل ومحيطاً بالكل ، بل يجدها عين الكل »[1] .

والصوفي إذا بلغ هذه المرتبة لأول مرة يبدأ يأخذ صفة العارف . فإن العارف يكون بمشهد الحق « إذا بدا الشاهدُ وفني الشواهدُ وذَهَبَ الحواس[2] ؛ » . ولهذا فإن المعرفة تصدر عن الشطح . والشطحات إنما تصدر من أهل المعرفة . فإن علامة العارف ، أولَ دخوله في المعرفة . الشطحُ ؛ ومن لم يبلغ مرتبة

---

(١) رسالة في الوحدة الوجودية لبهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي (المتوفي سنة ١٠٣١ هـ = ١٦٢١ م) في « مجموعة الرسائل » نشرها محي الدين الكردي ، ص ٣٢٠ — ص ٣٢١ . القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠ .

(٢) الكلاباذي : « التعرف لمذهب أهل التصوف » ، ص ١٠٤ .

الشطح لا يصح أن يُسْلَكَ في عِداد العارفين بالمعنى الصحيح ، وإن كان الناس قد توسعوا في معنى العارف فلم يشترطوا فيه المرور بدور الشطح ؛ ولكننا نحسب أن هذا التوسع هو من عدم التدقيق . ذلك أن المعرفة بالمعنى العالي الدقيق هي التوحيد ؛ والمرء لا يبلغ منزلة التوحيد إلا في حال السكر وما يتلوها . والسكر يقتضي بالضرورة الشطحَ ؛ فالشطح إذن مرحلة ضرورية في طريق التوحيد : أعني في تحقيق المعرفة وبالتالي في تكوين صفة العارف عند السالك .

ولقد أشرنا في حديثنا عن السكر إلى أن هذه الأحوال كلها ، التي تواكب الشطح أو تهيىء له ، تتم في حالٍ من عدم الشعور ؛ ونحن نقصد بالشعور هنا التفكير المنطقي ؛ وإذا كانت الأحوال الصوفية كلها لا تنتسب في حقيقة أمرها إلى البرهان ، بل إلى العيان والذوق ، وبالتالي تقع بمعزل عن الشعور ، فإن هذا يصدق في المقام الأول على الأحوال النفسية المرتبطة بظاهرة الشطح . وإلى أعلى درجة ؛ لأن حال السكر هي العصب الرئيسي لكل تلك الأحوال . وهي حال تجري في جوّ من عدم الشعور إلى أبعد حدّ ممكن في الطريق الصوفي ؛ فمن هنا كان عدم الشعور عنصراً قوياً في تحديد الأحوال اللازمة للشطح .

— ٢ —

وبهذا كله نكون قد أتينا على وصف ظاهرة الشطح من حيث أحوالها النفسيةُ المولّدةُ لها والمساعدةُ على وجودها . وبقي أن ننظر في تقدير الصوفية لها . فنرى الجرجاني في « تعريفاته » يقول إن « الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى ؛ تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب . وهو زلّات المحققين ؛ فإنه دعوى حقّ يفصح بها العارف لكن من غير إذن إلهي (1) » . وفي هذه العبارة الأخيرة نشاهد الرأي الغالب عند متأخري

---

(1) الشريف الجرجاني : « التعريفات » ، تحت مادة : شطح .

الصوفية والكتاب عامة ممن لا ينكرون هذه الظاهرة في ذاتها ، ولا يستشنعون الكلمات الشطحية ، بل يرون أن الخطأ الوحيد فيها هو أن أصحابها يفصحون بها دون إذن إلهي . وأصحاب هذا الرأي إنما يريدون التوفيق بين الاعتراف بصحة الشطحيات وبين إنكار ما يدل عليه ظاهرها مما استبشعه أهل السنة وخصوم الصوفية . ولهذا جاء رأيهم هذا غامضاً ، لأنه لا معنى لقولهم : « دون إذن إلهي » — إذ أن أولئك الذين باحوا بهذه الأسرار لم يشعروا بأنهم أذاعوا أسراراً محرَّمة . كما أنهم جعلوا كل الشطحيات تندرج تحت هذا ، ونقصد بالشطحيات كل الكلمات التي تتصف بالخصائص التي أوردناها في أول هذا البحث ؛ فلم يذكر هؤلاء الكتاب أن ثمت كلمات من هذا النوع قد أُذِنَ بها ، وأن أخرى غيرها لم يؤذن بها ؛ بل كل ما وجدوه مما يخالف المألوف عدُّوه شطحاً ، وإذاً فلا معنى لهذا القول : « دون إذن إلهي » إلا إذا كان قد تم الإذن بالنسبة إلى كلمات من نفس النوع ؛ أمّا وهذا لم يحدث ، فقولهم هذا غير مُحَصَّل ؛ وما لجأوا إليه إلا من باب الاعتذار عن تلك الكلمات دفاعاً عن أصحابها ضد الفقهاء وخصوم الصوفية .

ولعل السبب في هذا الدفاع على هذا النحو ما شاهده الصوفية أنفسهم بعد عهد الحلاّج من خطر يتهددهم إذا أوغلوا في الشطح . فمن باب الأمن على أنفسهم آثروا أن يلتزموا الصمت في هذا الباب إذا وردت عليهم واردات من قبيل الشطحات . فمصير الحلاج إذن كان أبلغ عبرة لهم في هذا الباب .

بالسر إن باحوا تُباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تُبـاح

وليس من المستبعد أن يكون الشبلي هو أول من نبه الصوفية إلى وجوب عدم الإباحة بهذه الأسرار ، لأنه — وقد كان صديق الحلاج الحميم ، وشاهد مصيره فأثر في نفسه أبلغ تأثير وأعمقه — آثر ، طمعاً في السلامة ، أن يدخل هذه الفكرة ويدعو هذه الدعوة . ومن هنا يذكر المؤرخون عن الشبلي هذه الكلمات التي تعبر عن هذا المعنى تمام التعبير . قال الشّبلي : « أنا والحلاج في

شيء واحد . فخلصني جنوني وأهلكه عقله [1] » . وفي هذا القول الغريب نرى الشبلي يعترف عن نفسه بجبنه . فجنونه هو جبنه عن التصريح بما شاهد وعاين ، وما لقنه إياه الحق ، وعقل الحلاج هو إذاعته ما كاشفه به الحق في تجليه عليه ، وفي العبارة ، فضلاً عن ذلك ، مفارقة ظاهرة قد توهم السخرية والتهكم ، لكنه في الواقع قد أراد هـــذا المعنى بظاهر حروف ألفاظه . وقال أيضاً : « كنتُ أنا والحسينَ بن منصور شيئاً واحداً . إلا أنه أظهر وكتمتُ [2] » .

على أن هذا كله لا يدل مطلقاً على أن الصوفية كلهم قد أخذوا بدعوة الشبلي هذه . إنما كل ما نريد أن نقوله هو أنه لعل الشبلي هو أول من تنبه إلى وجوب عدم إذاعة هذه الكلمات . وإلا فالمتأخرون عنه قد أوفوا على السابقين في هذا الباب ، وإن اتسمت عباراتهم بالتصنع مما يدل على الرغبة في التقليد وعلى عدم الإخلاص في صدورها عنهم كما هي الحال بالنسبة إلى الجيلاني والرفاعي .

إنما كان الصوفية – إلى ما قبل الحلاج – ينطقون بالكلمات الشطحية في غير تحرُّج ولا تحرُّز ، لأنه لم يكن للسلطان الخارجي بعدُ تأثيرٌ عليها . أما منذ قضية الحلاج فقد بدأ الصوفية يتبينون ما سيترتب على أقوالهم من نتائج عملية لا بد لمن يؤثر العافية منهم أن يحسب لها ألف حساب . ولعل هذا يسمح لنا بتاريخ تفسير الجنيد (المتوفي سنة ٢٩٨ هـ = سنة ٩١٠ م) لشطحيات أبي يزيد البسطامي ، وهو التفسير الذي أورد لنا صاحب « اللمع » طرفاً منه [3] . فأقوال الحلاج قد بدأت تشغل الرأي العام حوالي سنة ٢٩٠ هـ ، وإن كانت القضية لم تتخذ صورة رسمية إلا سنة ٣٠١ هـ (= سنة ٩١٣ م) . لكن كان

---

(١) ماسينيون : « مجموع نصوص لم تنشر خاصة بالصوفية المسلمين » ، ص ٧٩ ، باريس سنة ١٩٢٩ .

(٢) الموضع نفسه .

(٣) أبو نصر السراج : « اللمع » ، ص ٣٨٤ – ص ٣٨٩ .

مصيره معروفاً مقدماً . لهذا نظن أن الجنيد قد اندفع في ذلك الحين إلى تفسير شطحيات أبي يزيد حتى يبرّىء أبا يزيد لأنه كان من المعجبين به ، بحيث يمكن تأريخ تفسير الجنيد هذا بالفترة ما بين ٢٩٠ إلى ٢٩٨ ، وبخاصة في سنواتها الأخيرة لمّا أن اشتعلت مسألة الحلاج اشتعالاً كافياً .

وإذن فقضية الحلاج هي التي أثارت مشكلة الشطحيات إثارة قوية عنيفة نجد أصداءها المفصلة في كتاب « اللمع » . الذي كان قريب عهد بها ، لهذا كرّس للشطح والشطحيات فصولاً طوالاً ، فيها دافع عنها . وما كان له أن يدافع بهذه الحرارة إلا لأنه كان حديث عهد بالجو الملتهب الذي أثارته بمناسبة قضية الحلاج . ويظهر أن المشكلة قد خبا أُوارها في الربع الأخير من القرن الرابع . أو هذا على الأقل هو ما يمكن أن يستخلص من صمت أبي بكر الكلاباذي (المتوفي سنة ٣٨٠ أو ٣٩٠ هـ) في كتابه « التعرف » عن الشطحيات : ذكراً لها أو دفاعاً أو تبريراً . وقد يفيدنا هذا في تأريخ كتاب « اللمع » (توفي السراج سنة ٣٧٨ هـ) بأن نجعله أُلِّف في حدود سنة ٣٥٠ هـ ، إن لم يكن قبل هذا .

— ٣ —

وهذا يقودنا إلى الحديث عن تاريخ الشطحيات . فنرى أن الصُّوَر الأولى لها نجدها عند ابن أدهم وعند رابعة العدوية ؛ ثم تتخذ أول صورة واضحة كل الوضوح عند أبي يزيد البِسْطامي (المتوفي سنة ٢٦١ هـ = سنة ٨٧٥ م) ؛ ثم يفصل الحلاج القول فيها . ويحللها تحليلاً نفسياً موغلاً في العمق ؛ والشبلي يشير إليها مراراً . « وبعد الشبلي تندر أحوال الشطح في التصوف الإسلامي ؛ وينحدر مستواها . فالشطحيات المنسوبة إلى الجيلاني والرفاعي وابن عربي لا تكاد تبين إذا قورنت بشطحيات أسلافهم الكبار . وسَوْرَة الكبرياء التي تستشف عند البسطامي والتُّسْتَري تقودهم إلى الإفصاح بعبارات صبيانية إلى درجة مؤسفة : « قدمي على عنق جميع الأولياء » ، « أنا عرش الله » ، الخ . وهم في محاولتهم الاحتفاظ بالفارق بين العلو الإلهي ، الذي لا يمكن بلوغه ،

وبين عباداتهم – ترضياً وخضوعاً منهم للفقهاء – ، قد راحوا يتقمصون لأنفسهم بزيادة الغرور والكبرياء . على الأقل بأن يجدوا أنفسهم فوق مستوى الآخرين » (١) .

تلك صورة إجمالية رسمها ماسينيون لتاريخ الشطحيات . فلنأخذ نحن في تفصيلها .

أما رابعة فالكلمات التي وردت إلينا عنها مما يندرج في باب الشطح لا تعد بعد من الشطح إلا في معناه ؛ أما في صورته – أعني التحدث عن الله بضمير المتكلم – فليس لدينا من نوعه شيء . إنما هي أقوال ظاهرها مستشنع وباطنها مستقيم . وكلها تتعلق بالتوحيد والتجريد وزيادة المعنى الروحي أو وضعه مكان المعنى المادي فيما ورد به الشرع ؛ ولهذا هي أدخل في باب التجديفات منها في باب الشطحيات ؛ وهي عند خصومها من مكر الله الخفيّ بها .

فهي في سبيل تجريد الحجّ من معناه الحسّي قالت عن الكعبة لما حَجّت – ولعل ذلك لآخرة مرة – : « هذا الصنمُ المعبود في الأرض ! وإنه ما وَلَجَه الله ولا خلا منه » (٢) . وابن تيمية – بطريقته الحادّة الجافة – يرى أن هذا القول كذبٌ على رابعة ؛ ثم يأخذ في الرد عليه على أساس أن البيت العتيق « لا يعبده المسلمون ؛ ولكن يعبدون ربّ البيت بالطواف به والصلاة إليه » ؛ وأما أنه « ما ولجه الله ولا خلا منه » – فأما « ما ولج الله فيه – فكلام صحيح ؛ وأما قوله : « ما خلا منه » – فإن أراد أن ذاته حالّة فيه أو ما يشبه هذا المعنى فهو باطل ، وهو مناقض لقوله ما ولج فيه ؛ وإن أراد به أن الاتحاد ملازم له لم يتجدد له ولوجٌ ، ولم يزل غير حالٍّ فيه . فهذا مع أنه كفر وباطل يجب أن لا يكون للبيت مزية على غيره من البيوت » (٣) . وتكذيب ابن تيمية هذا القول على

(١) ماسينيون : « بحث في أصول المصطلح الفني للصوفية المسلمين » : ص ٩٩ – ص ١٠٠ . باريس سنة ١٩٢٢ .

(٢) ابن تيمية : « مجموعة الرسائل والمسائل » ، ج ١ ص ٦٢ ، وص ٨٠ . القاهرة سنة ١٣٤١ .

(٣) الموضع السابق ، ص ٨١ .

أساس أنه ليس لرابعة لم يُقَمْ على أساس تاريخي ، إنما على أساس عقلي هو استحالة نسبته إلى رابعة لأنها كانت عابدة مؤمنة . وهو قول دالٌ على الكفر . ولهذا لا يُعْتَدّ هنا بقوله إن هذا القول كذبٌ على رابعة ، ما دام لم يَبْنِ ذلك على أسباب من الأسانيد التاريخية ؛ والسبب العقلي الذي ذكره ينقضه ما ينسب إليها من أقوال أخرى — كما ترى — تستوجب من ابن تيمية التكفير أيضاً .

وهي كذلك في سبيل تجريد معنى العذاب الحسّي في النار تصرخ قائلة : « يا ربّ ! أما كان لك عقوبة ولا أدبٌ غيرُ النار ؟! » [1] فهي توجه نوعاً من اللوم إلى الله على أنه لجأ إلى هذه الوسيلة الحسية في التعذيب ، وكانت تودّ لو أنه ارتفع بالعذاب إلى معنى روحي خالص . مثل شقاء الضمير وما إليه . على أن لهجتها هنا خفيفة لو قيست بقولها الآخر الذي أورده المناوي [2] فقال عن رابعة : « وسَمِعَتْ قارئاً يقرأ : « إن أصحاب الجنة اليوم في شُغُل فاكهون » — فقالت : مساكين أهل الجنة ! في شغل هم وأزواجهم ! » فالتفسير الشائع لقوله تعالى : « فاكهون » هو أنهم يفضون الأبكار اللواتي منحهم الله إياهن في الجنة ، لهذا نفرت من هذا المعنى الحسي الشهواني نفوراً شديداً فقالت تلك العبارة القاسية التي أزعجت رجلاً مثل ابن عربي — على الرغم مما له مما يشابه هذا — فعاب عليها هذه المقالة وقال : « إنها ما عرفت ، وإنها المسكينة . فإنما شغلهم إنما هو بالله . قال : وهذا مكر الله الخفيّ بالعارفين في تجريح الغير ببادي الرأي والتعريض في حق نفوسهم . إنهم مُنَزَّهون عن ذلك » [3] . وفي هذا نرى ابن عربي يسمي هذا بالمكر الخفي ، لا بالشطح . والحق أن هذه الأقوال وما إليها لا تنطبق عليها شروط الشطح بتمامها . لكننا نجد فيها مع ذلك صورةً أولية لما سيكون عليه الشطح الحقيقي من بعد .

(١) عبد الرؤوف المناوي : «طبقات الأولياء» ، ورقة ١٠٥ أ ، مخطوط الظاهرية ، رقم ٤١٦٤ عـام .

(٢) الموضع السابق ، ورقة ١٠٥ ب .

(٣) عبد الرؤوف المناوي : « طبقات الأولياء » ، ورقة ١٠٦ أ . مخطوط الظاهرية بدمشق ، رقم ٤١٦٤ عـام .

إنما نجد الشطح الحقيقي لأول مرة عند أبي يزيد البَسطامي في القرن الثالث للهجرة . فعنده يتخذ الصورة الأصلية لهذه الظاهرة . أعني التحدث بصيغة المتكلم . والأقوال التي تروى عنه في هذا الباب مختلفة . « لاختلاف الأوقات الجارية عليه فيها . ولاختلاف المواطن المتداولة بما خص منها . فكلٌّ يحكي عنه ما ضبط من قوله . ويؤدي ما سمع من تفصيل مواطنه » . كما قال الجنيد [1] الذي شرح طائفة من هذه الشطحات وحللها بحيث ينفي ما يوهمه ظاهرها . إذ رأى أن الحال القصوى التي بلغها أبو يزيد قد أفضت به إلى التفوه بعبارات قل من يستطيع فهمها ويعرف معناها ويُدْرِك مستقاها . ومن لم يسبر غورها يردُدْها وينكرها . وأبو يزيد قد نطق بهذه المعاني التي « غَرَّقته على تارات من الغَرَق كل واحدٍ منها غيرُ صاحبها » [2] . ويلوح أن هذه الكلمات قد أحدثت في النوّ ما كان ينتظر لها من ضجة شديدة . فاختلف الناس حولها مختصمين : ففريق أيدها على ظاهرها واتخذ منها سنداً لما يذهب هو إليه . وفريق آخر اعتقد في قائلها الكفر . والرأي عند الجنيد أن « الجميع قد غلطوا فيما ذهبوا إليه » . سواء الذهاب إلى ما يوحي به ظاهر معناها من تأييد . وإنكـــارُه .

ويحسن بنا أن نبدأ ببيان هذه الشطحات . أما ما أورده السراج في «اللمع» فهـــو :

١ — « ذكر عن أبي يزيد أنه قال : رَفَعني (أي الله) مرةً فأقامني بين يديه وقال لي : يا أبا يزيد ! إن خلقي يحبُّون أن يروك . فقلتُ : زيِّني بواحدانيتك . وألْبِسني أنانيتَك . وارفعني إلى أحديتك . حتى إذا رآني خلْقُك قالوا : رأيناك — فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك » [3] .

---

(١) السراج : « اللمع » ص ٣٨٠ ، نشرة نيكلسون .

(٢) الكتاب السابق ، ص ٣٨١ .

(٣) الكتاب السابق ، ص ٣٨٢ .

٢ — « وقد حكي أيضاً عنه أنه قال : أولَ ما صِرْتُ إلى وحدانيته ؛ فصرتُ طيراً جسمه من الأحديَة ، وجناحاه من الديمومية . فلم أزل أطير في هواء الكيفية عشر سنين حتى صرتُ إلى هواء مثل ذلك مائةَ ألفِ مرة . فلم أزل أطيرُ إلى أن صرتُ في ميدان الأزلية ، فرأيت فيها شجرة الأحدية — ثم وصف أرضَها وأصلها وفرعها وأعضاءها وثمارها ثم قال — : فنظرتُ فعلمتُ أن هذا كله خُدْعة » (١) .

٣ — « وقد ذكر عن أبي يزيد أيضاً أنه قال : أشرفتُ على ميدان الليسية . فما زلتُ أطير فيه عشر سنين حتى صرتُ مِنْ لَيْس َ في لَيْس َ بلَيْس َ . ثم أشرفتُ على التضييع حتى ضِعْتُ في الضياع ضياعاً ؛ وضِعْتُ فضِعْتُ عن التضييع بليس في ليس في ضَياعة التضييع ، ثم أشرفتُ على التوحيد في غيبوبة الخلق عن العارف ، وغيبوبة العارف عن الخلق » (٢) .

٤ — « قال الشيخ رحمه الله (= أبو نصر السراج) : سمعتُ ابن سالم يقول في مجلسه يوماً : فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد رحمه الله لأن فرعون قال : أنا ربكم الأعلى . والرب يُسمّى به المخلوق فيقال : ربُّ دارٍ وربُّ بيتٍ ؛ وقال أبو يزيد رحمه الله : سُبْحاني ! سبحاني ! وسُبُّوح وسُبْحان اسم من أسماء الله تعالى الذي لا يجوز أن يسمّى به غير الله تعالى » (٣) .

٥ — وسمعتُ (= السّراج) ابنَ سالمٍ أيضاً وهو يحكي في مجلسه عن أبي يزيد رحمه الله أنه قال : ضربتُ خيمتي بإزاء العرش — أو — عند العرش » (٤) .

٦ — « وكان (= ابن سالم) يقول أيضاً إن أبا يزيد — رحمه الله — اجتاز بمقبرة اليهود فقال : معذورون . ومرّ بمقبرة المسلمين فقال : مغرورون » (٤) .

---

(١) الكتاب السابق ، ص ٣٨٤ .

(٢) السراج : « اللمع » ، ص ٣٨٧ .

(٣) الكتاب السابق ، ص ٣٩٠ .

(٤) الكتاب السابق ، ص ٣٩١ .

ونضيف إليها ما ورد في المصادر الأخرى :

٧ — (وقال أبو يزيد يخاطب الله) : « كنتَ لي مرآةً فصرتُ أنا المرآة » [١] .

٨ — « قال أبو يزيد : أشرف الحق على أسرار العالم فشاهدها خاليةً منه ، غيرَ سِرّي فإنه رأى منه ملاءاً فخاطبني معظّماً لي بأن قال : كل العالم عبيدي غيرك » [١] .

٩ — « طاعتك لي يا رب أعظم من طاعتي لك » [٢] .

١٠ — « بطشي أشد من بطشه بي » [٢] .

١١ — « تا الله إن لوائي أعظم من لواء محمد صلعم : لوائي من نورٍ تحته الجان والجن والإنس كلهم من النبيين » [٢] .

١٢ — « لأنْ تراني مرةً خيرٌ لك من أن ترى ربّك ألف مرة » [٢] .

١٣ — « سمعتُ عُمَيّ خادم أبي يزيد يقول : سمعت أبا يزيد يقول : سبحاني ! ما أعظم شأني ! ثم قال : حَسْبي من نفسي حَسْبي ! » [٣] .

١٤ — « من عرف الله صار للجنة ثواباً ، وصارت الجنة عليه وبالاً » [٤] .

١٥ — « الجنة هي الحجاب الأكبر ، لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة . وكل من سكن إلى الجنة سكن إلى سواه ، فهو محجوب » [٥] .

---

(١) أورده السهلجي ، أنظر ماسينيون « مجموع نصوص » ... ص ٢٧ — ٢٩ .

(٢) عن السهلجي والشعراني في « لطائف المنن والأخلاق » ج ١ ، ص ١٢٥ — ص ١٢٦ ؛ أنظر ماسينيون : « مجموع نصوص » ، ص ٢٩ .

(٣) عن ابن الجوزي : « الناموس » ، أنظر ماسينيون ، الموضع نفسه ، ص ٣٠ .

(٤) السهلجي ، أنظر ماسينيون ، ص ٣٠ .

(٥) عن السهلجي ، «النور» : أنظر ماسينيون : «مجموع نصوص غير منشورة» ، ص ٣٠ .

١٦ — « إن آدم عليه السلام باع حضرة ربّه بلقمة ... لو شَفَّعَني الله في الأولين والآخرين لم يكن ذلك عندي بكبير : غاية الأمر أنه شَفَّعَني في لقمة طين » .

١٦ . مكرراً : (وقيل له) « لو شفعك في الخلق كلهم لم يكن كثيراً ، فإنه شفاعة في قطعة طين » .

١٦ . مكرراً : « إلهي ! (لو) تغفر عن رأس آدم إلى يوم القيامة غَفَرْتَ (عن) قبضة تراب ؛ ولو تحرق من رأس آدم إلى يوم القيامة أحرقتَ قبضة تـراب » [1] .

١٧ — « جاز أبو يزيد على مقابر اليهود فقال : ما هؤلاء حتى تعذّبهم؟ كُفْ ! عظامٌ جرَتْ عليهم القضايا . اعفُ عنهم ! » [1] .

١٨ — « عن الجنيد [2] . قال أبو يزيد : إلهي ! إن كان في سابق علمك أنك تعذّبُ أحداً من خلقك بالنار . فعظّم خلقي فيه (= أي في النار) حتى لا يسع معي غيري » .

١٨ ، مكرراً : « ما النار ؟! لأستندنّ إليها غداً وأقول : اجعلني لأهلها فداءاً ، أو لأبلعنّها ! — ما الجنة ؟! لُعْبة صبيان » [3] .

١٩ — « إن لله خواصّ من عباده لو حجبهم في الجنة من رؤيته ساعةً استغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار» [3] .

٢٠ — سُئِل (عبدُ القادر الكيلاني) عن قول أبي يزيد : خُضْتُ بحراً وقف الأنبياء بساحله — ما معناه ؟ أجاب : إن صَحّ عنه فمعناه : وقفوا بساحلِ ليُعَبّروا فيه من رأوا فيه أهلية العبور ويمنعوا من ليس فيه أهلية

---

(١) ماسينيون : المرجع السابق ص ٣٠ — ص ٣١ .
(٢) يمكن أن يكون هذا من تفسير الجنيد لشطحات أبي يزيد .
(٣) أنظر ماسينيون ، المرجع نفسه ص ٣١ — ص ٣٢ .

له ، وليدركوا مَن أشرف على الغرق . كما يتأخر الأفضل ليشفع في دخول الجنة ويدخل المفضول » [١] .

٢١ — « سمعتُ أبا يزيد البسطامي يقول : غلطتُ في ابتدائي في أربعة أشياء : توهمتُ أني أذكره وأعرفه وأحبُّه وأطلبه . فلما انتهيت رأيتُ ذكره سبق ذكري ، ومعرفته سبقت معرفتي ، ومحبته أقدم من محبتي ، وطلبه لي أولاً حتى طلبته [٢] » .

٢٢ — « قال أبو يزيد : غبتُ عن الله ثلاثين سنة ، وكانت غيبتي عنه ذكري إياه . فلما خنستُ عنه وجدته في كل حالٍ حتى كأنه أنا [٣] » .

٢٣ — « قال أبو يزيد : طلقتُ الدنيا ثلاثاً ثلاثاً بتاتاً لا رجعة فيها ، وصرتُ إلى ربي وحدي . فناديته بالاستغاثة : إلهي ! أدعوك دعاءً لم يبق له غيرك ! — فلما عرف صدْق الدعاء من قلبي والإياسَ من نفسي كان أولُ ما ورد عليَّ من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسي بالكلية ، ونَصَب الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم [٤] » .

٢٤ — « وقرىء عند أبي يزيد يوماً : « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً » [٥] — ... فهاج ثم قال : من كان عنده (= الله) فلا يحتاج أن يحشر ، لأنه جليسه أبداً » [٦] .

تلك طائفة من أهم ما ورد لنا من شطحات أبي يزيد البسطامي . وقد حاول الجنيد والسراج والجيلاني وكثير ممن ردّدوها أو سئلوا عن معناها أن يؤوِّلوها

(١) مجموع مخطوط بالفاتيكان عربي برقم ١٢٤٣ ، ورقة ٢٣ ب — ٣٤ أ .
(٢) أبو نعيم : « حلية الأولياء » ، ج ١٠ ، ص ٣٤ ، القاهرة سنة ١٩٣٨ .
(٣) أبو نعيم : المرجع نفسه ، ج ١٠ ، ص ٣٥ .
(٤) أبو نعيم : « حلية الأولياء » ، ج ١٠ ، ص ٣٦ ، القاهرة سنة ١٩٣٨ .
(٥) سورة « مريم » : آية ٨٨ .
(٦) « حلية الأولياء » ، ج ١٠ ، ص ٤١ .

تأويلات كثيراً ما تخرج عن مقصود البسطامي الحقيقي ، رغبة منهم في تبرئة الرجل مما تحمله معانيها – على الأقل في ظاهرها – مما يمكن أن يؤخذ على أنه من الكفر . والجنيد في تأويله لها كان أقرب إلى الاحتفاظ بالمعنى المقصود الحقيقي . وإن كان تأويله لا يخلو أحياناً من تعسف طمعاً في التماس العذر ؛ أما السرّاج فتأويلاته لها تباعد بين مقصود البسطامي وبين ما يذهب إليه هو في تفسيره لها بحيث يَبْرُز ما فيها من تعسف شديد يفضي أحياناً إلى تشويه كل المعنى الذي أراده البسطامي . والسراج أذكى من أن لا يشعر بهذا التعسف ؛ لكنه لجأ إليه إمعاناً في الدفاع عن أبي يزيد ضد هجمات ابن سالم (أبي الحسن أحمد المتوفى سنة ٣٥٠ هـ = سنة ٩٦٠ م) الذي قاد في ذلك الحين حملة عنيفة ضد أبي يزيد البسطامي ، توكيداً لمذهبه المعروف بالسالمية ، وهو مذهب فيه مزيج من مذهب المعتزلة ومن القول بوحدة الوجود ، وهو لهذا مزيج من التصوف ومن علم الكلام ، وإنا لنرى منه صورة واضحة في « قوت القلوب » لأبي طالب المكي ، تلميذ ابن سالم هذا . ويلوح أن خصومة ابن سالم كانت خصومة مذهبية خاصة في داخل التصوف . وآية ذلك أن السراج [1] في مناظرته معه قد وجده لا ينكر أقوالاً لسهل بن عبدالله التُسْتَري (المتوفى سنة ٢٨٣ هـ = سنة ٨٩٦ م) تشبه أقوال أبي يزيد البسطامي . وإذاً فهجوم ابن سالم ومدرسته لم يكن هجوماً على ظاهرة الشطح في نفسها . وعبد القادر الجيلاني يسلك نفس السبيل من التأويل البعيد إمعاناً في تبرئة البسطامي من كل اتهام .

لهذا فليس على الباحث أن يأخذ بهذه التأويلات على أنها تفسير حقيقي للمقصود من هذه الشطحات ، وإلا أخطأ فهم المقصود من هذه الظاهرة . إنما يجب أن تفهم بحسب مدلولها الواضح الذي يشف عنه اللفظ . ووفقاً لهذا نستطيع أن نميز في شطحات أبي يزيد الملامح التالية :

---

(١) أبو نصر السراج : « اللمع » ، ص ٣٩٤ .

فأبو يزيد رجل استُهلك في شهود جلال الحق ، وذهل من رؤيته له عن رؤيته لنفسه ، وغلبه حال السكر فنطق بما أجراه المحبوب على لسانه . وما نطق به يرمي إلى :

١ — تجريد الأمور الدينية عن كل ما يشعر بالحس فيها ، كما هو الشأن عند رابعة ، وإلى هذا تضاف أقواله الخاصة بالجنة والنار (رقم ١٨) ، إذ يرى أنه لم يكن لله أن يلجأ إليهما في الثواب والعقاب ، لأنهما من الحسية والمادية بحيث كان على الله أن يترفّع عنهما . وإنه ليبالغ في توكيد هذا المعنى أكثر من رابعة ، حين ينتقل من الجانب النقدي السلبي إلى الجانب الإيجابي ، أعني أن يتطوع ليفدي بنفسه كل أولئك الذين يريد الله — أو سيكون من حظهم — أن يلقي بهم في قاع الجحيم . ولهذا فهو يريد أن يبتلعها . وأما الجنة فهي عنده لُعبة صبيان ، وقصارى أمرها أن تكون مجالاً لرؤية الله . ماذا أقول ! كلاّ بل لا معنى للجنة عنده إلا معاينة الله ، بحيث لو حجب الله خواص عباده من رؤيته وهم في الجنة « لاستغاثوا بالخروج منها كما يستغيث أهلُ النار بالخروج من النار » (رقم ١٩) . وهو يرى أن الله ليس له أن يعذّب البشر . إذ ، ما الإنسان ؟ عظامٌ جرى عليها قضاء الله ، فما ذنبها إن هي أخطأت ! إن الله خلق الخلق بغير علمهم وقلدهم أمانة من غير إرادتهم ، فإن لم يُعِنْهم فمن ذا الذي يعينهم [1] ! ما آدم إلا قطعة من تراب ، فماذا على الرب لو غفر لقبضة تراب ؟! وأي شَرفٍ في أن يحرق قبضة تراب ؟! (رقم ١٦ مكرر ٢) . وهو يحكي عن نفسه (رقم ٢) أنه طاف بالجنة وبشجرة الأحدية فوجدها مجرد خُدْعة ، ولهذا يرى في نهاية الأمر أن كل الأخرويات ما هي إلا رموز لا يمكن أن تؤخذ بظاهرها ، بل يجب أن تجرّد عن معناها الحسّي كل التجريد . وفي هذا إنما يسير البسطامي في الطريق الذي بدأته رابعة ، يسير فيه حتى النهاية . والتشابه بينهما واضح في هذا الباب ، حتى في طريقة تفسير بعض الآيات

(١) أبو نعيم : « حلية الأولياء » ، ج ١٠ ، ص ٣٤ س ١٣ . القاهرة سنة ١٩٣٨ .

واستنكار ظاهر مدلولها . فهي إذا كانت قد استنكرت أن يكون أهل الجنة في شغل فاكهين ، فهو يستنكر حشر المتقين إلى الرحمن وفداً ، لأن هذا معناه أنهم سيحشرون بأجسادهم يوماً ما ؛ أو أن حشر الأرواح سيتم في يوم معلوم ، وإنما أرواح المتقين تنعم بالحضرة أبداً . فهم جلساء الحق على الدوام ؛ فكيف يقال إنهم سيحشرون للرحمن ذات يوم وفداً ! [1] (رقم ٢٤) .

٢ – وشعوره بما ارتفع إليه من سموّ في معنى التنزيه والتوحيد يدفعه إلى الإحساس بأنه فوق جميع أولئك الذين قصّروا في معاني التنزيه والتوحيد ، حتى الأنبياء . لأنهم هم الآخرين قد تخلفوا عنه في هذا التسامي الروحي الخالص . لهذا يقول إن لواءه أعظم من لواء محمد ، وبالتالي أعظم من ألوية بقية الأنبياء . لأن محمداً سيد النبيين . إذ يرى أن لواء محمد لا يزال حسياً ، لأنه يتحدث عن الجنة والنار بالمعنى الحسي ولا يزال بعيداً عن التجريد الروحي المطلق ؛ أما لواؤه هو – أي نطاقه وأفقه – فمن نور وتحته الجن هم من النبيين ، أي في المرتبة العالية . ذلك أن أبا يزيد قد ضرب خيمته بإزاء العرش ، فهو إذن قد ارتفع فوق مقام الأنبياء أجمعين لأنه لحق بالملأ الأعلى ؛ ولهذا فإن شفاعته لن تقتصر على أمة دون أمة كما هي الحال بالنسبة إلى الأنبياء – إذ سيطلب كل منهم إلى الله أن يشفع له في أمته وملته – وإنما ستمتد إلى الناس أجمعين . وأية غرابة في ذلك ؟! ما الناس إلا لقمة طين . فهل يكبر عنده أن يُشفّعه الله في لقمة طين ؟! ولهذا قال له أحد أصحابه : « لو شفعك في الخلق كلهم لم يكن كثيراً ، فإنه شفاعة في قطعة طين » (رقم ١٦ مكرراً [2]) .

٣ – أمّا وقد بلغ أبو يزيد هذه المرتبة التي تعلو فوق مقام الأنبياء ، فليثب الوثبة الأخيرة ليلحق بالألوهية نهائياً ، فيصير هو والله شيئاً واحداً : فبعد أن كان الله له مرآةً سيصير هو مرآة لله ، أي أنه بعد أن كان ينشد الله فالله هو الذي صار ينشده ويجد مثله الأعلى فيه (رقم ٧) .

---

(١) راجع أيضاً رقم ١٤ ، ثم رقم ١٥ ففيهما توكيد هذه المعاني إلى أبعد حد .

(٢) راجع أيضاً رقم ٢٠ .

وأبو يزيد يتدرج في هذا المعنى فيقرر أولاً أن الحق قد أشرف على أسرار العالم فشاهدها خالية منه غير سرّه هو ، إذ رأى سرّ أبي يزيد مليئاً بالله فخاطبه معظماً له : كل العالم عبيدي غيرك . لقد صار مساوياً له بعض المساواة أو كلها تقريباً . هنالك ، وقد خاطبه الحق بهذه العبارة ، تبين له أنه غلط في ابتداء أمره في أربعة أشياء : هي أنه توهم أنه يذكره ويعرفه ويحبه ويطلبه : وها هو ذا يرى أن الله هو الذي سبق فذكره وعرفه وأحبه وطلبه . ومعنى هذا أن أبا يزيد كان منذ الأزل وكان الحق هو الذي يذكره ويعرفه ويحبه ويسعى إليه . فالعارف الحق هو الذي يدرك أنه منذ الأزل موجود والله يحبه ويطلبه . ويمكن أن نتبين في هذه العبارة آثار معاني الصلة بين الأب والابن في المسيحية . وكيف أن الأب يتعشق الابن منذ الأزل ويعرفه عن طريق الكلمة ويسعى إلى التحقق في الوجود العيني عن طريقه . فهو يطلبه ، أي يسعى للتحقق والتجسد بواسطته . على أن هذا تأويل قد يبدو مغالياً أو بعيداً ، ولم نذكره هنا لأننا نفترض وجوده في ذهن أبي يزيد حين فاه بهذه العبارة ، وإنما لما يمكن أن يؤوّل به هذا المعنى تقريباً له من الذهن .

وهو إذا تغيّب حيناً عن الله ، وذلك بأن يذكره ولا يحضره ، فإنه بعد هذه الغيبة التي تعد بمثابة امتحان لحقيقة ما أدركه من هوية بينه وبين الله — لا يجد إلا الله ، وبعبارة أخرى لا يجد إلا نفسه : يجده في كل حال حتى كأنه هو أبو يزيد نفسه : لم يتغير ولم يتبدل (رقم ٢٢) . إذن فما تبين له صحيح قد دلّت عليه التجربة ، تجربة الغيبة عن الله ثلاثين سنة ، بالاكتفاء بذكره دون التلبس به والجلوس في حضرته . ومن هنا ازداد يقيناً بأنه هو هو الله ، وأن الله هو أبو يزيد . لقد عرّف ربُّه منه صدقَ دعائه ، وإياسَه من نفسه ، فأنساه إياها نهائياً ، وهو الذي دعا نفسه إلى الله فأبت عليه واستعصت فتركها ومضى إلى الله [1] ؛ ثم نصب الله الخلائق بين يديه بالرغم من أنه أعرض عنهم

---

(١) أبو نعيم : « حلية الأولياء » ، ج ١٠ ، ص ٣٦ س ٢٢ — س ٢٣ .

(رقم ٢٣) . وكان إعراضه لما أن غاب — وقد بلغ مرتبة العارف — عن الخلق ، وذلك حينما بلغ مرتبة التوحيد المطلق بعد أن جال طويلاً في ميدان الليسية ، وكان يطير فيه عشر سنين حتى صار من ليس في ليس بواسطة ليس : أي أنه ظل يجرد الله عن كل شيء ، أو يجرد كل شيء عن الله ، بأن ينصرف عن كل ما في الخلق ، فيرى فيه مجرد عدمٍ — ليس — ، إلى أن دخل في مقام ليس فيه ثمت إلا وجه الله ، ولا إله إلا الله (رقم ٣) .

٤ — لكن الوقوف عند ليس وفي ميدان الليسية ليس من شأن العارفين الكُمّل ، لأنه ميدان السلب ، والليلة الظلماء ؛ وعليه إذن أن ينتقل إلى ميدان الأيسية ، إلى الإيجاب المطلق للحق . لقد نصب الله الخلائق بين يدي أبي يزيد ، وها هي ذي تتحرق إلى رؤياه في هذا المقام . رفعه الله فأقامه « بين يديه وقال له : يا أبا يزيد ! إن خلقي يحبون أن يروك » ؛ لكن لكي يمكنهم أن يروه كان عليه أن يطلب إلى الله أن يزين أبا يزيد بوحدانية الله ويلبسه أنانيته : « ارفعني إلى أحديتك ، حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك — فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك » (رقم ١) : أي أنه يلتمس من الله أن يخلع عليه ثوب الألوهية ويطلق لسانه عن نفسه فيتحدث بصيغة المتكلم ، ويتحد بالله نهائياً ، بحيث تكون الإشارة إليه وإلى الله واحدة : فيفنى هو عن نفسه بالكلية ، ولا يكون ثمت إلا الله ، فإذا رأوا أبا يزيد قالوا رأينا الله . وتلك هي اللحظة العليا في السكر الذي عاناه أبو يزيد ؛ وإن في هذا الرجاء والدعاء لخير تعبير عما يقع إبان حال السكر بين العبد والرب : ففيها حوار يطلب فيه العبد إلى الرب أن يخلع عليه صفة الربوبية فيستبدل دوره بدوره .

ولقد أجابه الرب إلى طلبته هذه وزيادة ! فصرخ هذه الصرخة القوية الرهيبة لما أن خلع عليه الحقُّ رداءَ الربوبية : سبحاني ! ما أعظم شأني ! (رقم ٤ ، ورقم ١٣) . وأي شأن أعظم من أن يبلغ مرتبة الألوهية ويتحقق له الاتحادُ التامّ بالحق ! لقد كان هذا أقصى ما يسعى إليه ، فما أعظم شأنه إذن وقد بلغ الغاية وتحقق بالنهاية !

٥ — بيد أنه يلوح أن أبا يزيد — وقد سكر بنشوة هذه المكاشفة في تلك اللحظة العالية الرهيبة — قد خرج عن طوره . فسما إلى ما فوق مقام الألوهية نفسها ؛ فصاح بهذه العبارات الهائلة : « طاعتك لي يا رب أعظم من طاعتي لك » (رقم ٩) ؛ « بطشي به أشد من بطشه بي » (رقم ١٠) . ثم يرتفع بهذه اللهجة الجريئة الجديدة إلى ذروة الحدّة حينما يقول : « لأن تراني خيرٌ لك من أن ترى ربك ألف مرة » . (رقم ١٢) . ومن الواضح أنه لم يقصد بهذه العبارة الأخيرة ما يفهمه الناس من فضل التجسيد . بمعنى أنه — وهو المتجسّد عينياً — أقرب إلى نفوس الناس من الحق لأنه مجرد عقلي بعيد فيكون أبعد عن الأفهام . فتكون رؤية الأقرب خيراً من رؤية الأبعد — كما يمكن أن تؤول به فكرة التجسد في المسيحية . كلا ! هو لم يقصد إلى شيء من هذا ؛ إنما هو في حال سكر أخرجه عن طوره فحسب نفسه أعلى مقاماً من الحق نفسه . وموقفه هذا مفهوم من الناحية النفسية ؛ إذ أن المكاشفة بهذه الحقيقة العظمى . حقيقة الاتحاد الكامل بالله ، كان لها من التأثير الهائل في نفسه ما جعله يتطرف إلى أبعد حد ؛ كما هو المشاهد في كل الأحوال التي من هذا القبيل : يندفع المرء إلى الشعور بأعلى من الواقع بألف مرة لذهوله من شدة المفاجأة وجلالة المفاجأ به . وعلى هذا فإن هذه الأقوال الأخيرة نفسها صادقة في تعبيرها عن الحال النفسية التي امتلأ بها آنذاك . بمعنى أن لها مُناظراً فعلاً من مشاعره وقد بلغت ذروة حدّتها ؛ فليس لنا أن نتهمه إذاً بعدم الصدق فيها من الناحية الشعورية . فما دامت الأحوال الصوفية مشاعر نفسانية كلها . فأي عجبٍ بعد هذا في أن ينطق أبو يزيد بهذه العبارات ويكون فيها صادقاً في الترجمة عن حاله ! ولا عبرة عند الباحث في التصوف إلا بهذا الجانب النفسي . ولهذا فأمثال هذه الكلمات لا تقل قيمة في الدلالة النفسية الصوفية عن غيرها مما يبدو في عرف الناس معقولاً مقبولاً . كل ما في الأمر أن :

به جاوزَ الإسكارُ حدَّ أفعربدَ بعضَهم ....

ولا شك في أن البسطامي قد بلغ الذروة في التعبير عن حال الشطح . فماذا كان رأي معاصريه من الصوفية في هذا ؟ أكانوا يعدُّون الشطح درجة عالية ؟

هنا نجد رأيين متشابهين لكبيرين من الصوفية في عهده هما الجنيد والشبلي . وقد أشرنا من قبل إلى عناية الجنيد بتفسير شطحيات أبي يزيد ، نظراً للحملة الشديدة التي أثيرت في ذلك الحين على ظاهرة الشطح بمناسبة شطحات الحلاج . والجنيد كان ممن يُبغضون الحلاج . لهذا نفترض أن السر في قيامه بتفسير شطحيات أبي يزيد هو أنه أنكر على الحلاج شطحياته ؛ فردّ عليه الحلاج بأن نبهه إلى شطحيات أبي يزيد وهي تفوق شطحيات الحلاج ؛ فكيف ينكر هذا على الحلاج دون أبي يزيد ؟! هنالك اضطر الجنيد إلى تأويل شطحيات أبي يزيد على النحو الذي نعرفه مما أورده لنا السّراج في « اللمع [1] » . لكن لا بد أن يكون الحلاج قد كشف للجنيد عما في هذا التأويل من تعسف شديد ومجافاة لقصد أبي يزيد . لذا اضطر الجنيد تحت إلحاح هذا الإحراج أن ينتقص من قدر أبي يزيد فيقول : « إن أبا يزيد — رحمه الله — مع عِظَم حاله وعُلُوّ شأنه لم يخرج من حال البداية ، ولم أسمع منه كلمة تدل على الكمال والنهاية » [2] . والسّراج ينسب هذا الرأي إلى الكبرياء والحسد اللذين يقعان بين أهل المرتبة الواحدة ، إذ يرى كل منهم « أن حاله أعلى الأحوال ، وذلك غيرةً من الحق عليهم حتى لا يسكن بعضهم إلى بعض » ، وبتعبيره هذا المهذّب يُرْجع رأي الجنيد في البسطامي إلى المنافسة والمسابقة في السلوك إلى الحق ، ومن هنا ينكر الواحد على الآخر حاله ناعياً عليه التقصير . وقد يكون السّراج على حق في هذا التفسير ؛ لكن ما افترضناه من أن يكون السبب في انتقاص الجنيد من قدر أبي يزيد هو ما وقع فيه الجنيد من حرج بسبب موقفه من شطحيات أبي يزيد — نقول إن هذا الفرض له أيضاً كل وجاهته .

---

(١) ص ٣٨٠ — ٣٩٠ ؛ نشرة نيكلسون . ليدن ١٩١٤ .

(٢) السراج : « اللمع » ، ص ٣٩٧ س ٩ — س ١١ .

أما الشبلي فقد ذرّف على الجنيد في انتقاص قدر أبي يزيد من حيث شطحاته . « حُكي عن الشبلي رحمه الله أنه سُئل عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله وعُرِضَ عليه ما حُكِيَ عنه مما ذكرناه (أي الشطحيات التي أوردها السرّاج والتي ذكرناها قبل تحت أرقام من ١ إلى ٦) وغير ذلك . فقال الشبلي رحمه الله : لو كان أبو يزيد رحمه الله هاهنا لأسلم على يد بعض صبياننا » (١) . والسرّاج يفسر هذا القول بمعنى أنه « يعني : لاستفادَ من المريدين الذين هم في وقتنا » (١) . ولعل السرّاج يقصد من هذا أن التقدم السريع في التصوف قد جعل المريد في زمان الشبلي يعرف أكثر مما يعرفه البسطامي وهو الشيخ الكبير . فإن بين وفاتيهما (توفي البسطامي سنة ٢٦١ هـ وتوفي أبو بكر الشبلي سنة ٣٣٤ هـ) ٧٣ سنة كانت كافية لإحداث هذا الفارق . لكن يلوح أن السرّاج هنا — كما في كل المواضع المماثلة — إنما يغتصب التفسير حرصاً على التوفيق أو تخفيفاً من حدّة الأقوال . ولهذا فنحن نرى أن التفسير الحقيقي لموقف الشبلي هذا هو ما اتخذه من موقف التقيّة بعد أن شاهد بعينه مصير صديقه الحلاج ، فلعله حُمِل آنذاك على أن يبدي رأيه في أمر البسطامي — وهو مشابه لأمر الحلاج — فاضطر — مداراةً ونفاقاً — إلى الانتقاص من مكانته على هذا النحو . ولا بد أن تكون قضية البسطامي قد أثيرت في نفس الوقت هي وقضية الحلاج لتشابههما في هذا الباب . فكان طبيعياً أن يُسألَ عن رأيه في البسطامي ، وهو الذي طلب إليه يوم عذاب الحلاج أن يأتي فيعلن على رؤس الأشهاد لعنته لموقف الحلاج واستنكاره لآرائه (٢) . فلا بد أنه نطق بهذا الحكم في ذلك الحين . ويظهر هذا من قوله : « أسْلَم » ، فهو يدل على أنه كان يُكفّر في هذا الوقت . شأنه شأن الحلاج على السواء .

ونحن نرى من الواجب أن نميز في حياة الشبلي وآرائه بين عهدين : الأول

---

(١) السراج : « اللمع » ، ص ٣٩٧ .

(٢) راجع ذلك في : ماسينيون ، « مجموع نصوص غير منشورة خاصة بالتصوف » . باريس ، سنة ١٩٢٩ .

إلى ما قبل مصرع الحلاج ، والثاني ما بعد مصرعه أو حواليه : في الأول كان جريئاً يطلق الكلمات الغريبة في غير ما تحرُّج . وفي الثاني دارَى وداور وأعلن ما يشبه التوبة . وإلى الأول تنسب الأقوال الشطحية التي وردت إلينا عنه . وإلى الثاني تلك الأقوال التي تشيع منها السُّنِّيَّة . لكن في غير إخلاص حقيقي .

ولقد أدرج السرّاج طائفة من الأقوال التي تنتسب إلى ذلك العهد الأول الحرّ . نذكر منها :

١ — « سمعت أبا عبدالله بن جابان يقول : دخلتُ (٣٩٦) على الشبلي رحمه الله في سنة القحط فسلّمتُ عليه . فلما قمتُ على أن أخرج من عنده (فـ) [١] كان يقول لي ولمن معي إلى أن خرجنا من الدار : مُرُّوا ! أنا معكم . حيثما كنتم أنتم في رعايتي وفي كلايتي » [٢] .

٢ — « ... عن الشبلي رحمه الله أنه أخذ من يد إنسان كِسْرَةَ خبز فأكلها ثم قال : إن نفسي هذه تطلب منّي كسرة خبز ؛ ولو التفت سرّي إلى العرش والكرسي لاحترق — أو كما قال » [٣] .

٣ — « قال بعضهم : وقفتُ على الشبلي ، رحمه الله ، فسمعته يقول : « أمر الله تعالى الأرضَ أن تبتلعني إن كان فيَّ فضلٌ منذ شهر أو شهرين لذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام » .

« وسمعت الحُصْري يقول : كان الشبلي ، رحمه الله ، يقول لي : إن مرّ بخاطرك ذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام أشركتَ » [٤] .

٤ — « حكى عن الشبلي ، رحمه الله ، أنه قال يوماً لأصحابه : يا قومُ !

---

(١) في المطبوع ، ونقترح حذفها .

(٢) « اللمع » : ص ٣٩٥ — ص ٣٩٦ .

(٣) ص ٣٩٧ س ١ — س ٣ .

(٤) ص ٣٩٨ س ٤ — س ٨ .

أمرُّ إلى ما لا وراء فلا أرى إلا وراء ؛ وأمرُّ يميناً وشمالاً إلى ما لا وراء فلا أرى إلا وراء ، ثم أرجع فأرى هذا كله في شعْرَة من خِنْصَري »[1] .

٥ ــ « وحكي عنه أنه قال : إن قلت كذا فالله ؛ وإن قلت كذا فالله ؛ وإنما (في نسخة : فأنا) أتمنّى منه ذرة »[2] .

٦ ــ أ : « وكان الشبلي رحمه الله يقول : ألف عام ماضية في ألف عام واردة ــ هو ذا الوقت ، ولا تغرنكم الأشباح » ؛

ب : « وكان يقول : أنتم أوقاتكم مقطوعة ، ووقتي ليس لـــه طرَفـــان » ؛

ج : « وربما كان يشطح ويقول : أنا الوقت ؛ ووقتي عزيز ؛ وليس في الوقت غيري ؛ وأنا مَحْقٌ . وكان ينشد هذين البيتين :

مكينٌ في مُعامليـــه مكـينُ   أمينُ الحق آمِنه أمـــين
تعـــازَزَ عِزه فاعتـــز عـــزّاً   فقد فات اليقينُ من اليقين »[3]

٧ ــ « وربما كان يقول : نظرتُ في كل عزّ ، فزاد عزّي عليهم ، ورأيت عزّهم ذلك في عزّي . ثم كان يتلو في إثره : « من كان يريد العزّة فلله العزّة جميعاً »[4] .

ثم يقول :

مـــن اعتـــزّ بـــذي العـــزّ   فذو العز لـــه عزٌ »[5] .

---

(١) ص ٤٠٢ س ١٢ ــ س ١٦ .

(٢) ص ٤٠٣ س ٧ ــ س ٨ .

(٣) ص ٤٠٤ ــ ص ٤٠٥ س ٢١ ــ س ٥ .

(٤) سورة الملائكة ٣٥ : ١١ .

(٥) « اللمع » : ص ٤٠٥ س ٦ ــ س ٩ .

٨ — « وحكي عن الشبلي أنه قال أيضاً : اللهم إن كنت تعلم أن فِيَّ بقية لغيرك . فأحْرِقني بنارك . لا إله إلا أنت [١] » .

٩ — « وذُكِر عن الشبلي رحمه الله أنه كان يقول : لو خَطَر ببالي أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق مني شعرة لكنت مُشْرِكاً — أو كما قال [٢] » .

١٠ — « قال : « أيش أعمل بلَظَى وسَقَر ؟! عندي أن لَظَى وسقر فيها تسكُن » — يعني في القطيعة والإعراض . لأن من عَذّبه الله بالقطيعة فهو أشد عذاباً ممن عَذّبه بلظى وسقر [٣] » .

١١ — « وذُكر أنه سمع قارئاً يقرأ هذه الآية : « اخسَأوا فيها ولا تُكلّمونِ [٤] » فقال الشبلي : ليتني كنتُ واحداً منهم ! [٥] » .

١٢ — « وذكر عنه أيضاً أنه قال في مجلسه : إن لله عباداً لو بزقوا على جهنّم لأطفأوها — فصعب ذلك على جماعة ممن كان يسمع ذلك [٦] » .

وعن غير السراج :

١٤ — « والله لا رَضِيَ محمد صلعم وفي النار من أمته أحد . إن محمداً يشفع في أمته ، وأنا أشفع بعده حتى لا يبقى فيها أحد [٧] » .

١٥ — « أنا أقول وأنا أسمع ، فهل في الدارين غيري ! [٨] »

---

(١) « اللمع » : ص ٤٠٥ س ٢٠ — ٢١ .
(٢) ص ٤٠٦ س ٧ — ٨ .
(٣) ص ٤٠٦ س ١١ — س ١٣ .
(٤) سورة « المؤمنين » : ١١٠ .
(٥) ص ٤٠٦ س ١٣ — س ١٤ .
(٦) « اللمع » ص ٤٠٦ ص ١٦ — س ١٨ .
(٧) ابن الجوزي : « الناموس » ، ص ٣٨٦ ؛ أورده ماسينيون في « مجموع نصوص غير منشورة » ، ص ٧٨ .
(٨) عن الكلاباذي ، راجع ماسينيون : المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

١٦ ـ « أنا النقطة التي تحت الباء » .

١٧ ـ (قيل للشبلي) : « لم تقول : « الله » ، ولا تقول : « لا إله إلا الله ؟ ـ (فقال) أستحيي أن أوجّه إثباتاً بعد نفي ... أخشى أن أؤخذ في كلمة الجحود ولا أصل إلى كلمة الإقرار [١] » .

١٨ ـ « قال مولانا الشيخ أبو بكر الشبلي ـ قُدِّس سره ـ : لو دبّت نملةٌ سوداء على صخرة صمّاء في ليلة ظلماء ولم أشعر بها أو لم أعلمْ بها ، لقلتُ : إنه ممكورٌ بي [٢] » .

تلك من أهم ما ورد لنا من أقوال للشبلي قد تدخل في باب الشطحيات ؛ وتكاد تندمج في نفس الأبواب التي تدخل فيها أقوال البسطامي . فالتجريد ظاهر في حديثه عن الجحيم . وهو يرى أنها لا يمكن أن تؤثر فيه ، فلن تحرق منه شعرة . وتفسير ذلك أن كل شيء من الله ، فلو جعلنا للنار هذه القوة للاحراق لأشركنا مع الله شيئاً آخر . وهو لا يرى النار (لظى وسقر) إلا في القطيعة ، أو إعراض الله عنه . فهذا هو الجحيم الحقيقي بالنسبة إلى العابد ، كما قال السّراج . وعدم احتفاله بالنار يجعله يطلب أن يُلقَى به فيها . ذلك لأن عباد الله الصدّيقين لو بزقوا على جهنّم لأطفأوها ، فماذا يهمهم إذاً من أمرها ! وكل هذه العبارات إنما قصد بها إلى تجريد النار من كل معنى حسي ، وردّها إلى المعاني الباطنة العالية التي لا يمازجها شيء من الحسية . وهو بهذا إذن إنما يتابع نفس التيار الذي بدأته رابعة العدوية وأفضى به إلى ذروته أبو يزيد البسطامي (أرقام ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) .

وهو قد انصرف إلى الله بكليته . فلم يعد لغيره لديه وزن . حتى الملائكة وعلى رأسهم جبريل وميكائيل (رقم ٣) . فإذا كان الملائكة أفضل من الأنبياء ـ لأن هؤلاء بشر ، وأولئك عقول وأرواح نورانية لا يلابسها شيء من المادة ـ .

---

(١) عن ابن الجوزي : «الناموس» ، راجع ماسينيون ، « مجموع نصوص » ، ص ٧٩ .

(٢) مجموع مخطوط بالفاتيكان عربي رقم ١٢٤٢ ، ورقة ٥١ ب ـ ٥٢ أ .

فهو إذن قد انصرف عن الأنبياء وارتفع فوق نطاق ما أتوا به . وهو ما رأيناه كذلك عند أبي يزيد . فالاتجاه يسير نحو الارتفاع فوق مستوى النبوة . بوصف الولاية أعلى منها درجة بكثير ، إذ في النبوة لا يزال اللاهوت مأسوراً في ربقة الناسوت . أما في الولاية حينما تبلغ نهاية الطريق . فإن الناسوت قد رفع ولم يبق ثمّ غير اللاهوت . ولعل هذا النزوع إلى الارتفاع فوق طور النبوة كان الدافع الأكبر والفكرة الموجّهة البارزة عند الصوفية في أعماق نواياهم وأغراضهم .

وها هو ذا الشبلي يبدأ تجربة اتحاده بأن يرى السّوية في كل شيء : فاللاوراء هو الوراء . أي اللانهاية هي النهاية ، وكلتاهما معاً في شَعْرَة من خِنْصَره (رقم ٤) . أي أن كل شيء مهما ضؤل هو بُضْعة من اللانهاية . حتى أصغر ذرة . وفي هذا نجد بذور وحدة الوجود . وهو يتابع هذا المعنى حينما يرى أن كل شيء هو الله ، أي أن الله هو الكل في الكل (رقم ٥) .

فلما شعر بأول درجة من درجات الاتحاد نظر في كل عز . فوجد أن عزّة يزيد عليهم . ورأى عزهم في عزه ؛ فإذا كانت العزة لله جميعاً . فهو قد اتحد مع الله حتى صارت عزة الناس من عزته هو (رقم ٧) . ولهذا صار ينظر إلى نفسه على أنها منبع العز ؛ فلماذا لا يقول إنه أينما كان الناس فهم في رعايته وفي كلايته ؟ (رقم ١) .

وإبان هذا الدور كان لا يزال يشعر بالثنائية بين نفسه وسرّه : فنفسه تشارك في الدنيا بالمقدار الزهيد الذي تشارك به ؛ ولكن سرّه لو التفت إلى العرش والكرسي لاحترق ؛ ذلك أن العرش والكرسي كليهما مُحْدَث . أما سرّه فقديم أزلي . فهو أعلى من عرش الله وكرسيه بحيث لو التفت إلى أحدهما لاحترق من جلاله (رقم ٢) .

لكنه يبلغ أعلى مراتب هذا الوجد حينما يقول : « أنا الوقت » ، « وليس في الوقت غيري » ، « وأنا مَمْحَق » — فهنا نجد العبارات الشطحية بالمعنى

الحقيقي وفي صورتها القانونية : أي بصيغة ضمير المتكلم . ولعله يستعمل هنا كلمة الوقت بمعنى الدهر ، ويفرّق بينه وبين الزمان : فالأول هو ألف عام ماضية في ألف عام واردة ، وهو إنما يقصد بذلك أنه لا أول له ولا آخر (رقم ٦ أ) ، أما الزمان ويسميه هو بالوقت المقطوع فله طرفان : بداية ونهاية (٦ ب) . وهذا يدلنا على أول تأثيرات الفلسفة الأفلوطينية لما أن بدأ أمثال كتاب « أتولوجيا » المنسوب إلى أرسطو يؤثر في الصوفية .

وفي سبيل هذا التوحيد والاتحاد مرّ بفترتين : إيجابية وسلبية . فمرّ أولاً بهذه الأخيرة حين بدأ يجرد الأشياء عن الله قليلاً قليلاً مرتفعاً من الدنيا — التي قال عنها : « لو كانت الدنيا لقمةً في فم طفل لرَحِمْنا ذلك الطفل » . وقال أيضاً : « وددتُ أن لو كانت الدنيا لقمة والآخرة لقمة أجعلهما في فمي حتى أترك هذا الخلق بلا واسطة » [1] — حتى الأنبياء ، ماراً بالملائكة ، متجاوزاً إياهم حتى يلحق بالجناب الأعلى ، إلى حيث لا تبقى فيه بقية لغير الله . وخلال هذا كله كان شعاره : لا إله إلا الله .

لكن هذا سلبٌ . وهو يريد أن يتحد إيجاباً ؛ لهذا انصرف عن هذه الصيغة السلبية . فصار يقول « الله » فقط . ولا يقول « لا إله إلا الله » لأنه استحيا أن يُوَجّه إثباتاً بعد نفي ، ويخشى أن يؤخذ في كلمة الجحود ، ولا يصل إلى كلمة الإقرار (رقم ١٧) . والواصل حقاً هو من يتجاوز نطاق السلوب — لأنه ينطوي على العدم — . إلى نطاق الإيجاب . حيث لا يوجد ثَمّ إلا الوجود الخالي من كل عدم . وهذا الوجود هو هو الله ؛ هنالك يحظى بالاتحاد الحق .

فلما حظي به صار كل شيء ينتسب اليه . فليس ثمت غيره هو : « أنا أقول وأنا أسمع . فهل في الدارين غيري ؟! » (رقم ١٥) . ولن يغرب عن علمه بعدُ مثقالُ ذرة . حتى إنه « لو دبّت نملة سوداء . على صخرة صماء .

---

(١) أبو نصر السراج : « اللمع » ، ص ٤٠٠ س ٨ ، س ١٠ — س ١١ .

في ليلة ظلماء ولم أشعر بها أو لم أعلم بها . لقلتُ : إنه مكورٌ بي » (رقم ١٨) : وإذن فهو من وراء كل شيء محيط !

ولعل أعلى ما صاح به في هذا المقام قوله : « أنا النقطة التي تحت الباء » — والباء هنا قد تفهم بمعنى الحرف المعروف منفرداً ، أو في كلمة « بسم الله » ، والمعنى المراد على كل حال هو أنه قوام كل شيء ؛ فكما أن الباء قوامها بهذه النقطة التي تحتها ، كذلك الوجود كله إنما قيامه وجوهره بواسطة الشبلي . وهي عبارة تذكرنا على نحوٍ غريب بالخطبة المشهورة المنسوبة إلى الإمام علي والتي وصف فيها نفسه مستعملاً ضمير المتكلم وأولها : « أنا سرّ الأسرار ، أنا شجرة الأنوار .. أنا سائق الرعد .. أنا جُنّة الغزاة ، أنا كاسي العراة »[1] .

وهو في أمر الشفاعة يتخذ نفس الموقف الذي اتخذه البسطامي : فهو سيشفع لبقية الأمم التي لن يشفع لها الأنبياء ؛ ولعل هذا لشعوره بعلو مكانته عليهم : فرغبته في الرحمة واسعة بحيث لن يبقى في النار أحد (رقم ١٤) .

ومن هذا الاستعراض لأقوال الشبلي هاتيك يتبين لنا أنه لا جديد فيها على ما أتى به البسطامي ، بل هي تدل على تقهقر ظاهر عن موقفه . والحق أن البسطامي قد أوفى على الغاية في باب الشطحيات ، بحيث كان الذين تلوه مجرد مردّدين لأقواله ؛ ولا نكاد نجد لديهم باباً جديداً أو توجيهاً خاصاً . والحق أنهم صاروا جميعاً كَلّاً عليه . والحلاج نفسه ، بالرغم من علوّ شأنه ، لم يكد يتجاوز الموضوعات thèmes عينها التي طرقها البسطامي ؛ بل هو أحياناً ينخنس عنه ، ويتخلف عن جرأته ؛ ولسنا نعزو هذا التخلف إلى طبع الحلاج بقدر ما نعزوه إلى الظروف الأليمة التي أحاطت به فأوقفته عند حدّ ما نظن أنه كان سيقف عنده لو ترك وشأنه ينطلق في التعبير بحرية عن أحوال وجده ، كما هو الشأن بالنسبة إلى أبي يزيد ، إن صحّ كل ما ورد لنا عنه من أقوال .

---

(١) مخطوط باريس رقم ٢٦٦١ ، ورقة ٢١ ب — ٢٤ أ .

لهذا نرى أن كل أخلاف أبي يزيد إنما نسجوا على منواله ؛ وأقوالهم يمكن أن تندرج في نفس الأبواب التي ابتدعها وأطلق فيها القول . فكان في الواقع أجرأ من عرفنا من الصوفية ؛ وكل هذا في إخلاص وحرارة إيمان ، من غير تصنع ولا دلال كما هو الشأن عند ابن عربي وجلال الدين الرومي .

النورُ من كلماتِ أبي طيفور

نص غير منشور في مناقب وشطحات أبي يزيد البسطامي
ينسب إلى السَّهْلَجي

تصدير

هذا كتاب « النور من كلمات أبي طيفور » ، أوردناه عن المخطوط رقم ٢٧٨٤ بمكتبة الأوقاف ببغداد ثم عن مخطوط خاص يملكه الأستاذ ماسينيون . منقول عن تكية المولوية بحلب . ولم يرد ذكر لاسم المؤلف في المخطوطتين ؛ كذلك لم يذكر حاجي خليفة لهذا الكتاب مؤلفاً . بل كل ما أورده هو : « كتاب النور في مناقب أبي زيد (كذا) البسطامي » [1] . وهو يورد في موضع آخر (ج ٦ ص ١٥٢ ، تحت رقم ١٣٠٢٢) كتاباً آخر بعنوان : « مناقب بايزيد البسطامي . ليوسف بن محمد ، فارسي » . ومن الأسف الشديد أنه لم يورد أوائل هذين الكتابين حتى نتبين ما المقصود منهما بكتابنا هذا . لأنه يرد في أول كتابنا هذا عنوان له هو : « كتاب مناقب سيدنا أبو يزيد البسطامي رحمه الله ، ونفع المسلمين من بركاته » ؛ فقد يوهم هذا أن كتابنا هنا هو « كتاب مناقب بايزيد البسطامي ليوسف بن محمد ، فارسي » ، لكن من الواضح أن هذا العنوان إن هو إلا من وضع الناسخ . بدليل أن الاسم الوارد في الخاتمة هو : « النور من كلمات أبي طيفور » ؛ فلا بد أن يكون الناسخ قد نقل آخر المخطوط كما هو ، فيكون هذا هو الاسم الصحيح . وفضلاً عن هذا فإن قوله :

---

(١) حاجي خليفة : « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » ، ج ٥ ص ١٦٦ تحت رقم ١٠٥٨٨ ، نشرة فليجل ، لندن سنة ١٨٥٣ = ج ٢ ، ص ١٤٦٨ من نشرة شرف الدين بالتقايا ، استانبول سنة ١٩٤٣ .

« يوسف بن محمد ، فارسي » يمكن أن يفسر على أساس أن الكتاب المذكور هو باللغة الفارسية ، كما لوحظ ذلك في النشرة الجديدة باستانبول . فقد ورد فيها : « مناقب البسطامي — ليوسف بن محمد ، وهو كتاب فارسي » (ج ٢ ، ص ١٨٤١) ، وإن كان ثمت مع ذلك شك ليس بالهين في هذا التفسير لكلمة « فارسي » ، لأن من عادة حاجي خليفة ألا يضع كلمة « فارسي » (« للدلالة على أن الكتاب باللغة الفارسية) إلا بعد اسم الكتاب مباشرة ، لا بعد اسم المؤلف .

وخلاصة الرأي أن كتابنا الذي ننشره فيما يلي اسمه الحقيقي هو : «النور من كلمات أبي طيفور» . أما مؤلفه فمجهول ، وكان مجهولاً حتى في عهد حاجي خليفة (المتوفى سنة ١٠٦٨ هـ = سنة ١٦٥٧ م) بدليل صمته عن ذكر اسم المؤلف . فلعله مؤلف مجهول جمع الأخبار المتناثرة عن أبي يزيد البسطامي . وليس في الكتاب ما يمكن أن يوضح شيئاً عن هذا المؤلف ، ولكنه على كل حال لا يمكن أن يتجاوز القرن العاشر الهجري بدليل إيراد حاجي خليفة لاسم الكتـــاب .

ولكن يوجد في مخطوط [1] بمدينة آرل Arles بفرنسا ما يدل على نسبة هذا الكتاب إلى السهلجي ، كما نبهنا إلى ذلك أستاذنا ماسينيون . فقد ورد فيه : « كتاب النور (للسهلكي) في كلمات البسطامي » . ويورده الفريابي بين المصادر التي اعتمد عليها .

على أن المؤلف لم يراع ترتيباً واضحاً في جمع الكتاب ، اللهم إلا في القسم الأول منه حيث يحاول أن يتتبع تاريخ حياته وأسرته وبيئته منذ البداية في نوع من التسلسل التاريخي . ولهذا جاء فيه ألوان من التكرار والاستطراد . ويمكن رد معظم أخباره إلى المصادر التي بأيدينا مع اختلاف في بعض الروايات .

---

(١) « خلاصة الحقائق للفريابي » ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ ، مخطوط مكتبة آرل بفرنسا ، برقم ٤٢٨ .

قلنا إننا ننشره أولاً عن المخطوط رقم ٢٧٨٤ بمكتبة الأوقاف ببغداد (ورمزنا له بالرمز ص = نص) . وهو يتضمن :

١ — كتاب فقه (كذا !) الأكبر لسيدنا الإمام الشافعي . رحمة الله عليه . ونفعنا الله من بركات علومه . آمين .

٣ — خطبة لطيفة من خطب الشيخ محمد بن إبراهيم الكهمري البصري . رحمة الله عليه .

٤ — خطبة لطيفة من خطب ابن الكهمري . رحمة الله عليه .

٥ — خطبة ثالثة له .

٦ — مسئلة : ما قول مولانا مفتي شريعتنا شيخ الإسلام متع الله بحياته نهج الشريعة : في طائفة الأكراد المعروفة باليزيدية : هل تجوز ذبيحتهم ومناكحتهم . والجواب عنها .

٧ — ثم طائفة من التعليقات والتقييدات الصغيرة والفوائد .

٨ — ورقات من خطب النبي صه الله عليه وسلم .

٩ — دعاء الصباح وهو لسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : أولـــه :

« اللهم يا من وَلَع لسانَ الصبح تبلُّجُه ، ويا من سَرّح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه » .

١٠ — حرز ابن المتوج . أوله : « بالحمد أبدأ والذي رفع السما .. » . ثم فائدة : وصورة مكتوب وبضعة أبيات من الشعر .

١١ — رسالة تسمى تحفة السَّفَرَة إلى حضرة البررة لأبي الفضل بن عبد

الحميد البسطامي . أولها : « الحمد لله الذي أنطق كل شيء بتسبيحه . والصلاة على رسوله وصفية محمد ... أما بعد : فهذه رسالة مرتبة على عشرة أبواب وفصول » . – وهي ترد بعد نقول عن أبي العباس المرسي وأبي طالب المكي ثم أبي العباس المرسي وعن الجنيد ، ثم فائدة الباب الأربعون (كذا !) في معرفة منزل مجاور لعلم جزئي من الكون وترتيبه وغرائبه وأقطابه .

١٢ – نبذة من مناقب الشيخ أبو يزيد البسطامي قدس الله سره العزيز ونفعنا والمسلمين من بركاته آمين :

« قال أبو يزيد البسطامي : كنت يوماً في بعض سياحتي ملذذاً بخلوتي وراحتي ، مستغرقاً بفكري ، مستأنساً بذكرى ، إذ نوديت في سري : يا أبا يزيد : امض إلى دير سمعان ، واحضر مع الرهبان ، في يوم عيدهم والقربان ، فلنا في ذلك نبأ وشأن ... » وهي في مجادلة النصارى ، ومسجوعة .

١٣ – حزب البر المشارك للشيخ أبي الحسن الشاذلي . ثم حزب آخر له . ثم دعاء لـــه .

١٤ – الاستغفار لأبي مدين رحمة الله عليه : أوله :

« روحي حياتي ، دعائي طيبتي قسم
سمعي ونطقي وذكري يقتضي حلمي
ذكري أنيسي افتتاحي مبتدا كلمي
أستغفر الله مُجري الفُلْكِ في الظُّلَمِ على عُباب من التيار ملتطم ... »

١٥ – وسيلة الملهوف إلى المعروف . نظم شرف الدين أبي سعيد شعبان بن محمد القرشي .

١٦ – الفَرَج القريب في معجزات الحبيب ، نظم شرف الدين أبي سعيد شعبان بن محمد القرشي .

١٧ – نزهة الكرام في شرح طيبة والبيت الحرام . له أيضاً .

١٨ — مسك الختام في أشعار عليه الصلاة والسلام . نظم السابق أيضاً .

١٩ — وقصيدة له أخرى لما فتح الله عليه بزيارة النبي .

٢٠ — شفاء السقام في نوادر الصلاة والسلام . له أيضاً .

٢١ — مقدمة الديوان : الخير الكثير في الصلاة والتسليم على البشير النذير . له أيضاً . ويظهر أنه غير كامل .

أما الرسالة في مناقب البسطامي فمكتوبة بخط نسخي ، والصفحة مسطرتها ٢٥ سطراً . مقاس ١٣ — ١٦ سم مقدار المكتوب ، وأوائل السماع : « سمعته » الخ مكتوب بالأحمر ، وعلى أوائل الروايات خط بالأحمر .

وعليه تملك لخطيب مسجد الشيخ معروف الكرخي . وختم للحاج محمد أمين أفندي الكهيه في محلة دكان شناوه .

والرسائل رقم ١ . ٢ (رسالتنا) بخط الفقير أحمد بن درويش الخطيب في جامع الشيخ معروف الكرخي عليه الرحمة غفر الله له .

في الصفحة الأولى التملك التالي : « قد تملكت هذه النسخة المباركة وكتبتها بيدي وأنا الفقير إلى الله سبحانه أحمد بن المرحوم الشيخ درويش ، الخطيب في جامع حضرة الشيخ معروف الكرخي عليه الرحمة . غفر الله له ولوالديه ولوالد والديه ولمن نظر في هذه النسخة المباركة ولمن دعا لهم بالمغفرة ولوالديه ولجميع المسلمين ولوالديه ، وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون » .

وآخر الرسالة رقم ٦ : « نقل من خط الشيخ محمد الكواكب عليه الرحمة » .

— ٣ —

ومخطوط بغداد هذا كثير الاضطراب والنقص ، ولعل العلة في هذا أن

المخطوط الأصلي الذي نقل عنه لا بد أن يكون قد كان مضطرب الأوراق ؛ فحدث فيه تقديم وتأخير في عدة مواضع أشرنا إليها في التعليقات أينما وردت ؛ واعتوره لهذا أيضاً نقص في عدة مواضع ، قد بلغت في أحدها قرابة عشرين صفحة !

لهذا كان لنا في المخطوط (وقد رمزنا له بالرمز ح = حلب) الذي تفضل فأعارنا إياه أستاذُنا الكبير ماسينيون عونٌ كبير ، وأيّ عون ! فقد استطعنا بواسطته أن نصلح أولاً من ترتيب الكتاب وتأليفه ؛ وأن نتمم مواضع النقص الكبيرة والصغيرة على السواء ؛ وأن نفيد منه في إصلاح بعض القراءات التي ندّ عنّا وجهها في مخطوطة بغداد .

على أن ما يعيب هذه المخطوطة ، مخطوطة تكية المولوية بحلب لما أن ظفر بنسخة منها الأستاذ ماسينيون سنة ١٣٣٩ هـ (= سنة ١٩٢٠ م) ، هو أنها كثيرة التحريف جداً بحيث لم يكن في استطاعة الأستاذ ماسينيون أن ينشر الكتاب عنها وحدها برغم انتباهه إلى أهميته الكبرى . ولو حاول المرء أخذ الناسخ بصورة كلامه وخطه بالدقة ، لعثر على عشرات التصحيفات في كل صفحة . لهذا ففائدتها ليست في إصلاح جزئيات النص وكلماته ، بقدر ما هي في إصلاح ترتيب تأليف الكتاب وإكمال المناقص فيه . ومن هنا لم يكن ثَمّ غنى لكل من المخطوطتين الواحدة عن الأخرى .

ثم إن مخطوطة حلب هذه يشتم في كثير من مواضعها أن ثمت يداً خارجية قد عملت فيها ، غير يد المؤلف أو الجامع الأصلي لها ؛ كما يظهر هـذا خصوصاً في آخر الكتاب ؛ فالفقرة الأخيرة مضافة من غير شك إلى الكتاب الأصلي .

لكن يلوح أن تحريفات نسخة حلب هذه إنما ترجع في الغالب إلى الناسخ لنسخة ماسينيون الخاصة ، لأن أغلبها ترجع إلى سوء قراءة من جانب الناسخ . أما المناقص فيها فقد تكون من فوات الناسخ الحديث هذا ، أو لعلها في الأصل المنقول .

وبالجملة ، فلا يسعنا هنا إلا أن نقدم أجزل الشكر لأستاذنا الكبير لوي ماسينيون على هذا الفضل ، وكم له من مِنَن لا تحصى على التصوف الإسلامي ودراسته !

ع . بدوي .

(١١ أ) كتاب مناقب سيدنا أبا يزيد البسطامي

رحمة الله عليه ونفع المسلمين من بركاته

(١١ ب) بسم الله الرحمن الرحيم رَبِّ يَسِّرْ

الحمد لله الذي أصعد قوالب الأصفياء بالمجاهدة ، وأسعد قلوب الأولياء بالمشاهدة ؛ وحلّى لسان المؤمنين بالذكر ، وجلّى جَنابَ العارفين بالفكْر ؛ وحَرَسَ سواء العُبّاد عن الفساد ؛ وحَبَسَ فوائد الزُّهّاد على السّواد ؛ وخَلّص أشباح المُتّقين عن ظُلَم الشبهات ، وأخلص أرواح الموقنين عن ظُلَم الشُبُهات (١) ، وقيّد أعمال الأخيار (٢) بأداء الصلوات ، وأيّد حصال الأحرار بإسداء الصِّلات . أحمده حَمْدَ مَنْ رأى آيات (٣) قدرته وقوّته ، وشاهد شواهدَ فردانيته ووحدانيته ؛ وطَرَّفَ طرائف سرّه وبِرّه . أشكره شكر من اخترف (٤) من شجر مجده وجُودِه ؛ واغترف من بحر فضلــه وإفضاله . وأؤمن به إيمان من آمن بكتابه وخطابه . وأنبيائه وأصفيائه ، ووعده ووعيده ، وثوابه وعقابه ، ونعيمه وجحيمه ، وجنّاته ونيرانه . وأستغفره استغفار من عرّف فضائح نفسه وقبائحها ، ومعايبها ومثالبها ؛

---

(١) وأخلص ... الشبهات : ناقصة في ح .

(٢) ص : الأخبار .

(٣) ص : رايات — ويجوز أيضاً .

(٤) اخترف النخل = صرمه واجتناه .

واعترفَ بكثرة ذنوبها وعيوبها ، وعِصيانها ونسيانها ، وكفرانها وطغيانها .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله ؛ — بعثه لأصلاب الفَسَقَة والفَجَرة قاصماً ، ولأسلاب الظَلَمَة والكفرة قاسماً ، ولبناء الشك والشرك والكفر والكفران قاصراً ، ولأتباع الحق والأحق والحُسْنَى والإحسان ناصراً ، ولجأش الضلالة [1] والفضول مغرقاً ، ولجيش المحال والعدول مُفَرِّقاً ؛ — فصلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأنصاره وأزواجه وأصهاره : أبي بكر : التقيّ ، وعمر : النقيّ ، وعثمان : الزكيّ ، وعليّ : الرضيّ — اللهم والِ مَنْ والاهم من عبادك ، وعادِ من عاداهم في بلادك ، إنك على ما تشاء قدير ، وأنت به جدير . أما بعد :

سألتني عن حديث الشيخ السيِّد السَنَد السديد ، سلطانِ العارفين [2] أبي أبي يزيد ، قدَّس الله روحَه ، ونَوَّر ضريحه ؛ وعن حاله ، وعن تفسير بعض ما أشكل مِنْ قالِه .

وقد سألني مِن قبلُ كثيرٌ أن أميّزَ لهم وأفرِّق بين قوم يُدْعَوْن بكُنْيته ، ويُعَدُّون في جملته ؛ ولا يُفرِّقون بين كلامهم وكلامه ؛ ولا يفرِّقون بين مقامهم ومقامه ؛ ويسوُّون بين منزلتهم في الأحوال ، ودرجتهم في الوصول ومرتبتهم في الأعمال ، ومنقبتهم في الخصال . فأوجبتُ على نفسي — بعد ما أجبْتُ القومَ إلى ذلك — أن أنزلهم منازلهم ، وأبيِّن درجة كل واحد منهم ، وأذكر منزلته (١٢ أ) وأعلن خطأ من خلط بينهم ، وأظهِر زلَّته ، وأُعرِب عما ينسب إليه من النطق ما جلَّ ودقَّ ، وسهَّل تفسيره وشقَّ ؛ وأفصِحُ عن إشكال ذلك الكلام (بعض) [3] ما أحاط به أفهامُ الأنام ، وأسحب على البعض منه ذيلَ التغافل ، وأغمِضَ دونه

---

(١) ح : الضلال .
(٢) سلطان العارفين ، ناقصة في ح .
(٣) الزيادة عن ح .

طَرْفَ التساهل : فعلم السر على السرّ ، ما لم يُفَسَّر ويُظْهر ؛ فإذا ظهر ما ستر من معانيه [١] وعلى السرّ [٢] الذي هو فيه ، يخرج [٣] عن ذلك البهاءُ والضياءُ والطراوة والحلاوة . رزقنا الله فهم أهاليه وعِلْمَ أعاليه ، فهو عليه قدير ، وتيسيرُ العسير عليه يسير .

اعلم — أيّدك الله — أن في المكنيين بايزيد [٤] وفورا ، ولكن ثلاثة منهم أنّي [٥] شَهِدْتهم شاهدتهم كباراً صدوراً : رووا الأخبار ، وحَوَوْا [٦] الآثار ، وخدموا الأخيار ، ونادموا الكبار . ثم أحد الثلاثة أكملهم عقلاً ، وأكثرهم فضلاً ، وأرضاهم سيرة ، وأصفاهم سريرة ، وأحسنهم كلاماً ، وأرفعهم مقاماً ، وأجلهم قدراً ، وأفشاهم ذكراً ، وأعظمهم منزلة ، وأفخمهم مَرْتبة ، وأعلاهم درجة ، وأسناهم منقَبة [٧] ، وأعجبهم شأناً ، وأوضحهم بياناً ، وأقواهم حجة ، وأقومهم مَحَجَّة ، — وهو أبو يزيد ، الذي ليس عليه مزيد [٨] — طيفور ابن عيسى بن شَرُوشان [٩] . وشَرُوشان كان مجوسياً ، فأسلم وحسن إسلامه ، واستسلم وجمل استسلامه .

سمعت شيخ المشايخ أبا عبدالله — بَيَّض اللهُ وجهه — يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : كان سبب إسلام شَرُوشان — جدّ أبي يزيد قدس الله روحه — أنه [١٠] كان يخالطه ويصاحبه وَلَدُ إبراهيم الذي ورد بَسْطام في بدء

---

(١) ح : معايبه .
(٢) ح : الستر .
(٣) ص : بخروج من .
(٤) ح : بأبي يزيد .
(٥) ح : إن .
(٦) ح : حوف — وهو تحريف من الناسخ ظاهر .
(٧) وأعلاهم ... منقبة : ناقصة في ح .
(٨) أي أبو يزيد — وهي ناقصة في ح .
(٩) ح : سروشان ، وكذلك في كل المخطوطة ح .
(١٠) ح : أن .

الإسلام . فسأله (١) عن ذلك والده ولامَهُ ، وأنكر عليه ذلك وقال له : لو خالطتَ غيره ، وصحبتَ الأعراب دونه ! خيرٌ لك (٢) رجلٌ مجوسي تصاحبه ، (و) تديم الأنسَ به ! فقال : أيها الأب ! رجلٌ مَرْضِي الخصال ، لا يردُّ السؤال ، سخيٌّ وَفِيّ . وإنما أصحبه لذلك . فقال : قل له إن أبي يجيئوك ضيفاً . فأخبَرَه . فقال : نعم ! إنْ فَعَلَ فَعَلَيَّ الهدايةُ والكرامة . فلما حضروا حَضَرَ شروشانُ الطعام . قال : لستُ آكله حتى تعطيني مُرادي وتقضي حاجتي . قال : وما ذلك ؟ قال : أن تُسْلِم . فقال : أفعلُ وكرامة ! وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول . وأسلم . وكان هذا سبب إسلامه . فبارك الله تعالى عليه وعلى آله .

وقد كثر اسم طيفور في قبيلته وقومه ، في يومه وغير يومه ، وفي الأجانب من كل جانب . كانوا يسمون باسمه ويكنون بكنيته تبركاً واستمداداً (٣) . ولكن هو ذلك الطيفور (٤) الذي هو نور على نور وبقي ذكره على وجه الدهور : ليلَه قائم . ونهارَه صائم . وقلبُه هائم . ولا يأخذه في الله لومةُ لائم . علِمَ ما لا يعلمه الأكياس ، وفهم ما لا يفهمه أجناس الناس (٥) . أصبح مقضيَّ الحاجة ، مَرْضِيَّ المحجة . قويَّ الحُجَّة ؛ كلَّ عن معرفة كلامه أفهامُ الأنام . وتحيّرت في معاني ألفاظه (١٢ ب) أوهامُ الخاص والعام : تُرْوَى ألفاظُه ولا تُرى أغراضُه . وتوصف عجائبه ولا تُعرف غرائبه . وتُجمع دقائقه ولا تسمع حقائقه . وتُعلم عباراته ولا تفهم إشاراته . ثبّت في طريق الله القَدَمَ . وخدم الخدم . حتى قدم وتقدم . وما نادم النَدَمَ .

---

(١) فسأله : ناقصة في ح .

(٢) خير لك : ناقصة في ص .

(٣) ح : استسعادا .

(٤) الطيفور : طائر صغير .

(٥) الناس : ناقصة في ح .

الآن تسمى محلة بويذان . وكان في تلك المحلة مسجد صغير يختلف إليه أبو يزيد دون مسجد أبي الحسنان الذي هو كان في جواره . يقال إنه إنما كان يفعل ذلك — والله أعلم — أنه إذا أراد دخول ذلك المسجد كان ممرُّه على الأعراب (الذين) يجلسون حول المسجد فيقومون له فيثقله ذلك . فليلةً من الليالي جرى على خاطره أن لو كان ذلك المسجد الذي يصلي فيه [كان] أوسع ! فأوقع الله تعالى في الوقت في قلب الواقد وحركه — وكان له مُتَبَنَّة بجنب المسجد — أن يضيفها إلى المسجد . فلما أصبح أخبر أبا يزيد بذلك ووسع المسجد بها . فهو المسجد الداخل . وأما المسجد الخارج فبناه عمي موسى بن أبي موسى سنة ثلاثمائة ، والمتقبل بهما أيضاً وهو بانيه وهو أوسع . ولكن الداخل أحب وأطيب . وإن كان المسجد بنَّياه على التقوى ، ولكن أمرَ أبي يزيد أقوى وقلبه أنقى وسره أصفى وبعهد الله أوفى . فعند اختلافه إلى تلك المحلة (١٣) بنَى تلك الصومعة التي تنسب إليه . فأحياناً كان يأويها من قبل . ثم سكنها . فالبيت الذي ولد فيه . سمعت بعض أقربائه يقول : كان أقرباؤنا لا يسكنونه احتراماً واحتشاماً (*) . ولكن يترددون إليه أوقات الصلوات . فيُصلّون فيه . وكان في الدار التي كان فيها (١) البيت الذي وقع ولادته فيه فيه رجل من أقربائه كان يقال له : معلم زرنكيران (٢) . فحكوا عنه أن أعرابياً نزل عليه في ذلك البيت فقال له : ربما شربتَ شيئاً محرماً فلا تدخله فإنه بيت الأبرار وموضع الأخيار فترى شيئاً لا تطيقه . قال : فمن قضاء الله تعالى أنه رجع إليه (ليلةً) (٣) سكرانَ (٤) وبات فيه . فلما أصبح رأى نفسه عُرْيانة ، وما كان عليه من الثياب وما في البيت من الأمتعة كلها مُحْرقة .

(*) إلى هنا ناقص في ح .

(١) ح ، ص : فيه .

(٢) ح : زديكران .

(٣) ليلة : ناقصة في ص .

(٤) ح ، ص : سكرانا .

سمعتُ الشيخ أبا عبدالله الداستاني يقول : سمعت [1] مشايخنا يقولون : خدم أبو يزيد [2] ثلاثمائة وثلاثة عشر أستاذاً ، آخرهم [3] جعفر الصادق رضي الله عنه (وكان يقول : كانا جعفرين [4] ، أحدهما أجلّ من الآخر والذي خدمه أبو يزيد كان جعفر بن محمد الصادق) [5] ؛ فسقى له سنتين ، وكان يسمى طيفور السّقا ، حتى قال له إني أرى فيك أثر جدّي ، أرى أن ترجع إلى بيت نفسك وتبني بيتاً وتنادي في هذا الخلق نداءاً — يعني تدعو الخَلْق إلى الله تعالى . فرجع ولم يسكن قلبُه . وكانت أمُّه في قيد الأحياء أمَةً غريبة في النساء مع الضياء والبهاء ، والستر والحياء ، والتواضع والدعاء ، والخوف والرجاء ؛ زاهدة عابدة ، صائمة قائمة ، عفيفة شريفة ، راضية مرضيّة ، رأت اضطرابه وانزعاجه فقالت له : اسكُنْ ! فسكن عما كان فيه وقال رحمه الله — : سدّ ! (يعني) [5] سكرتني إشارتُها ، وسددتني عن الاغتراب ؛ وسكت وسكن عن ذلك الاضطراب .

سمعت الشيخ أبا عبدالله يقول حاكياً عن مشايخه إن عيسى ، والد أبي (*) يزيد رحمه الله ، لما تزوج بأمه وزفتها لم يباشرها ويلامسها أربعين ليلة حتى علم أن لم يبق في جوفها أثر ما أكلته من قبل وتناولته فيما عبر من الأيام التي كانت في بيت والدها . ثم لما باشرها ظهر من أولاده مثل أبي يزيد رحمه الله .

سمعت بعض أقرباء أبي يزيد قال : سمعنا قدماء قالوا : ولدته أمُّه في مَحلة يُقال محلة موبدان . وموبدان كانوا أجداده . ثم رجع إلى محلة وافدان . ووافدان كان أعرابياً سكن تلك المحلة فتنسب المحلة إليه . وهي

---

(١) ح : سمعنا .

(٢) ح : أبو يزيد رضي الله عنه .

(٣) ح : أستاذاً آخر منهم ...

(٤) ح : جعفران .

(٥) الزيادة مأخوذة عن ح .

(*) ما بين هاتين العلامتين ناقص في ح .

فلما أصبح نادى المعلم ودعاه بإزار اتّزر به . وأقرّ بما قيل له وتاب وانتقل من تلك الدار إلى غيرها خوفاً مما أصابه من العذاب والعقاب [١] . ورأى من الآيات والكرامات .

وسمعت الشيخ أبا عبدالله يقول : نُفِي عن تلك المحلّة فانتقل إلى محلة وافدان ، ولا يهولنك عن حكايته ذلك وأنه لقي محنة الأولياء وبلاء الأصفياء ! أقلُّ شيء يذكر ولا ينكر .

سمعت [من] داعي العلوي الصوفي الاستراباذي أن أبا يزيد نُفِي من بِسْطام سبع [٢] مرات .

وسمعته أيضاً يقول : كلّ يوم لم يجد [٣] فيه أبو يزيد ولم يلحق به بلاء ولم يُصبْه عناء كان ينادي ربه فيقول : إلهي ! بعثتَ إليّ اليومَ خبزي وما بعثت إليّ بلائي آكله معه ! قال : كان يسأله البلاء . وكان الكياداعي — رحمه الله — إذا ذكر حديث بلاء الرجال والأبدال يقرأ هذا البيت بالفارسية :

مراد نيست . كان چون تمكين نشوذ بغمكناذ شوذ . وغم فراز گيردوام [٤]

سمعت بعضهم يحكي بإسناده عن أبي يزيد — قدس الله روحه — أنه كان يقول : « إلهي ! تعذّب أقواماً (يعني) [٥] في النار غداً من الأجنبية لا يعرفون مُعَذِّبَهم ، فهلاّ تعذبني فأعرف مَنْ مُعَذِّبي ؟! » قلتُ أنا : يكون البلاء للولاء [٦] كاللهب للذهب والكَلَف للشرف : وهو ابتداء الحال يمتحن به

---

(١) ص : العقابة .

(٢) ص ، ح : سبعة .

(٣) فعلي من وجد يجد وجداً .

(٤) ص : فراز كبير دووام . — ومعنى البيت . « لا يبلغ المتمنى ، لأنه إذا كان المنجم خالياً صار لأصحاب الهموم ، وصاحب الهم الكبير يسترد دينه » .

(٥) الزيادة عن ح .

(٦) ح : للولاء كالأولياء كاللهب ...

الرجال ، أرباب الوقت والحال ، مرتادي الوصال ومريدي الاتصال .

سمعت الشيخ أبا عبدالله — وقد كان يحكي عن مشايخه رضي الله عنهم (١) — أن أبا يزيد كان يجد ولم يعلم ما يجد ، فكل من (٢) دخل عليه سأله عن ذلك فيقول له : تعلمُ لوجع قلبي هذا دواءاً ؟ وكان (٣) لفظه دُوَيّاً (٤) . قال : فكان (٥) يقول بعضهم : تأكل كذا ، ويقول بعضهم : تشرب كذا — حتى ورد الحجَّ مرة ودخل عليه بعضهم زائراً وقد اشتهر صيته وبَعُدَ صيته فقال له ذلك ، فأجابه ، فقال : إني وجدت في بعض الكتب أن الله تعالى إذا أراد أن يتخذ أحداً حبيباً أخذ قلبُه في الإيتاق والاشتياق حتى صَفّاه ، فإذا صفّاه أعشقه إلى نفسه وعشق عليه ، يعني حَبّبه إلى نفسه وأحبّه . قال : سمع ذلك عَلِيمَ ما به ، فقال له : تركت الجمل جانباً والغبيط جانباً (١٣ ب) وقد جئت وقلت إن شئت أم أبيْتَ . قال : فعند ذلك عَلِمَ أن (٦) ما يجد في قلبه وجعٌ يحصل من اشتياق قلبه إلى الله تعالى ومن مطالبة فؤاده من الحق تعالى . فنال وُصلةً وقُرْبةً فاشتغل بعبادة الله تعالى وبخدمة (٧) الأم حتى بلغ ما بلغ . —

سمعتُ شيخ المشايخ أبا عبدالله يقول : هم ثلاثة إخوة وأختان (٨) : أبو يزيد وآدم وعلي . فآدم كان أكبرهم سناً . وعلي أصغرهم ، وأبو يزيد وُلد فيما بينهما . وأبو موالى خادم (٩) أبي يزيد . وابن أخيه . وولد آدم ،

---

(١) رضي الله عنهم : في ح : قدس الله أرواحهم .
(٢) ص : فكلمن .
(٣) ح : لفظه .
(٤) بالهامش : أي كان دو ، وتحتها : تصغير دواء .
(٥) ح : وكان .
(٦) ح : أن لم يجد .
(٧) ح : خدمة .
(٨) ص ، ح . اختين .
(٩) ح : خادم خادم أبي يزيد وولده آدم وقد ...

وقد اجتهد في خدمته وجَدَّ في تعهده ووُدِّه ، وبالغ في حشمته وحُرْمته حتى نُقل [1] (أنه) : كان أبو موسى يحفظ على أبي يزيد أوقات الصلوات حتى كان يتردد إلى باب نوحان ، — ونوحان موضع فسيح لم يكد بينه وبين رؤية الصبح حجاب — فإذا رأى الصبح قد انفجر أعلمه ، (فـ) يبرز إلى المسجد من صومعته . قال : فلما كان في الليلة[2] التي ودع فيها روحه حضره وأعلمه فلم يخرج ، فدقَّ البابَ فلم يجب — إلى أربع مرات . فصاح به وقال : يا أبا يزيد ؟ قال : ولم يكن قط يسميه باسمه احتراماً له واحتشاماً سوى تلك الليلة . فلما تيقن أنه غير بارز ، علم إنما يمتنع عن الخروج بسبب ، ففتح[3] الباب فوجده خارجاً عن الدنيا . سمعت شيخ المشايخ يقول : لم يكن لأحد علمٌ بوفاة أبي يزيد إلا أنه كان أشار إلى بعض تلاميذه [4] — واحد يقال له عبدالله يونابادي (رستاق) [5] — قرية بقرب البلد — جاء لزيارته ، أراد أن ينصرف إلى قريته فاستأذن على الخروج فقال له : لا تمشِ [6] حتى تصلي الجنازة ، ولم يكن يعلم الرجل ما تلك الجنازة ، إلا أنه علم صدق قوله [7] فلم يستخبره علمها — حُرْمةً — فلما أصبح كانت الجنازة جنازة نفس أبي يزيد (رضي الله عنه) [8] .

سمعت شيخ المشايخ [9] حاكياً عن مشايخه أن تلامذة أبي يزيد رحمهم الله كانوا يتذاكرون يوماً الحُرْمةَ — يعني حرمة الأستاذ والشيخ — فكان [10]

---

(١) حتى نقل ... : ح : حتى سمعت الشيخ أبا عبدالله يقول : كان أبو موسى ...

(٢) ح ، ص : ليلة .

(٣) ح : فتح .

(٤) ح : تلامذته أحد ...

(٥) الزيادة عن ح . وقوله : قرية بقرب البلد ... لزيارته : ناقصة في ح .

(٦) ص : لا تمشي — في ح : لا تخرج .

(٧) ص : ولم .

(٨) الزيادة عن ح .

(٩) ح : سمعت الشيخ أبا عبدالله حاكياً ...

(١٠) ح : وكان .

يقول كل واحد منهم شيئاً — وأبو موسى يجتاز [1] بهم مشتغلاً بأمر الخانقاه والزائرين ، فقالوا له : [2] قل أنت أيضاً في الحرمة شيئاً ! فقال : لو أن الله تعالى فتح على العبد شيئاً أضوأ من هذا الشمس ، فدعاه الأستاذ إلى أُمَيْر من أمور الدنيا فيترك ذلك ويرجع إلى ما يدعوه أيقول [3] أن يكون ذلك شويئاً [4] من الحرمة ؟

سمعت (من) بعض أقرباء أبي يزيد أن أبا موسى كان يخدمه وكان يبالغ في خدمته وحُرْمته في صحبته . فرأى نفسه مُقصِّراً فيها ؛ فجرى على خاطره أن لو كان لأبي يزيد خادم [5] بدلاً منه أبلغ في خدمته ! فالتفت إليه أبو يزيد وقال : اتركْ — يعني خاطرك — . فقد كنتُ أحتاج في جميع ما أنا فيه إلى خادم [6] ، وقد كان لي ذلك — يعني لا مزيد عليك .

سمعت [7] أبا عبدالله يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : إن أبا موسى من كثرة حُرْمته لأبي يزيد أمر لحافر قبر نفسه أن يجعله أسفلَ من قبر أبي يزيد بالحفر . كي لا يساوي لحدُه لحدَه — حرمةً له .

سمعت شيخ المشايخ يقول : سمعنا مشايخنا يقولون إن أبا موسى قال : نقلتُ (١٤ أ) إلى قبري أربعمائة كلامٍ لأبي يزيد ما وجدت لها أهلاً أذكرها منه .

سمعت الشيخ أبا عبدالله يقول : سمعنا المتقدمين يقولون : قال أبو

---

(١) ح : يختار .
(٢) قل : ناقصة في ص .
(٣) ح : أيقول ذلك أن يكون ...
(٤) ح : شويا .
(٥) ص : خادماً .
(٦) ح : خادم مثلك .
(٧) ح : وسمعت الشيخ .

يزيد[1] : ينبغي أن تكون قلباً كقلب أبي موسى . فكان[2] الشيخ أبو عبدالله يقول بالفارسية :

آن دل دلين[3] به نه دل كلين[4]

قال : وسمعته يقول : بلغ أبو موسى مبلغاً عرف كل ما جرى على قلب أبي يزيد ، فقال : يا رب ! استردَّ مني هذا . فإني أرى ذلك تركَ الحُرْمة — يعني أن أعرف كلَّ ما يجري على قلبه . لم يقل شيخ المشايخ إن الله تعالى استرد ذلك عنه ولكن قال : ستر عليه — حتى مضى أبو يزيد لسبيله . فلما مضى ، بلغ أبو موسى مقامه ودرجته في الرفعة . قال : وإني لأستحسن هذه الحكاية منه . وهي حكاية مفيدة حكاها لنا الشيخ أبو عبدالله عن مشايخه عن أبي موسى رحمه الله أن يومَ القيامة يُؤتى برجل من طريق النار على حالة صعبة شديدة . ويؤتى بآخر من طريق الجنة على حالة أحسن ما يكون . فيراد أن يزداد الذي يؤتى من طريق النار ألماً ووجعاً فيقال له : ترى ذاك[5] الذي يحمل إلى الجنة بتلك الزينة ؟ هو فلان . فيقول : نعم ! كنت سمعت اسمه[6] في دار الدنيا . قال : فيُبلغ اللهُ صوته[7] ذلك الولي فيقف مكانه فيقال له : لِمَ لا تذهب ؟ فيقول : لا أبرح من مكاني حتى يكون معي من سمع باسمي . قال : فينادَى : وهبناه منك ! خذ بيده واذهب به إلى الجنة — وكان الشيخ أبو عبدالله يقول إذا حكى هذه الحكاية : فيقول هذا لمن سمع الاسم . فكيف لمن رأى ولمن صَحِب !

---

(١) ح : أبو يزيد قدس الله روحه .
(٢) فكان : ح : وكان .
(٣) ح : دليني .
(٤) ح : كليني — ومعنى البيت : « القلب القلبي خير من القلب الكلي » — يقصد أن القلب المتعلق بشخص معين خير من المتعلق بالجميع .
(٥) ح : ذلك .
(٦) ح : باسمه .
(٧) ج : وصوته .

وقد مضى أبو يزيد لسبيله وأبوموسى كان ابن اثنتين(١) وعشرين سنة . وَلَد أبو موسى هذا (٢) أولاداً أربعة : منهم عَمِّي موسى وكان من الرجال الكبار وصاحب الكرامة والفراسة ؛ وكان من الدهش في باب الله تعالى بحيث لم يميز بين أولاده وأحفاده وأولاد غيره وأحفاد مَنْ سواه (٣) . وواحد كان أبو يزيد القاضي : كان ممن يتولى قضاء بسطام في أيام ، وله في المعرفة تصرّف حتى بلغنا أنه كان له أربعمائة كلام يحكى عنه في طريق المعرفة ، يرتضيها أهلُ الصنعة حتى قيل لبعض أهل الديار ممن تُعْرَف حاله ، ويوصَفُ قالُه : إنك تزيد على أبي يزيد في الكلام وترث به الملام . قال : إنما أريد على هذا ، لا على ذاك (٤) . وذكرت نسبه وحسبه ، وهو أبو يزيد الثاني .

سمعت (٥) شيخ المشايخ يقول : حكى لنا المتقدمون أن أبا يزيد (٦) رأى في أبي موسى تقززاً ، فقال : « ما هذا التقزز وإني لأراك (٧) بين مهدين تحركهما ؟! » — فكان من قضاء الله أنه كان له ولدان ، فغابت أمُّهما ليلة فبكى (٨) كل واحد منهما . فجلس أبو موسى بين مهديهما يحركهما ؛ فتذكر قول أبي يزيد فقال : صدق أبو يزيد : « إني أراك بين مهدين » — فكان أحدهما مَهْدَ عَمِّي (موسى (٩)) والثاني مهد أبي يزيد هذا ، وواحد

---

(١) ص ، ح : اثنين .

(٢) هذا : ناقصة في ح .

(٣) ح : يميز بين أولاده وأحفاده من سواه ، هكذا سمعت الشيخ أبا عبدالله رضي الله عنه ما ذكرت أصله وقد بقي نسله ، شملتهم البركة ، كثرهم الله تعالى ، وواحد كان أبو يزيد ...

(٤) ص : ذلك .

(٥) ح : وسمعت شيخ المشايخ عبدالله الداستاني يقول ...

(٦) ح : أبا يزيد قدس الله سره ... تقززاً ... — وفي الأخيرة تحريف ظاهر .

(٧) ح : وإني لأزال بين مهدين يحركهما .

(٨) ح : من الليالي فتكامل واحد ... وهو تحريف ظاهر .

(٩) ح : الزيادة عن ح .

كان يقال له همدانوا [1] ، وواحد كان يقال له أبو عبدالله — قال [2] : وموسى هذا أحد الرجلين ممن يكنى بهذه الكنية من تلامذة [3] أبي يزيد . وهو الذي قد ناب عن أبي يزيد في حياته وبعد وفاته [4] . وفي إقامة رسمه وإبقاء اسمه ، وإحياء آثاره وإفشاء أخباره . ولولا أنه كان (١٤ ب) أمياً . وإن لم يكن عامياً ، كان ذكرُه أكثرَ واسمُه أشهرَ وجهدُه أظهرَ وجُودُه أتمّ .

وسمعت الشيخ أبا عبدالله يقول : كان مشايخنا يقولون : أبو يزيد الأكبر أيضاً كان أمياً ؛ وإن شُك في تمام علمه الظاهر فلا ريب في كمال علمه الباطن . فكان المشايخ [5] يقولون : كان مشايخنا يقولون : طعن بعضُ العلماء [6] في كلامه فقال : أليس [7] هذا الذي يقوله في العلم ؟ : فأجابه : أكُلَّ العلم قد بلغت ؟ قال : لا ! قال : هذا من العلم في النصف الذي لم يبلغك . وبلغنا أن بعض العلماء طعن في كلامه وقال : ليس بالذي يقول [8] في العلم . فقال له : انظر في كتابك الفلاني إلى ورقة كذا حتى تجد ما أقوله منها . — ففتش عنها فوجد فيها ما أشار إليه من العلم الدالّ عليه .

سمعنا الشيخ أبا عبدالله يقول : سمعنا مشايخنا يقولون إن أبا يزيد قال : « إلهي ! لا تجعلني عالماً ولا زاهداً ولا متقرباً [9] . فإن أهلتني فأهلني لشويء [10] من أشيائك » — يعني : أهلني لشيء من أسرارك ومعانيك .

---

(١) ح : همذانه نو .
(٢) ح : أبو عبدالله فأبو موسى هذا ...
(٣) ح : تلازمه ... وهو تحريف ظاهر .
(٤) ح : مماته .
(٥) في صلب ص : الشيخ ، والتصحيح بالهامش ؛ وهو في ح : الشيخ .
(٦) ح : طغى بعض العلم في كلامه — وهو تحريف ظاهر .
(٧) ح : ليس .
(٨) ح : تقوله .
(٩) ح : متعربا .
(١٠) ص : لشيء .

سمعت [1] [من] يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : قال أبو يزيد : يا شبيبة العلم [2] : اطلب في العلم العلم ، فغيرُ ما أنت فيه من العلم علم . ويا شبيبة الزهد ! اطلب في الزهدِ الزهدَ ، فغير ما أنت فيه من الزهد زهد . ويا شبيبة التقوى ! اطلب في التقوى التقوى ، فغير ما أنت فيه من التقوى تقوى [3]

فالذي ذكرتُ بعض حكاياته وأشرت إلى بعض هداياته ونشرت بعض آياته هو أبو موسى الأكبر . وهو الذي أثمر عمره وأمره [4] في حسن اعتقاده واعتساده في تلك الصحبة العزيزة . ولم يرث [5] أولاد علي – أحد أخوي أبي يزيد – ما ورث أولاده وما استفاد أحفاده ما استفاد أحفاده ، وإن في قوم عليٍّ كثرةً ؛ ولكن ليس لهم الرواء من البهاء والعلوم والعقول والصيت والقبول ما لهم . وهم عن آخرهم سعداء بانتسابهم إلى ذلك الكبير وانتمائهم [6] إلى ذلك الأثير . أصابنا اللهُ تعالى بركاتِ أجمعهم – هذا ذكر أبي موسى ، ابن أخي سلطان العارفين شيخ بايزيد البسطامي قدس الله روحه .

فأما أبو موسى الثاني (فـ) هو أبو موسى الدَّيْبُلي ، صاحب عبد الرحيم [7] بن يحيى الأسود الزاهد الدَّيْبُلي [8] . وَرَدَ على أبي يزيد زائراً ، فلما سمع كلامه أطال عنده مقامه وأكثر من فوائده وحفظ من نطقه [9] ما لم يحفظه كثير من الغرباء الزائرين له والواردين عليه . فلما أراد الانصراف عن حضرته ، نصحه . والذي أفصح عن ذلك النصح ما سمعت أبا عبدالله محمد بن

---

(١) ح : وسمعت .

(٢) ص : العالم .

(٣) ورد هذا الموضع مضطرباً في كلتا النسختين فأصلحنا الواحدة بالأخرى .

(٤) وأمره : ناقصة في ح .

(٥) ولم يرث : ناقصة في ح .

(٦) ح : وانتهائهم .

(٧) ح : عبد الرحمن بن يحيى الاسواد الدبلي .

(٨) نسبة إلى ديبل بضم الباء الموحدة وسكون الياء المثناة ، وهي قصبة بلاد السند .

(٩) ح : نقطة .

عبدالله الشيرازي الصوفي يقول : سمعت أبا النجم[(١)] البردعي المزكى بشكور[(٢)] قال : سمعت عبد الرحيم القنّاد يقول : سمعت أبا موسى الدّيْبُلي يقول : قال أبو يزيد في وقت انصرافي من عنده : « يا أبا موسى ! أنت سائر إلى بلد أرمينية ؛ فإن رأيت إنساناً يتكلم في هذه العلوم[(٣)] وواحد ينكره وآخر يقيمه ويؤمن به ، فقل للذي يؤمن به يدعو الله ، فإن دعاءه مستجاب » .

فأبوا موسى اللذان[(٤)] ذكرت حديثهما كثيرا الرواية عن الشيخ أبي يزيد ؛ ولا ريبة في روايتهما عنه . فما روَيا (١٥ أ) فهو صحيح وهو عن أبي يزيد الأكبر . وأكثر مرادي في إطالة حديثهما أن تعرفهما به وتنسبهما إليه . وقد كانت له أحباب وأصحاب يروون عنه . فإذا أثبتّهم عرفْتَ صحة رواياتهم ؛ وما يروون منسوب إليه ، لا إلى غيره .

فمنهم أحمد بن خضرويه[(٥)] : — جاء إلى عنده[(٦)] زائراً له[(٧)] في ألف رجل من تلاميذه ، مع كل واحد منهم سر[(٨)] . وعند كل واحد منهم بُسْرِءْ[(٩)] .

* (٥ نسخة ح : ص ١٥) ولقد سمعت الشيخ أبا عبدالله يقول : سمعت

---

(١) ص : أبا المنجمة .
(٢) ح : بشهور .
(٣) ص : بهذا ؛ وفي ح : يتكلم هذا .
(٤) ص ، ج : اللذين .
(٥) ص : حضرويه .
(٦) ح : جاء عنده .
(٧) ص : مع .
(٨) ص : مع .
(٩) مشكولة في ص .
(*) من هنا نقص في نسخة بغداد إلى قوله : فلما أيس من الظفر (بعد صفحة ٧٤ س ١٨) ؛ وكذلك يضطرب النص في نسخة بغداد فيرد هنا صفحات عديدة موضعها بعد في أواخر الكتاب حسبما نشير من بعد .

مشايخنا يقولون : ورد أحمد بن خضرويه من بلخ باب سكة أبي يزيد . فوقف عليه والتفت إلى تلامذته ، وهم ألف نفر ، فقال لهم : كل من له أن يطير في الهواء ويمشي على الماء وتستجاب دعوته إذ دعا — وكان يَعُدُّ أمثالَ ما ذكرت من الكرامات — : تعالوا ندخل على هذا الشيخ ! ومن لم يكن له ذلك فانصرفوا فلا تصلحون لذلك . قال : فلم ينصرف منهم أحد ؛ فكلهم كانوا بتلك المثابة ، وكان لكل واحدٍ منهم تلك الكرامة ، وقد بلغ تلك المنزلة ، ولحق تلك الدرجة . ثم (لما) لم ير انصرافهم ، قال لهم : تعالوا حتى نرى أنفسنا كدرهَمٍ لا يأخذه أحد بشيء . فدخلوا عليه . و (لما) سمع كلامه أبو يزيد لم يقف عليه ولم يدركه . قال له : انكص على عقبك في كلامك قليلاً حتى أعرف ما تقوله .

ثم لما فرغ أبو يزيد من الكلام قال له أحمد : إني رأيت أبا مُرّة على باب السكة مصلوباً مضروباً . فقال له أبو يزيد : إنما يضرب [1] اللصوص على أبواب السلاطين .

فلما خرج أحمد من عنده قال : كل من رأيته دعوتُه « إلى » الله تعالى ، غير أبي يزيد : فإني قد دعوته « من » الله تعالى .

وإن في دار أبي يزيد كان بيت [2] يسمى بيت العصا . فوضع القوم الذين كانوا مع أحمد عصيّهم فيه . وهي ألف عصا ، مع كل واحدٍ منهم واحدة .

فأحمد بن خضرويه هذا من رواته . فما يروى هو (ح : ١٦٠) (صحيح) .

وإن أطلق اسم أبي يزيد فهو أبو يزيد الأكبر .

وهكذا أبو إسحق الهرمي : — يقال له إبراهيم استنبه — كان من زوّاره

---

(١) ح : يصرف .
(٢) ح : بيتاً .

والقائلين بفضله وأنصاره . ولقد سمعنا مشايخنا يقولون إن أبا يزيد كان يستقبله إلى ناحية أبيان . وهي قرية على فرسخ من بسطام ، ولعله يشيعه إلى تلك البقعة على الغالب من ظني . فما يرويه فهو مما كان من عند أبي يزيد الأكبر ومما جرى فيه . وسيأتي من بعدُ حكايته وروايته إن (شاء) الله تعالى .

ومنهم سعيد المنجوراني : — كثر تردده إليه . كان يدور في البلاد ويجمع كلام العارفين والأحبّاء . فما وجده غريباً عجيباً يورد عليه . فلما سمعه أبو يزيد أنفصح عن شيء ، وتكلم به حتى صار ما قاله وأورده ضئيلاً في جنبه . صغيراً في الإضافة إليه . تافهاً في الاشتباه (به) .

وسمعت الشيخ أبا عبدالله يقول : صارت أنملته عريضةً من كثرة ما كتب .

ومنهم سعيد الراعي : — قبره على قبره على باب بلد بسطام . كان صاحب الكرامة والفراسة واللقاء ، واختص بدرجة الفناء ومنزلة البقاء . تاب على يديه .

سمعنا مشايخنا يقولون : كان سعيد راعياً على امرأةً منهم . وكان قومه نازلاً ناحية قرية يقال لها « استاذج » . فقصدها ليلةً من الليالي وهي ليلة ضنك وقذر ، فبقي يرقبها ، أراد أن يظفر بها من غير أن يراه أحد ، فبقي على حالته ولم (ح : ١٧) يظفر عليها بحيلة ، حتى حان وقت السحر .

فلما أيس من الظفر عزم على الانصراف ؛ (فـ) رأى الشيخ أتى عليه ولم يكن به خبيراً ، وذلك من اشتغاله بحاله . (هنالك) لامَ نفسَه ورامَ بالله تعالى أُنسَه ، وتفكر في دناءة حاله وغلبة مُحاله وسوء أفعاله وقبْح خصاله . (فـ) ندم على ما عبر (١) من أيامه واستغفر من ذنوبه وآثامه . وقصد باب أبي يزيد ، فلما بلغ مسجد أبي يزيد (٢) رآه مغلقاً ، تفرّق الناس بعد جمعهم فيه وهو —

(١) ح : حبر — وهو تصحيف .

(٢) ح : مسجده .

أنار اللهُ برهانه — كان رجع إلى صومعته ، فوضع خده على عتبة المسجد ، فغلبه النوم فبقي على حالته حتى خرج أبو يزيد ، فوجده نائماً على تلك الحالة ، فتبسم وعلم أن قد عمل فيه فكره ، ونفعه ذكره . وذاك أن أبا يزيد جلس قريباً من رجوعه ، متفكراً في كثرة غفلة الناس ، وغلبة الغرّة والوسواس . فخطر بباله أن لو دخل في صحبته ، متعلقاً بمحبته ، من كل قوم وحرفة أحدٌ ، يكون سبباً لخلاص الباقين منهم . وجرى على خاطره أن الرعاة أكثر غفلة وأظهر غرّة من أجناس الناس ، لو دخل منهم أحد وصحبه لحصول ذلك الرجاء واستجابة ما جرى على ما فيه من الدعاء ! ثبت السعيْد وسعْد [1] ، ونبت على الصلاح والفلاح ، وصعد حتى بلغ مرتبة [2] الرجال ومنقبة [3] الأبـــدال .

سمعنا مشايخنا يقولون : إن يوماً من الأيام طلب سعيد المنجوراني (٢٣ أ) أبا يزيد بإظهار كرامة منه عليه [4] . فأشار إليه . فلما قصده لم يجده على غنمه ، والذئب يدور حول الغنم بحفْظَة [5] . فلما حضر جالسه وآنسه . فأخرج السعيد الراعي [6] كساءه ووضع بين يديه ما فيه من الطعام . فأخذ سعيد المنجوراني يباسطه الكلام حتى قال : إني لأشتهي العنب — أراد تجربيه ؛ أن يرى من الكرامة نصيبه . فأخذ السعيد الخشبة التي كانت معه وكسرها وغرز نصفها على أحد جانبي نهر كانا جالسين على شطه . والنصف الثاني غرزه على الجانب الذي هو عليه . فأثمرت بقدرة الله تعالى : ما كان من جانب المنجوراني العنبَ الأسود ، وما كان من جانب نفسه العنبَ الأبيض . فقال سعيد الراعي :

---

(١) مأخوذ من المثل المشهور : انج سعد فقد هلك سعيد .

(٢) ص : مرتبته .

(٣) نبقته .

(٤) عليه : ناقصة في ح .

(٥) الحفظة = الغضب والحمية .

(٦) الراعي : ناقصة في ح .

لسعيد المنجوراني : كُلُّه . فقال له سعيد المنجوراني : كيف الذي [1] هو من جانبي أسود ، وما هو من جانبك أبيض؟ قال : لأنك تمنيته وطالبته [2] . وما ظهر من جانبي لم يظهر بإرادتي وأمنيتي . فلما أراد أن يفارقه قال له : هب مني هذا الكساء . فقال له سعيد الراعي : وهبته منك بشرط أن تحفظه ولا تضيعه فيسرقه السارق . فانصرف السعيد مع الكساء إلى بيت الله الحرام . ولم يزل كان يحفظه حتى كان وقت من الأوقات كان بعرفات نازلاً أودعه عند إنسان واشتغل [3] بأمر . فلما رجع إليه وطالبه به لم يجده [4] . فقال : كُرْد كايم برد — ذهب الراعي بالكساء — حتى رجع إلى بسطام فرأى الكساء في يد سعيد الراعي . فعلم أنه هو الذي رفعه وحمله . فطالبه به فقال له سعيد الراعي : أليس أني قلت لك : احفظه كيلا يسرقه السارق — أراد أن يريه [5] قوة نفسه وعجزه . إظهاراً لفضل أستاذه وشيخه أبي يزيد قدس الله روحه .

ومنهم خطاب [6] الطرزي رحمه الله : — جاوز الحدّ وفاز بما لا يأتي ذكره بالعد ، وله بتلك القرى بيت الضيافة [7] والقِرى ، واستفاد من ذلك الكبير خَلْقٌ كثير ، دعاهم إلى الله فاقتدوا به واهتدوا بقُرْبته وقرابته . بلغ عَمِّي اسماعيل — رحمه الله — تلك الدرجة السنية حتى قال : لو جعل جل عمري سبعين سنة أو أكثر من ذلك على طبق [8] وعُرِضَ على الله ، لم يستحي منه بسبب شيء من ذلك قل أو كثر .

---

(١) ح : الذي ما هو .
(٢) ص : إنك — وطالبه مطالبة : طلبه بحق .
(٣) ح : استغل .
(٤) ح : فلم يجده . والعبارة الفارسية معناها : ذهب الراعي بالكساء .
(٥) ص : يراه .
(٦) ح : حطاب .
(٧) س : الطيافة .
(٨) على طبق : ناقصة في ح .

ومنهم أبو منصور الجينوي رحمه الله : — بلغ الغاية وأوفى على كل نهاية من تلك الدرجات والفوز بالنجاة من النفوسية والأنائية والبشرية . فطوبى له وحسن مآب . فاز قومٌ بصحبته ومحبته ورؤيته وروايته ، وعاشوا في ولايته ودولته ؛ رُفِع رايته ، وقُرِيء آيته ، ورُوي هدايته ، ورُؤي كرامته ؛ وما لم يظهر من حاله ، وجميل قومه وآله ، أطنبُ من أن يذكر وأسهب من أن ينشر . أصابنا الله تعالى بركات حركاته في عاداته وعباداته ؛ فهو وليّ ذلك والقادر عليه .

سمعت (*) أبـا عبدالله يقول : كان لأبي منصور تلميذ يقال لـه الأوَيْرِيْكي — من قرى جرجان . اختلف إليه أحدَ عشرين سنة ، كل سنة زاره مرة ، فأتي بقمقمة مملوءة من الرُّبّ (١) . فكان كل مرة يسأله عن اسمه وعن موضعه يتجاهل ويأمر بإمساك قمقمه تجريباً له وتهذيباً ؛ ولم يؤثر فيه ذلك ولم يصحبه بسببه شر وضر . حتى كان رأس أحد وعشرين دعاه ونفخ في فيه ، فخرج من عنده وانصرف عنه فرحاً صائحاً : مَن مثلي وإن أبا منصور قد نفخ في فمـي !

قال الشيخ أبو عبدالله : أظهر الله تعالى بركة ذلك النفخ في فيه وفي غيره حتى أصابت بركته ألف نفر وصاروا عن آخرهم أهلَ المعرفة . فهؤلاء أربعة من كبار تلامذة أبي يزيد وأخيار أصحابه الذين أصابتهم بركة صُحْبَتِه ويُمْنُ دولته . أهالي الأعالي (٢٣ ب) والمعالي . وأرباب اللقاء والبقاء ، مكرّمين بالوصول والجود قلوبهم . مفخّمين بالركوع والسجود قوالبهم .

(هؤلاء هم) أبو موسى خادمه وابن أخيه . وسعيد الراعي . وخطاب الطرزي . وأبو منصور الجينوي — وجينوي قرية في جهينه ناحية جرجان . وكان أيضاً في صحبته (و) خدمته ستة من أهل الفراسة والكرامة والمعرفة

(*) ما بين العلامتين ناقص في ح .

(١) الرب بالضم والتشديد : سلافة خثار كل ثمرة بعد اعتصارها ، وثفل السمن .

والمحبة لم يبلغوا درجات من عرّفتهم بالكمال ، ووصفتهم بالوصال :

فمنهم محمود الكهياني [1] – وكوهيان قرية على فراسخ من بسطام .

أبو عبدالله يقول : سمعنا المتقدمين يقولون : إنه كان من سلامة القلب بحيث لا يحسن الدعاء – يعني على حسب ما يدعو من لفظه فيصح وكلامه صحيح ، فاحتاج أهل قريته وناحيته إلى المطر أن يأتيهم . فقيل له : ادع الله تعالى ليسقينا ! فقال : كيف أقول ؟ قيل له : قل بالفارسية : وارنمان [2] كو – وهذا [ألسنهم و] لسانهم . يعني نحن محتاجون إلى المطر . فذكر ما قالوا : فمطروا في الوقت والحين . فيا لها من إسلام ودين ومعرفة ويقين بالإشارة ! يأتي المطر في الحين ! إنما أتم الله ذلك القدر وأظهر ذلك الأثر لقيام ذلك الرجل الصالح بما نهى الله تعالى عنه وأمر .

سمعت الشيخ أبا عبدالله : حكي مشايخه أنه خرج يوماً من مسجده راجعاً إلى بيته فرأى إبليس متردداً إلى باب داره . ففتش عمّا رابه وأصابه . فرأى طنجيراً فيه شيء [3] من اللبن ، فاتهمه . فسأل عن حاله فقيل له : إنما أخذ ذلك من عريف القرية . فأخذ بحواشي الطنجير وأتى به إلى الصحراء وقلبه وقال : هذا الذي اداره ناحية [4] بيتي وحوالي داري . فلما كان وَرعه وزعله ما ذكرت كان درجته ومنزلته ما فسرت .

ومنهم محمد الراعي – راعي الإبل – : يحفظ كلام أبي يزيد ويحكيه لكل أحد فربما ينكره بعضهم . فذكر ذلك لأبي يزيد فقال له أبو يزيد : لا تذكر كلامنا هذا مع كل أحد [5] . دعه . تكلمه مع الجمال في الصحراء . فسم

---

(١) كذا : ولعله الكوهياني بدليل ما يتلوه .
(٢) يقصد : « باران ماذ كو » – يعني : أين مطرنا ؟
(٣) ص : شيئاً .
(٤) آخر النقص في ح .
(٥) ح : مع كلامه .

يتحلك بعد ذلك . فإذا خرج وهاجه وغلب فيه ، يذكره مع الجمال فتجيئوه الجمال فيصغين إليه وإلى ذكره ذلك . قال : هكذا سمعت أبا عبدالله (١) يحكيه ويزكّيه ويرى له فضلاً وجمالاً أثمرته تلك المعرفة المشهورة ، والصحبة المأجورة ، والحرمة المشكورة ، والحشمة (٢) المذكورة .

ومنهم عبدالله اليونابادي (٣) وسهلوا النمرة (٤) : — كانا من عباد الله الصالحين أصحاب الكرامة والفراسة . كانا رفيقين (٥) أخوين في الله تعالى يختلفان إلى ذلك الصدر الكبير والبدر الخطير ،يعني أبا يزيد (٦) . فإذا خرج أحدهما من قريته نادى صاحبه وصاح به فسمع نداءه وجاء ، وكان لهما موعداً لم يخلفاه (٧) . وكان بين القريتين بُعَيْد فراسخ .

سمعت (٨) الشيخ أبا عبدالله يقول (٩) : كان عبدالله من غلبة حب أبي يزيد في قلبه بلغ بحيث يخرج من بيته قاصداً إليه لم يتفرغ إلى أن يلبس سراويله إن لم يكن يلبسه من قبل ، حتى قال له يوماً من الأيام : إني لأحبك . (فـ) قال له أبو يزيد : قلبٌ وإن ملىء حباً فكم قدره (١٠) ؟ قال : إني لأحبك حباً يزيد (١١) محبتي لك على محبة أبي موسى . قال : « نعم ؛ ولكن أبا موسى من أنفسنا » . ثم قال له : « هوّيناً . فإنك إن أحببت لم تكن تسكن بالليل ولم

---

(١) ص : هكذا ومنهم أبو عبدالله .

(٢) ح : ولا حشمه .

(٣) ص : اليونادي .

(٤) ح : سهلوا نمره .

(٥) ص : رفيقين .

(٦) يعني أبا يزيد : ناقصة في ح .

(٧) م : ناقصة في ح .

(٨) ص : ومنهم ... أبو عبدالله .

(٩) ح : يقولون .

(١٠) قال إني ... قدره : مكررة في ح .

(١١) ح : يزيد عليه محبتي لك ...

تطمئن بالنهار ، ولكنك صادق بذلك المقدار » — يعني بالقدر الذي مكنت منـــه [1] .

وسمعت [2] الشيخ أبا عبدالله يقول : كان إذا وقع عليه هيبة أبي يزيد وهو في المحراب ألقى نفسه على أحد جانبي المحراب . وشد نفسه عليه حتى ظهر أثر (٢٤ أ) ميله على الجدار الذي جرت عادته بذلك إليه مثل أثره في الطين الرطب .

وقد كان له منفق يقال له إبراهيم معاذان . سمعت الشيخ أبا عبدالله يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : إن إبراهيم قال لأبي موسى خادم أبي يزيد : كل يوم أبعث ما يحتاج إليه مائة نفر فما يزيدون فقل لي وأخبرني كي أبعث ما تحتاجون إليه من النفقة . قال : وكان من الورع والصيانة . والتقوى والديانة . أنه لا يبيع الكساء يوم الغيم وهو بائعه فيقول : إن الكساء يكون أحسن في أيام السحاب منه في أيام الصحو .

قال الشيخ أبو عبدالله : كان قد بلغ حبُّه من قلب أبي يزيد من كثرة تحببه إليه وانفاقه عليه أن قال أبو يزيد : إن لله تعالى خليلاً اسمه إبراهيم . ولنا أيضاً خليل اسمه إبراهيم .

وسمعته يقول : قال أبو يزيد : من الناس من آتى في صحبتنا بالنفس ، ومنهم من أتى بالمال ، ومنهم من أتى بالقلب : فإبراهيم معاذان أتى في صحبتنا بالنفس والمال والقلب جميعاً ؛ أرضى صدراً وبدراً . ووجد جاهاً وقدراً : ولولا مثل هذه الأمور لتشتد بها الصدور لم [illegible] العمر شيئاً .

سمعتُ الشيخ أبا عبدالله يقول : كان من أول [3] الدهر كل من كان رجل

---

(١) ح : منها .
(٢) ص : ومنهم ... أبا .
(٣) ص : أقل .

من الرجال كان له منازع في حالته ، مُضاهٍ في درجته ، مُباهٍ في منزلته . وكان منازع أبي يزيد داود الزاهد . وكان يحكي [1] عن داود أنه قال : لو أن أبا يزيد حجّ مرة فأنا حججت مرتين . وإن زار رباط دهستان فأنا قد زرته ثلاث مرات ؛ وإن فعل [2] كذا فأنا قد فعلت مثل ما فعله وأكثر . وكان يعد أضعاف أضعاف أفعاله وأعماله . فبلغ ذلك أبا يزيد رحمة الله عليه . قال : « نعم فعل ما فعلته . ولكن أمير المؤمنين واحد . فلو نزل واحد من نكارمنو [3] ويقول : أنا أمير المؤمنين . يضرب رقبته سريعاً » — ونكارمنو قرية وزُرَيْعة بقرب البلد على جبل . فمن قضاء الله تعالى أنه ظهر منها رجل ارتاد رئاسة البلد فَوَلّي وقُتِل عن قريب . فكانت [4] المشايخ يعدون ذلك آية لما أشار إليه الشيخ أبو يزيد رحمه الله . فكان داود الزاهد رحمه الله يجد في نفسه من علو همته وسمو نهمته شكليّة ومِثلية من أبي يزيد فيما يدعيه والمعنى الذي هو فيه ، وإن لم يكن بمثابته في المرتبة والمنقبة والدرجة والمنزلة ؛ فكان ما يظنه ويحسبه ويقدره ويحبه . ولكن لا بذلك المكان والإمكان الذي قام مقامه ونقض كلامه . ولو لم يكن كذلك . خيف عليه الحتف والهلاك . فما كان في أبي يزيد من المعنى ورثه [5] قومه . وما كان فيه من الدعوى ورثه قومه . فما كان في أبي يزيد من علائه ، خفي [6] في أوليائه . وما كان لداود . ظهر من حاله على آله . وهذا سرّ من أسرار الله تعالى أَظْهِرَ عليّ دون غيري . وكان داود هذا جد الأستاذ أبي سعيد البسطامي . وأبو سعيد كان والد القاضي الإمام أبي عمر البسطامي والقاضي أبي إبراهيم ، وله أولاد وأحفاد — كثّرهم الله عن آخرهم وزاد في مفاخرهم . والقاضي أبو عمر كان والد الشيخ الإمام الموفق ، والشيخ

---

(١) ح : محكى .
(٢) ح : فعله .
(٣) وردت في ح أولا : ز كارمنوا — ثم أصلحت .
(٤) ح : وكانت .
(٥) ناقصة في ح .
(٦) ح : من .

الإمام الموفق كان والد الشيخ الإمام أبي سَهْل — سَهَّلَ اللهُ عليه أَنْوُرَ [1] دينه ودنياه وحَيْنه وأُخراه . وأرجو أن تبقى آثارهم على الأعقاب . فداود هذا تولى خطابة جرجان ؛ ثم عاد إلى دستان ودفن في تلك التربة ؛ نور الله مضجعه .

فهؤلاء كلهم رواة أبي يزيد رحمهم الله . فما خرج برواياتهم فهو أبو يزيد الأكبر ، وما يروي غيرهم فمعرفة صحته مبنية على المنازلة . فمن لم تكن له تلك الدرجة والمقام والمنزلة لم يميز بين نطقهم وكلامهم . وأتى على الصدق والصواب من هذا الخطاب . وقد قلت في غير هذا الموضع : (٢٤ ب) فما لم تعرف مبناه لم تفهم معناه . وما لم تعرف مقامه لم تصف كلامه ، وما لم تملك عبارته لم تدرك إشارته . وما لم تلحق أصله لم تسبق فضله . وإلى هذا النظام ينتهي كلام ذلك الإمام .

الشيخ أبو عبدالله سمعته يقول : المقام مائة وأربع وعشرون ألفاً — يعني في طريق الله تعالى — في كل مقام نور لا يشبه بعضه بعضاً ؛ فمن ادعى [2] بمقام من تلك المقامات أسأله عن صفة نور ذلك المقام — يعني حتى يتبين صدقُ دعواه في بناه هذا — وإني قد حددت لك حداً ، وعددت لك عداً ، فاجدد في ذلك جهداً وجداً . فما أقدر أقدر . والله أعلم بالصواب ، وما فيه من الجـــواب .

والخبر الذي يسنده أبو يزيد الأكبر قدس الله روحه [3] لم يزد — على ما صح عندي — على خبر واحد وهو المشهور . وهو ما حدثني أبو عبدالله محمد بن ابراهيم ابن منصور : قال حدثنا أحمد بن بكران الصوفي قال : أخبرنا أبو عمرو وعثمان بن جحدر ابن ورامهر الكازروني قال : حدثنا أبو الفتح أحمد بن

---

(١) أنور : ناقصة في ح .

(٢) يعني ... ادعى : ناقصة في ح .

(٣) ح : رضي الله عنه .

الحسن بن محمد بن سهل بن محمد ابن سهل المصري . قال حدثنا علي بن جعفر البغدادي . قال حدثنا أبو يزيد البسطامي : قال حدثنا أبو عبد الرحمن السُّدِّي . وعن عمرو بن قيس الملاسي عن عطية العوفي . عن أبي سعيد الخُدْري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله . وأن تحمدهم على رزق الله . وأن تذمهم على ما يؤتيك الله . إن رزق الله لا يجره حرص حريص . ولا يرده كره كاره . إن الله – بحكمته وجلاله – جعل الرزق والفرج في الرضا واليقين . وجعل الهم والحزن في الشك والسخط .

وأبو يزيد هذا توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة . فعليه وعلى من شايعه وصَحِبه وتابعه من التحية والسلام . بعدد الليالي والأيام !

وحدثنا الأستاذ أبو الحسن محمد بن القاسم الفارسي . قال حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال : حدثنا منصور بن عبدالله ببغداد . قال حدثنا أبو عمرو عثمان بن جحدر ورامهر الكازروني بها . قال حدثنا أبو الفتح أحمد بن الحسن بن المصري – ويعرف بابن الحمصي الواعظ بالبصرة – قال : حدثنا علي بن جعفر البغدادي قال : قال أبو موسى الدَّيْبُلِي : قال : حدثنا أبو يزيد البسطامي قال : أخبرنا أبو عبد الرحيم السدّي عن عمرو بن قيس وروى الحديث كما رواه ، إلا أن في رواية الأستاذ أبي الحسن أن ضعف اليقين وقال : جعل الرَّوْح والفرج في الرضا فحسب . ولم يذكر اليقين .

وسمعت [1] أبا عبدالله محمد بن عبدالله الشيرازي الصوفي يقول : سمعت أبا الحسن الحنظلي يقول : سمعت مؤمل الحصاص يقول [1] : ما سمعت في التصوف جواباً أشفى من جواب أبي يزيد البسطامي رحمة الله [2] عليه – رأيته في النوم فقلت : ما التصوف ؟ قال : شد الأرفاق وصد الأرواق [3] .

---

(١) سمعت أبا الحسن ... يقول : ناقصة في ح .

(٢) ح : رضي الله عنه .

(٣) الأرفاق : جمع رفاق وهو الحبل ، كناية عن الجوع بشد الوسط ؛ والأوراق جمع ورق وهي الجثة ، كناية عن كبح شهوات البدن . – وفي ح : صد الأرفاق .

وسمعته يقول : سمعت عثمان الخوني [1] يقول : سمعت أحمد بن محمد الآملي قال : حدثنا أحمد بن محمد الجزري [2] يقول ، سمعت أبا موسى الدَّيْبُلي يقول : سمعت أبا يزيد البسطامي — قدس الله روحه [3] — يقول : « رأيت ربّ العزة في المنام فقلت : كيف الطريق إليك ؟ فقال : اترك نفسك وتعالَ » .

وحدثنا أبو الحسن علي بن محمد الداودي الصوفي البُشْتي بنَيسابور قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن محمد بن علي بن الشاه المروزي بها ، قال : حدثنا أبو الربيع محمد بن الفضل البلخي قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن الفضل القُومَسي بقُومَس ، قال : حدثنا خلف بن عمر (٢٥ أ) قال : سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : « غُصْتُ في بحار الأعمال أربعين سنة ، فصعدت فإذا أنا مربوط بكل زُنّار » .

وبهذا الإسناد أبو الربيع قال : حدثنا أبو العباس ، قال : حدثنا خلف [4] قال ، سمعت أبا يزيد (يقول) : « ما من أحدٍ إلا وقد غرق في بحر الأعمال غيري ، فإني قد غرقت في بحر البر » .

وبه حدثنا أبو الربيع [5] . قال : حدثنا خلف قال : دقّ رجل على أبي يزيد باب داره فقال له : من تطلبه ؟ فقال : أطلبُ أبا يزيد . فقال : مُرَّ ! ويحك ! فليس في الدار غير الله .

وبه حدثنا أبو الربيع قال ، حدثنا العباس [6] قال ، حدثنا خلف قال : قصد أبا يزيد رجلٌ من أصحاب ذي النون فقال له : من تطلب ؟ قال : أبا

---

(١) ح : الخوني نيسوي .
(٢) ح : محمد بن أحمد المهري .
(٣) ح : روحه العزيز .
(٤) ح : حدثنا خلف قال ... يزيد البسطامي يقول ...
(٥) ح : أبو الربيع ، قال حدثنا أبو العباس ، قال، حدثنا خلف .
(٦) ح : أبو العباس .

يزيد . فقال : يا بُنَيَّ ! أبو يزيد يطلب أبا يزيد [١] منذ أربعين سنة . فرجع إلى ذي النون وأخبره فغشي عليه .

قال : حدثنا أبو الحسن الداودي الصوفي قال : حدثنا أبو الحسين المروزي . قال : حدثنا الربيع [٢] البلخي قال : حدثنا موسى بن عيسى البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : قال لنا يوماً أبو يزيد : قوموا بنا ننظر إلى هذا الرجل الذي شهر [٣] نفسه بالولاية . وكان بقومس [٤] رجل مشهور بالزهد والورع . فمضينا معه . فلما خرج من منزله ودخل مسجده رمى [٥] ببزاقه نحو القبلة . فقال أبو يزيد : قوموا بنا ننصرف من غير أن نسلّم عليه . فإن هذا الرجل ليس بمأمون على أدب من آداب الشريعة التي أدب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦] . فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصدّيقين !

قال : وسمعت شيخ المشايخ أبا عبدالله الداستاني [٧] يقول : سمعت المتقدمين يقولون إن أبا يزيد قال : رُبَّ أحدٍ قريب منا بعيد عنا ، ورُبَّ أحد بعيد عنا قريب منا [٨] !

وكان يقول : من أتى بأبي العباس من موضع الديلمية هاهنا ؟ ومن تصدّى لهؤلاء الذين هم على هذا الباب ؟ — أبو العباس هذا الذي يقول كان ديلمياً مكث عنده حُبّاً له واقتداءً به .

وسمعت محمد بن علي بن أحمد الواسطي [٩] يقول : سمعت بعض المشايخ

---

(١) يطلب أبا يزيد : ناقصة في ح .
(٢) تصحيح في ح : أبو الربيع .
(٣) ح : في هذا الرجل الذي قد شهر .
(٤) ص : بقرمس .
(٥) رمى : ناقصة في ص .
(٦) صلى الله عليه وسلم : ناقصة في ح .
(٧) أبا عبدالله الداستاني : ناقصة في ص .
(٨) العبارة وردت مكررة في ح .
(٩) ح : ابن أحمد الواعظ .

يحكي عن أبي يزيد أنه قال : غُصْتُ في بحر [1] المعارف حتى بلغت بحر محمد صلى الله عليه وسلم . فرأيتُ بيني وبينه ألف مقام و اقتربتُ من واحدٍ احترقتُ .

وسمعت أبا العلاء أحمد بن أبي جعفر الرزجاهي يقول : سمعت بعضهم يقول : نزل جندي دار أبي يزيد . فلما دخل أبو يزيد داره ، رآه على دكان وسط داره وقد طُيِّن عن قريب . فسأل عن حاله وفتش عن طينه وتبنه ، فوجد التبن الذي هو فيه لا على [2] حسب ما يرتضيه ، فأمر بقلعه وقال : هو الذي دعاه إلى النزول على هذه الدار . فلما دخل الجندي رأى الدكان مخرباً ، فانصرف ولم يرجع إليها بعد [3] .

وسمعتُ محمد بن علي بن أحمد الواعظ يقول : وجدتُ في بعض الكتب أن أبا يزيد (لمّا) سئل عن ابتداء أمره قال : إن الله تعالى هداني للزراعة [4] ، فزرعت في نفسي أنواع العبادة . ثم أرشدني للقصارة [5] . فلم أزل أغسل بأنواع الطهارات والمياه فلم أرها طهرت بعد .

وبه قال أبو يزيد : النساء أحسن حالةً منا : إن المرأة تصير كل شهر طاهرة ، وربما تصير طاهرة في الشهر مرتين ، فتغتسل من الحيض ، ونحن لا نكاد نصير طاهرين [6] في عمرنا مرة واحدة .

وبه قال : وكان هجِّيري [7] أبي يزيد أن كان يقول : يستزيد أبو يزيد ، ولا مزيد على التوحيد .

---

(١) ح : بحار .
(٢) ح : هو فيه على حسب ...
(٣) ح : بعده .
(٤) ح : الزراعة .
(٥) ص : القسارة ؛ ح : القصادة .
(٦) ص ، ح : طاهراً .
(٧) ح : هجيرا .

وبه أن بكيراً نظر إلى بعض جيرانه وقد استعد للسفر فقال له : أين [1] تريد ؟ قال : إلى بسطام إن شاء الله . قال : فإذا أتيت بسطام ولقيت أبا يزيد فقل له إن بكيراً يقول : السلام عليك ! فقال أبو يزيد . عليك السلام وعلى بكير مثله [2] . قال : فتاب الرجل الذي بلّغ سلام بكير . وتاب بكير وبلغ من زهده (٥ ب) أن أبا يزيد قصده وتبرك به .

أخبرني أبو سعد اسماعيل بن علي الطبري المثنى قال : سمعت والدي يقول : سمعت عمّي موسى بن عيسى يقول : سمعت أبي يقول : قال أبو يزيد : طلقت الدنيا ثلاثاً بتاً لا رجعة لها . ثم تركتها وصرتُ وحدي إلى ربّي عز وجل ، فناديته بالاستغاثة : إلهي ومولاي ! أدعوك دُعاءَ مَنْ لم يبق له غيرك — فلما عرف صدق الدعاء من قلبي مع الإياس مني كان أول ما أورد عليّ من إجابة هذا الدعاء أن إنساني نفسي بالكلية . ونصّب الخلائق بين يديّ . مع إعراضي عنهم .

أخبرني أيضاً قال : سمعت بعضهم . قيل لأبي يزيد : بماذا [3] نلت هذه الدرجة ؟ قال : جمعت أسباب الدنيا كلها فربطتها بحبل القنوع . ووضعتها في منجنيق الصدق ، ورميت بها في بحر الإياس . فاسترحت .

وأخبرني أيضاً قال : أخبرنا علي بن الحسن بن حنويه الدامغاني بروايته أنه قيل لأبي يزيد : بماذا [3] نلت ما نلت ؟ قال : بلا شيء .

وقال : قيل لأبي يزيد : بأي شيء يصل العبد إلى الله تعالى ؟ قال : بالخَرَس والصَّمم والعمى . فأخبرني أيضاً قال : وجدت في كتاب أخي رحمه الله: قيل لأبي يزيد [4] : بماذا نالوا ما نالوا؟ قال: بتضييع [5] ما لَهم ،وشهود مالَه.

---

(١) ح : فقال لي : أين ...
(٢) ح : وعليك السلام مثله .
(٣) ح : بما نلت .
(٤) ح : رضي الله عنه .
(٥) وردت محرفة في ح .

وأخبرني أيضاً قال : وجدت في كتاب أخي رحمه الله بخطه : قيل لأبي يزيد : بماذا بلغت إلى [1] ما بلغت ؟ قال : عملت أشياءَ أولها : اتخذت سبحانه معلماً . فقلت : إن لم يكفك ربُّك لم يَكْفِكَ غيرُه في السموات والأرض ، وشغلت لساني بذكره وبدني بخدمته ؛ كلما أَعْيَتْ جارحةٌ رَجَعْتُ إلى الأخرى . ثم قيل : أبو يزيد أبو يزيد [2] !

وأخبرني أيضاً قال : سمعت وليّ علي بن عبدالله ببسطام يقول : سمعت عَمِّي يقول [3] : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : ورد علي رجل من أرباب المال فقال : يا أبا يزيد ! بماذا وجدت هذه المنزلة ؟ فقال أبو يزيد : دع عنك وجود المنزلة ، ولكن أكرمني الحق [4] بثماني كرامات ، ثم بعده ناداني : يا أبا يزيد !

أوله : رأيتُ نفسي متأخراً ، ورأيتُ الخلق قد سبقوني ؛

والثاني : رضيتُ بأن أُحْرَق بالنار بدلَ خلقه شفقةً عليهم ؛

والثالث : كان قصدي إدخال الفَرَحِ في قلب المؤمن ؛

والرابع : لم أمسك شيئاً قط لغدٍ ؛

والخامس : أردت رحمة الله بالناس أكثر مما أردتها بنفسي ؛

والسادس : بذلتُ جهدي في إدخال السرور على المؤمن وإخراج الغمّ من قلبه ؛

والسابع : ابتدأت بالسلام على من لقيني من المؤمنين من شفقتي عليهم ؛

---

(١) إلى : ناقصة في ح .

(٢) غير مكررة في ح .

(٣) سمعت عمي يقول : ناقصة في ح .

(٤) ص ، ح : بثمان .

والثامن : قلت لو غفَرَ الله لي يوم القيامة وأذن لي بالشفاعة لشفعت أولاً من آذاني وجفاني [1] ، ثم من برّني وأكرمني .

وأخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم الفارسي قال : سمعت الحسين بن علي بن يحيى المذكر يقول : سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : قيل لأبي القاسم الجنيد بن محمد : إن أبا يزيد يسرف في الكلام . فقال : وما بلغكم من إسرافه في كلامه ؟ قالوا : سمعناه يقول : سبحاني ! سبحاني ! أنا ربّي الأعلى . فقال الجنيد : إن الرجل مُسْتَهْلَكٌ في شهود الإجلال . فنطق بما استهلكه لذهوله عن الحق عن رؤيته إياه ؛ فلم يشهد إلا الحق تعالى ، فنعته فنطق به ولم يكن من علم ما سواه ولا من التعبير عنه ضناً من الحق به . ألم تسمعوا مجنون بني عامر لما سئل عن اسم نفسه فقال : ليلى . فنطق بنفسه ولم يكن من شهود إياه فيه .

وبلغنا أنه قيل له [2] : أنت من أنت ؟ قال : أنا مَنْ لَيْلى ، ومن لَيْلى أنا .

سمعت محمد [3] بن عبدالله بن طاهر بن عبدالله الهروي (٢٦ أ) الصوفي يقول : سمعت الحسن بن محمد التاجي يقول : سمعت عبد الصمد بن عبدالله (الصوفي يقول ، سمعت أبا الفضل الحافظ يقول : يقول : سمعت ابراهيم بن عبدالله [4]) يقول : سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : هذا فرحي بك وأنا أخافك ، فكيف فرَحي بك إذا أمِنْتُكَ !

وسمعت أبا محمد يقول : سمعت أبا طاهر الطيب بن محمد الصوفي (يقول : سمعت محمد بن الحسين الصوفي [5]) يقول : سمعت عبدالله بن علي يقول :

---

(١) ح : جناني .

(٢) الضمير يعود على مجنون ليلى .

(٣) ح : أبا محمد عبدالله .

(٤) الزيادة عن ح .

(٥) الزيادة عن ح .

سمعت طيفور البسطامي يقول : سمعت موسى بن عيسى يقول ، قال أبي ، قال أبو يزيد رحمه الله : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى تربع في الهواء فلا تغترُّوا به [1] حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة .

قال : وسمعته يقول : إذا وقفت بين يدي الله تعالى فاجعل نفسك كأنك مجوسي تريد أن تقطع الزنّار بين يديه .

وأخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الشيرازي الصوفي قال : حدثنا أبو الحسن الاصطخري بالرملة قال : حدثنا أحمد بن الحسن المصري قال : حدثنا محمد بن أحمد الهروي [2] قال : حدثنا كرمان بن عبدالله قال : سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : ما من عبد اصطنعه الله لنفسه وشغله بذكره وحماه عن مخالفته . وجعل له محادثة بقلبه . إلا سلط عليه فرعون على كل حال من ذلك ؛ ينكره ويؤذيه .

وأخبرنا أيضاً أبو عبدالله يقول سمعت شنبذين يقول : وسمعت أبا موسى الدَّيْبُلي يقول ، سمعت أبا يزيد يقول : طلبت الله ثلاثين سنة فاذا أنا ظننت أني أردته فإذا هو أرادني [3] .

وبهذا الإسناد قال : سمعتُ رجلاً يقول لأبي يزيد : احسب لي ! فألقى عليه [4] فقال : كم معك ؟ قال : واحد . فألقى مراراً فقال : واحد . فقال الرجل : أيش تقول ؟ فقال : لا أعلم سوى الواحد . والجمع [5] يخرج من الواحد ، والواحد لا يخرج من الجمع [5] . لأن الحساب لا يتم [6] إلا

---

(١) به : ناقصة في ح .

(٢) ح : الهرمي .

(٣) ح : فإذا أنا هو ظننت أني أردته وإذا أن هو أرادني .

(٤) فألقى عليه : ناقصة في ح .

(٥) ح : الجميع .

(٦) ح : لا تم .

بالواحد إذا تم ألفٌ ونقص منه واحد يسقط اسم ألف من الآلاف .

وبهذا الإسناد قال : كان أبو يزيد إذا تكلم في الصفات بالعلم تراه فرحاً بالسكون ، وإذا تكلم في الذات وثب وقال : أمَد ! أمَد ! أمَد ! بيسيرَ أمَــد !

وبهذا الإسناد قال : عاب رجلٌ على أبي يزيد فقال : إنك تذكر بالزهد والعبادة ولا أعرف لك كثير عبادة . فهاج وقال : إن الزهد والعبادة [1] والمعرفة مِنّي انشقت .

وبهذا الإسناد قال أبو موسى : قلتُ لأبي يزيد : كيف أصبحتَ ؟ قال : لا صباحَ ولا مساء . إنما الصباح والمساء لمن تأخذه الصفة . وأنا لا صفة لي .

وسمعت أبا محمد عبدالله بن طاهر الصوفي : سمعت الطيب بن محمد يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعتُ عبد الواحد بن بكر يقول : سمعت الحسين بن أحمد يقول : أحمد بن محمد يقول [2] : سمعت أبا موسى الديْبُلي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : نويتُ في سِرّي فقيل لي : خزائننا مملوءة من الخدمة . فإن أردتنا فعليك بالذّلة والافتقار .

سمعت الشيخ أبا عبدالله يقول : سمعنا [3] المتقدمين قالوا إن أبا يزيد لم يجد في ابتداء أمره ليلة من الليالي حلاوة الطاعة كما كان يجدها . فقال لأبي موسى : أنظر هل تجد في البيت شيئاً من المأكولات والمطعومات . قال : فدخل ونظر فرأى نصف معلاق عنب . فأخبره [4] . فقال : اعطه أحداً . فصار بيتنا بيت البقالين .

---

(١) ح : قال : يا مسكين ! إن الزهد والمعرفة مني اشتقت .

(٢) سمعت الحسين ... محمد يقول : ناقصة في ح .

(٣) سمعنا : ناقصة في ص .

(٤) فأخبره : ناقصة في ح .

وسمعت يقول : سمعناهم يقولون : أَسْرَجَ ليلةً من الليالي السراجَ ، فكان يظلمه ويُوحشه ضوءُ ذلك السراج ؛ فقال للقوم حتى فتّشوا عن ذلك : فقالوا : كنا استعرنا قارورة لنأتي بها الدّهن مرة فأتينا بها مرّتين .

وسمعت أبا موسى (٢٦ ب) بن محمد الواعظ يقول حاكياً عن مشايخه إن أبا يزيد قال : خالفت أمّي مرتين ، فأصابتني المَضَرّة كل مرة : مرةً لي بأن ألقي الشيخ من السطح إلى أسفل الدار فكنت أرميها (١) فقالت : أَمْسِك ! فقدمت فرميت قطعة منها ؛ فأردت أن أدركها طاعةً لها وامتثالاً لأمرها . فسقطتُ من السطح وانقرح أنفي . فكنت أرى ذلك القرح من خلافي لها وتركي أمرها . ومرةً أمرتني بالاستقاء وقالت (٢) : احمل جرة . فحملت جرّتين . فلما بَرَزْتُ جاء سكران وضربني وكسر جرتي ، فرأيت ذلك من خلافي (٣) أمرها .

وسمعته يقول : سمعتهم يقولون : قال أبو يزيد لأمّه : قولي لي ما تقدم من حالي وما جرى عليّ من قبل بحيث لم أكن أعلمه أنا ، فإني لا أجد أحياناً حلاوة العبادة . قال : فقالت له : فكرتُ فيما قلتَ ، وفتشتُ عنه فلم أعلم غير أنك كنت تبكي مرةً . فدخلتُ (عند) بعض الجيران فألعقتك أصبعاً من كامخهم . فاجتهد في إصلاح ذلك .

وسمعته يقول : قال : سمعت المتقدمين قالوا : إن ليلة من الليالي بكى صبيٌّ لمجوسي في جواره ولم يكن معهم السراج ؛ فرفع السراج إلى كوّتهم حتى سكت صبيهم . فرأوا شفقته . فقالت أم الصبي لأبيه — وقد غابت حين بكائه لما حضر — : ألا ترى إلى شفقة ابن عيسى سروشان وقد فعل مثل

---

(١) ح : أديها .
(٢) ح : قال .
(٣) ج : خلاف .
(٤) ص : سمعت .

هذا ؟ فعجب من شفقته ، ودعت بركة شفقته عليهم [1] أن أسلموا عن آخرهـم .

وسمعته يقول : سمعت المتقدمين يقولون : إن أم أبي يزيد قالت له ليلةً من الليالي : استقني ! فخرج في طلب الماء ليستقيها . فلما رجع رآها نائمة . فأمسك الكوز في يده حتى انتبهت . فلما انتبهت قالت : يا أبا يزيد ! أين الماء ؟ قال : ها هيه . فأخذت الكوز من يده وقد علقه من إصبعه ، فجمد عليه من شدة البرد . فبقي بعض جلد الإصبع على عروة الكوز . فلما رأت ذلك وسألته عنه أخبرها بذلك وقال : هو جلد إصبعي ، قلتُ في نفسي ، إن وضعت الكوز ونمت فلعلك تريدين [2] الماء فلم تريه [3] . وما أمرتني بوضعه . فأمسكته ابتغاء مرضاتك والقيام بأمرك . فقالت له : رضي الله عنك [4] .

وسمعته [5] يقول : سمعت المتقدمين يقولون : قيل له : بمَ بلغتَ ما بلغت ؟ قال : أنتم تقولون ما تقولون . وإنما أرى ذلك من رضا الأمّ .

وسمعت بعض الأبرار قال : سمعت بعض المشايخ يقول : قصد أبو يزيد الجامعَ يوم الجمعة للصلاة وقد جاء المطر من قبل وكان وَحْلاً . فزلقت رجلُه ، فوضع إصبعه على جدارٍ في الطريق فأمسك نفسه بسببه . فلما ثبت تفكر في ذلك [6] وقال في نفسه : تفحّصي عن صاحب الجدار ليجعلني في حلٍّ مما تعاطيت وفعلت ، خَيْرٌ [7] لي من أن أمضي إلى المسجد فإن ذلك لا يفوتني ، ففي الوقت سَعة . فانصرف وتعرف عن صاحب الجدار فقيل :

(١) ودعت ... عليهم : ناقصة في ح .
(٢) ح : تريدوين .
(٣) ص ، ح : ترينه وما أمرتيني .
(٤) ح : عنها .
(٥) وسمعته : ناقصة في ص .
(٦) ح : فقال .
(٧) ح : خيراً .

مجوسي . فتقدم إلى باب داره وناداه فخرج إليه فأخبره بالقصة وطالبه أن يجعله في حِلٍ من ذلك فقال المجوسي : ولكم في دينكم تلك الدقة وكل هذا الاحتياط ؟! آمنتُ بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم . آمَنَ وآمَنَ كل مَنْ في داره ببركة ذلك الفعل .

سمعت أبا عبدالله الداستاني يقول : وجد ابراهيم الخليل — صلوات الله عليه — صفة فضيلة هذه الأمة فقال : يا رب اجعلهم [1] من أُمّتي . قال : لا أجعل ، فهم من أمة أحمد . قال : إذاً أعْطني لسان الثناء فيهم . قال شيخ المشايخ : فوضع الله تعالى الصلوات عليه وعلى آله في « التحيات » وهو إجابته لما سأل من الثناء على ألسنتهم . قال : وهكذا رأى موسى عليه السلام صفة مدائحهم في التوراة فقال : إلهي ! اجعلهم من أمتّي ! فقال : لا أفعل ، فهم من أمة أحمد . فقال : إن لم تجعلهم من أمتّي فاجعلني منهم ! فقال : يبعد ظهورهم فلا تلحقهم ولا تصل إليهم . وهكذا (٢٧ أ) رأى عيسى عليه السلام فضائلهم في الإنجيل فقال : اللهم اجعلهم من أمتّي ! فقال تعالى : لا أجعل ، فهم من أمة محمد . فقال : إن لم تجعلهم من أمتي فاجعلني منهم ! قال : فرفعه إلى السماء ليرده إلى الأرض في آخر الزمان فيكون من هذه الأمّة — قال الشيخ أبو عبدالله : جرى بعض ذلك بين (يدي) أبي يزيد فقال : تظن أنهم اشتهوا فضائحكم ! بل رأوا رجالاً جاوز رءوسهم العُلا وأرْجلُهم الثرى وهم مفقودون فيما بين ذلك .

سمعته يقول : سمعنا المتقدمين يقولون : قال أبو موسى ابن أخي أبي يزيد : لم يكن لأبي يزيدنا فضيلة ومنقبة بجوزة عنقه [2] . بل كانت المنقبة لأهلهـــا .

سمعت أبا عبدالله محمد بن عبدالله الشيرازي الصوفي يقول : سمعت علي بن

---

(١) ص : ناقصة في ح .

(٢) ص : بجوزه عقه ؛ ص : بجوزه عنقة .

الحسن الدامغاني يقول : سمعت موسى بن عيسى البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : الاتصال بالله على أربع مقامات :

(المقام الأول) : واقفين متألمين من ثِقَل ما يَرِدُ عليهم من الواردات وهم مُتَفَرِّعون ؛

و (المقام الثاني) : يطردهم من حيث يعلمون . ويردهم من باب آخر ؛

و (المقام الثالث) : يؤخرهم فيقولون : لا نبرح ؛

و (المقام الرابع) : قد أحاط بهم . فليس يمكنهم البَرَاحُ .

وسمعت أبا عبدالله يقول : سمعت [1] بكراً الكسائي يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : كنت عند ذي النون فجاءه [2] رجلٌ فقال : رأيتَ أبا يزيد البسطامي ؟ فقال : نعم رأيته [3] فقلت له أنت أبو يزيد ؟ فقال : ومن أبو يزيد ؟ يا ليتني رأيت أبا يزيد . — فبكى ذو النون ثم قال : إن أخي أبا يزيد [4] فقد نفسه في حب الله تعالى فصار يطلبها مع الطالبين .

سمعت محمد بن علي الواعظ قال : وفيما أفادني بعضُ شيوخ الصوفية حاكياً عن الجنيد بن محمد قال : قال أبو موسى الدَّيْبُلي : دخلتُ على أبي يزيد فإذا بين يديه ماء واقف يضطرب . فقال لي : تعالَ . ثم قال : إن رجلاً سألني عن الحياء [5] فتكلمت عليه بشيء من علم الحياء ، فدار دوراناً حتى صار كذا كما ترى . فذاب .

وبه . عن الجنيد . يحكى عن أحمد بن خضرويه هذه الحكاية ثم يقول :

---

(١) ص : بكران .

(٢) ح : فجاء رجل فقلت .

(٣) رأيته : ناقصة في ح .

(٤) ص : أبو .

(٥) عن الحياء : ناقصة في ح .

بقي منه قطعة كقطعة جوهرة فاتخذتُ منه فصّاً ، فكلما تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص حتى لم يبق منه شيء .

وبه ، عن الجنيد ، قال : بلغني عن بعض العلماء ببسطام أنه قال : كان لأبي زيد خادمة كثيرة الاجتهاد والبكاء لا تنام الليل . قال : فكانت ذات ليلة نامت فرأت في منامها ربّ العزة كأنه يقول : الناس كلّهم يطلبون غيري ما خلا أبا يزيد (١) فإنه طلبني .

قال : وسمعت بعض الناس هذه الحكاية أنها قالت — إذ سمعت نداء الناس — : كلهم عبيدي غير أبي يزيدي (٢) فإنه وليّ من أوليائي ، لأن كل أحد طلب مني شيئاً ورجع بشيء غير أبي يزيد فإنه طلبني .

وبه ، عن الجنيد قال : بلغني عن أبي حامد — يعني أحمد بن خضرويه — أنه قال : ما كلمت أحداً من الناس إلا دعوته إلى الله ثم كلمته إلا أبا يزيد فإني متى أردت أن أكلمه دعوته من الله ثم كلمته .

سمعت أبا عبدالله محمد بن عبدالله الشيرازي قال : حدثنا عبد الواحد الورثاني قال : حدثنا عبدالله بن عبد الحميد الطرزي قال : حدثنا يحيى بن أحمد الجريادقاني قال : سمعت خادم أبي يزيد يقول : سئل أبو يزيد : هل يقع للعارف عن الله حجبة ؟ قال : لا . لأن حجابه هُويته (٣) .

قال : وسمعته يقول : إن أهل المعرفة بالله اجتمعوا في الأصول على معرفة الواحد ثم تفاوتوا من بعد اجتماعهم على مراد الله فيهم .

قال : وسمعته يقول : نهاية الصدّيقين (٤) أول أحوال الأنبياء .

---

(١) ح : أبو يزيد رضي الله عنه .
(٢) ح : أبي يزيد .
(٣) ص : هديته .
(٤) ح : الصلاتين .

وسمعته يقول : سمعت علي بن الحسن القومسي قال : سمعت الحسن بن علوية يقول (٢٧ ب) : سمعت عمّي يقول . سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : كنت اثني (١) عشرة سنة حدّاد نفسي . وخمس سنين مرآة نفسي . وسنة أنظر فيما بينهما . فإذا في وسطي زنار ظاهر فعملت في قطعه اثني عشرة (٥) سنة . ثم نظرتُ فإذا في بطني زُنّار . فعملت في قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطع فكشف لي ذلك . فنظرتُ إلى الخلق (فرأيتهم) مَوْتى . فكبّرْتُ عليهم أربع تكبيرات .

وسمعته يقول : سمعت مظفر بن عيسى المراغي قال : سمعت شنبذين يقول : سمعت أبا موسى الدّيبُلي يقول : سأل رجلٌ أبا يزيد عن المشي في الهواء فقال : إذا طابت نفس الرجل بقلبه (٢) . وطرب قلبه بحسن ظنه بربّه . وصح ظنه بإرادته . واتصلت إرادته بمشيئة خالقه . فشاء بمشيئة الله ونظر بموافقة الله وترَفّع قلبُه برفعة الله وتحركت نفسه بقدرة الله وصار حيثما شاء هذا العبد (٣) بمشيئة الله تعالى ونزل حيث شاء (٤) الله في كل مكان علماً وقدرة — فهذا العبد كان معه في كل مكان ولا يخلو عنه مكان: فإذا كان هذا العبد مع الله فلا يخلو عنه مكان . وإذا لم يكن مع الله فليس هو في مكان . نَفَس الرجل متصل بقلبه . وقلبه متصل بظنه . وظنه متصل بإرادته . وإرادته(٥) بمشيئة الله تعالى . قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي . فإذا كان الله عند ظن العبد إذا ظن فكأن العبد حيثما كان الله . كما أن الله لا يخلو عن العبد حيث كان العبد . كذلك العبد لا يخلو عن الله بالله حيثما كان الله . والله لا يخلو من مكان دون مكان . فإذا صح حسنُ ظن العبد بالله وقع ظنه بربه .

---

(١) ص : اثني عشر ؛ ح : اثنا عشر .
(٢) ص : بقلبه ربه .
(٣) العبد : ناقصة في ح .
(٤) ح : شاء إذا الله .
(٥) ح : متصل .

وقلبه بظنه ، ونفسه بقلبه : فصار من حيث شاء إلى حيث شاء بمشيئة الله ويأتيه كل شيء هو على مكانه بلا عناء [1] : يأتيه المشرق والمغرب كله : فكلما ظن بمكان فالمكان يحضره ، وهو [2] لا يحضر المكان ، إذ هو لا يزول وثم لا يزول [3] ، إذ هو مع من لم يزل ولا يزال ، إذ هو من هو لم يزل ولا يزال . فافهم ذلك ؛ تتبعه الأشياء . ولا يتبع شيئاً ، إنما الأشياء كلها كائن من الله .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول : مررتُ إلى بابه فلم أر ثَمّ زحاماً . لأن أهل الدنيا حجبوا بالدنيا ، وأهل الآخرة شغلوا بالآخرة ، والمدّعين من الصوفية حجبوا بالأكل والشرب والكدْية ، ومن فوقهم حجبوا بالسماع والشواهد ؛ وأئمة الصوفية لا يحجبهم شيء من هذه الأشياء ؛ فرأيتهم [4] حيارى سكارى .

وبهذا الإسناد قال : حكي لأبي يزيد أن سهل بن عبدالله يتكلم في المعرفة فقال : إن سهلاً على ساحل المعرفة سلك ولم يغرق في اللُّجَج . فقيل له : يا أبا يزيد ! فكيف يكون من غرق في اللجج ؟ قال : يغرق على رؤية الخلق حتى يتعطل [5] عن عمارة الدار .

وسمعته يقول : حدثنا محمد بن داود أن القومسي قال : سمعت طيفور بن عيسى ابن أخي أبي يزيد يقول : حدثني أبي عن أبيه عن أبي يزيد أنه جاء حاتم الأصم زائراً له فقال حاتم : قد قلتُ لتلامذتي : من لم يكن منكم يوم القيامة شفيعاً [6] في أهل النار فيدخلهم الجنة لم يكن لي تلميذاً [7] . فقال له أبو

---

(١) ص : غناء :
(٢) ح : وهؤلاء .
(٣) ثم لا يزول : ناقصة في ح .
(٤) ح : فراشهم .
(٥) ح : تعطل .
(٦) ص ، ح : شفيع .
(٧) ص ، ح : تلميذ .

يزيد : ولكن قد قلتُ أنا لهم : ليس من تلامذتي إلا من وقف يوم القيامة ، فكل من أُمِرَ من الموحدين إلى النار أخذ بيده وأدخله الجنة .

قال : وسمعته يقول : سمعت منصور بن أحمد الطوي قال : سمعت أبا سعيد بن الأعرابي بمكة يقول : سمعت أبا موسى الديْبُلي يقول : سمعت رجلاً يسأل أبا يزيد فقال : دُلَّني على عمل أتقرب به إلى ربي ! قال : أحِبَّ أولياء الله ليحبُّوك . فإن الله تبارك وتعالى (٢٨ أ) ينظر إلى قلوب أوليائه في كل يوم وليلة سبعين مرة . فلعله أن ينظر إلى اسمك في قلب وليّه فيغفر لك .

قال : وسمعته يقول : سمعت عبدالله بن علي الدامغاني قال : سمعت علي الولائي يقول : سمعت عَمّي موسى بن عيسى البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : قال رجل من أهل الحديث لأبي يزيد — وأبو يزيد رضي الله عنه صبيّ : يا غلام ! تُحْسِن (أن) تصلّي ؟ فقال : نعم إن شاء الله . فقال له كيف تصلي ؟ قال أكبّر بالتلبية وأقرأ بالترتيل وأركع بالتعظيم وأسجد بالتواضع وأسلم بالتودع . فقال : يا غلام ! إذا كان لك هذا الفهم والفضل والمعرفة ، فلمَ تدع الناس يتمسحون بك ؟ قال أبو يزيد : ليس بي يتمسحون ، لكن يتمسحون بحلية حلانيها[1] ربّي . فكيف أمنعهم من ذلك . وذلك لغيري !

وسمعته يقول : سمعت عامر بن أحمد قال : سمعت الكتاني يقول : حدثني أبو موسى الديْبُلي يقول — وكان عالماً فاضلاً — قال : دخلت إلى أبي يزيد فسرّني بقاؤه واستفدتُ منه . ثم قال لي في وقت خروجي من عنده : يا متقرّىء[2] ! أنظر إن أعطاك كل ما أعطى الأنبياء ، فقل : أريدك . لا أريد غيرك .

---

(١) ص : حلنيها .
(٢) ح : منصري .

وبهذا الإسناد قال : سمعته يقول : كنت أطوف حول البيت أطلبه ، فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولي .

وسمعته يقول : سمعت بكران بن أحمد القزويني قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت استنبه يقول : حضرت مجلس أبي يزيد والناس يقولون : فلان لقي فلان . قال أبو يزيد : مساكين ! أخذوا مَيِّتاً عن مَيِّت ، وأخذتُ علمنا من الحيّ الذي لا يموت .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد : الناس يقولون به ، وأنا أقول منه .

وسمعته يقول : سمعت عبدالله بن علي الدامغاني يقول : سمعت عمي الولائي يقول : سمعت عمي موسى بن عيسى البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : وقد قيل له : بم نِلْتَ — فقال : انسلختُ من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها ، ثم نظرت إلى نفسي فإذا أنا هو .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول : ما أكلت شيئاً مما يأكل بنو آدم أربعين سنة .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن دادويه السِّمناني قال : سمعت الحسن بن علويه يقول : سمعت [1] عَمِّي يقول : سمعت أبي يقول : دخل أحمد بن خضرويه البلخي على أبي يزيد البسطامي فقال له أبو يزيد : كم تسيح ؟ فقال : إن الماء إذا وقف في مكان نتن . قال : فكن بحراً لا تنتن .

وسمعته يقول : سمعت عبدالله المذكر المعروف بالرستماني قال : سمعت طيفور الصغير يقول : سمعت أبي يقول : سمعت عَمِّي خادم أبي يزيد (قال : كان أبو يزيد) حاضراً فقال لنا قوموا نستقبل ولياً من أولياء الله . فقمنا فلما بلغنا الدرب إذا ابراهيم الهروي المعروف بستنبه على الدرب فقال له أبو يزيد : وقع في خاطري أن أستقبلك وأتشفع إلى ربي بك . فقال : لو شفعك في الخلق

---

(١) سمعت عمي يقول : ناقصة في ح .

كلهم لم يكن كثيراً ، فإنه شفاعة في قطعة طين . فتحير أبو يزيد في جوابه .

وسمعته يقول : حدثنا إبراهيم المالكي قال : حدثنا محمد بن يوسف عن أبيه عن أبي موسى الديْبُلي قال : سمعت أبا يزيد يقول : طلبت قلبي ليلة من الليالي فلم أجده . فلما كان في السحر سمعت قائلاً يقول لي : يا أبا يزيد ! هو ذا تطلب غيرنا ؟!

وسمعته يقول : حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد الجنابري يقول : سمعت الحسن بن علوية الدامغاني يقول : سمعت طيفور الصغير يقول : سمعت عَمِّي خادم أبي يزيد يقول : سمعت أبا يزيد يقول : سبحاني . سبحاني ! ما أعظم شأني . ثم قال : حَسْبِي من نفسي حَسْبِي .

وسمعته يقول : تراني عيون الخلق أني مثلهم . ولو رأوني كيف صفتي في الغيب لماتوا دهشاً .

قال : وسمعته يقول : الوصل مثل الفصل ، ثم الفصل من الوصل ، ولكل واحد منهما [1] اسم ومجرى ، ولكل مجرى منه علم (٢٨ ب) فصل . فإذا وصل بفصله أعطى علم غيب أزَليه . فإذا كمل فيه استحكامه [2] رجع الفصل إلى الفصل بلا إزالة الوصل ولا [3] نفي الفصل .

وسمعت يقول : انتهى الأمر [4] إلى معرفة لا إله إلا الله . ثم قال : انتهى إلى معرفة ثنائي وإلى غاية كمالي [5] .

وسمعته يقول : كنتَ لي مرآة فصرتُ أنا المرآة . وسمعته [6] يقول :

---

(١) ح : منهم .
(٢) ح : باستحكامه .
(٣) ص : فلا تعجب .
(٤) الأمر : ناقصة في ح .
(٥) ص : كما قلا لي .
(٦) وسمعته يقول – في ص : قال .

الرجل (هو) الرجل الذي يكون جالساً وتجيؤه الأشياء أو يكون جالساً وتخاطبه الأشياء حيث كان .

قال : وسمعته يقول : أدخلني معه مُدخلاً أراني الخلق كلهم بين إصبعي .

قال : وسمعته يقول : حججتُ أول حجة فرأيت البيت ، وحججت الثانية (فـ) رأيت صاحب البيت ولم أر البيت (١) . وحججت ثالثاً فلم أر البيت ولا صاحب البيت .

قال : وسمعته يقول : يُرْزَق العبد الحلاوة ، فالفرحه به يمنعه عن حقائق القرب .

قال : وسمعته يقول : أدنى صفة العارف أن تجري فيه صفات الحق وجنس الربوبية .

قال : وسمعته يقول : العابد يعبده بالحال ، والعارف يعبده في الحال .

قال : وسمعته يقول : وددت أن الله تعالى جعل الدنيا لقمة واحدة فأعطانيها حتى أنبذها بين يدي كلب حتى لا يغتر بها الخلق . ولو عذبني في نار جهنم مكان الخلق جميعاً لما كان مني بكبير بما ادعيت أني أحبه ، ولو غفر لجميع الخلق لما كان منه بكبير (٢) حيث قال : إني على الخلق رؤف رحيم .

وسمعت (٣) أبي يقول : حدثنا علي بن بندار المثني ، قال : حدثنا عمويه يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد البسطامي (٤) يقول : أهل المعرفة مع الله تعالى (٥) على ثلاثة (٦) مقامات : فقوم طلب الله عز وجل من حيث

(١) وحججت الثانية ... البيت : ناقصة في ح .
(٢) ص : لكبير .
(٣) ص : سمعته . وسمعته ... حدثنا (عمويه) : ناقصة في ح .
(٤) ح : قدس الله سره وروحه العزيز .
(٥) ح : سبحانه .
(٦) ص : ثلاث .

الغفلة عنه ؛ وقوم هربوا من الله سبحانه من حيث العجز عنه ؛ وقوم وقفوا فيما لا طلب لهم ولا هرب لهم عنه .

وسمعته يقول : حدثنا علي بن بندار المثني قال : حدثنا عمويه البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : رأيت جماعة وردوا وقالوا : يا أبا يزيد ! وكنا نسمع كلام ذي النون وأبي سليمان وننتفع به ؛ ومنذ سمعنا كلامك تبشرنا وتركنا كلامهما . فقال : نِعْمَ القوم ! تكلموا من بحر صفاء الأحوال ، وأنا أتكلم من بحر صفاء المنة ؛ فتكلموا ممزوجاً وأتكلم صرفاً . كم بين (١) من يقول : أنا وأنت ، وبين (١) من يقول : أنت أنت !

وسمعته يقول : سمعت محمد بن دادويه السِّمناني يقول : سمعت عبدالله بن سهل يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت ذا النون المصري يقول لبعض من أراد أن يزور أبا يزيد ، قُلْ لأبي يزيد : إلى متى هذا النوم والراحة وقد جازت (٢) القافلة ؟! قال فخرج الرجل قاصداً إلى أبي يزيد وسلّم عليه فقال : ذو النون يقرئك السلام ويقول : إلى متى النوم والراحة ؟ فقال أبو يزيد : قل لأخي ذي النون إن الرجل كلَّ الرجل من ينام الليل كله ، فإذا أصبح آمناً في المنزل قبل نزول القافلة . فرجع الرجل إلى ذي النون وأخبره فقال : هذا كلام لا تبلغه أحوالُنا : هنيئاً له !

وسمعته يقول : سمعت محمد بن دادويه السِّمناني قال : سمعت عبدالله بن سهل يقول : سمعت أبا موسى الدَّيْبُلي يقول : سمعت أبا يزيد وقد سئل عن اللوح المحفوظ فقال : أنا اللوح المحفوظ .

قال : وسمعته يقول : لا تغترُّوا باللوائح ، فإنها تلوح من متاهات يضيع فيها من لا سابقة له .

---

(١) ح : بيني .
(٢) ص : وجاوزت .

قال (١) : وسمعته يقول : سمعت مظفر بن عيسى المراغي يقول (١) : سمعت شنبذين يقول : سمعت أبا موسى الديبُلي (٢) يقول : سمعت أبا يزيد يقول : توبة الناس من ذنوبهم وتوبتي من قولي : لا إله إلا الله . إني أقول بالآلة والحروف . والحق خارج عن الحروف والآلة .

(٢٩ أ) وبهذا الإسناد قال أبو يزيد : توبة المعصية واحدة . وتوبة الطاعة ألف توبة .

وبهذا الإسناد يقول : قال أبو يزيد : لو تغفر من رأس آدم إلى يوم القيامة غفرت عن قبضة تراب . ولو تحرق بالنار من رأس آدم إلى يوم القيامة أحرقت قبضة تراب (٣) .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول : أهل خاصة الله تعالى على أربع منازل : فطائفة هم مقيمون مبهوتون . لا يحتملون ما يرد عليهم . فهم يريدون الخلاص من ثقل ما يرد عليهم ، إلا أنهم ممنوعون من الاختيار . وطائفة يوادّهم فيقولون : لا نبرح . وطائفة قد أحاط بهم ولا يمكنهم البراح .

وبهذا الإسناد سمعته يقول : قال أبو يزيد : كنت ثلاثين سنة أذكر الله . ثم سكنت ، فإذا حجابي ذكري له .

وبهذا الإسناد سمعته يقول (٤) : قال أبو يزيد : الناس كلهم يقولون به ، وأنا أقول منه .

وسمعت أبا علي عبدالله بن ابراهيم الواعظ فيما استفاد من بعض مشايخه

---

(١) قال : ناقصة في ح .
(٢) ص : الدئيلي .
(٣) ولو تحرق .. تراب : ناقصة في ص .
(٤) وبهذا ... يقول : ناقصة في ص .

أن أبا يزيد قال : علامة الانتباه خمسة : إذا ذكر نفسه افتقر ؛ وإذا ذكر حَوْبته استغفر ؛ وإذا ذكر الدنيا اعتبر ؛ وإذا ذكر الآخرة استبشر ؛ وإذا ذكر المولى افتخر .

وسمعته يقول : أخبرنا أبو عبدالله محمد بن طاهر بن يوسف الشيرازي قال : حدثنا عبدالله بن محمد بن أحمد الحميدي قال : حدثنا عمر بن محمد بن عبدالله ؛ سمعت أبا عبدالله القرشي (١) يقول : قال لي الجنيد : قال لي السري (٢) السقطي : قال أخي أبو يزيد طيفور بن عيسى : من نظر إلى الخلق بعين العلم مَقَتَهم وهرب إلى الله عز وجل ؛ ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم وكان طريقاً لهم إليه .

قال : وقال أبو يزيد : منذ ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله عز وجل تمضمضتُ وأغسل لساني إجلالاً لله عز وجل .

وقال : عند نسيان النفس ذكرُ باريء النفس .

وقال : كمال العارف احتراقه بمحبته لربه .

وقال : من أظهر من نفسه علم الأزل يحتاج أن يكون معه نورُ الذات .

وسمعته (٣) يقول : أخبرنا محمد بن الحسين — إجازةً — قال سمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت عمر البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد (٤) يقول : من لم ينظر إلى شاهدي بعين الاضطرار (٥) ، وإلى أوقاتي بعين الاغترار ، وإلى أحوالي بعين الاستهزاء (٦) ، وإلى كلامي بعين

---

(١) ح : حدثنا عمر بن محمد بن عبدالله القرشي يقول ...

(٢) ح : سري .

(٣) ص : وسمعت منصور ...

(٤) ح : أبا يزيد البسطامي .

(٥) ص : الافطراري .

(٦) ص ، ح : الاستدراج .

الافتراء . وإلى عبادي بعين الاجترّاء . وإلى نفسي بعين الإزْراء . فقد أخطأ النظر فيّ .

قال محمد بن الحسين : ذكرت لأبي عثمان المغربي هذه الحكاية فقال : لم أسمع لأبي يزيد حكاية أحسن منه .

قال : وسمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت عمر البسطامي يقول : سمعت أبي يقولُ : سمعت أبا يزيد يقول : لوْ صَفَا لي تَهليلةٌ ما باليْتُ بعدها شيء .

سمعت أبا عبدالله الشيرازي الصوفي قال : سمعت مظفر بن عيسى المراغي يقول : سمعت شنبذين يقول : سمعت أبا موسى الديْبُلي (١) يقول : سمعت أبا يزيد يقول : أوفي صفة العارف أن تجري فيه صفات الحق . ويجري فيه جنس الربوبية .

وبهذا الإسناد قال : سمعته يقول — وقد سأله رجل : كيف الأمر (٢) الذي هو لا يعرف ؟ — فقال : منه علا ، وإليه وصل . ثم قال : الوصل من الفصل ، ثم الفصل من الوصل ، ولكل واحدٍ منهما اسمٌ في مجراه . وهو يأتيه مختلفاً لأن كل مجرى منه علم فصل ؛ فإذا وَصل بفصله أعطى علم غيب أزله ، فإذا كمل فيه باستحكامه رجع الفصل (٣) إلى الفصل بلا إزالة الوصل ولا نفي الفصل .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول وقد سئل عن الزاهد فقال : الزاهد هو الذي يلحظ إليه لحظة ، فيبقى عنده ، ثم لا يرجع نظره إلى غيره ؛

---

(١) ح : الدئيلي . وورد هكذا في ح: يقول أبا موسى الدئيلي يقول أبا موسى الدئيلي يقول سمعت ...

(٢) ص : كيف هذا إلا الذي ...

(٣) بفصله أعطى ... رجع الفصل : ناقص في ح .

والعابد هو الذي يرى منة الله تعالى عليه في العبادات أكثر من العبادة حتى تغرق عبادته في المنة .

وبهذا الإسناد سمعت أبا يزيد يقول : الأسماء كلها اسم الصفات ؛ و « الله » اسم الذات . الاسم علامـــة المعنى ؛ (٢٩ ب) والمعنى علامـــة تعرف [١] بها الذات ؛ والأسماء علامة تعرف بها الصفات [٢] ؛ والصفات علامة تعرف بها الذات ؛ فمن أقر بالصفات ولم يقر بالذات فليس بمسلم . ومن أقر بالذات قبل الصفات فيسمى مسلماً ويجب أن يقر بالصفات . والدليل على ذلك ، لو أن رجلاً قال : لا إله إلا الرحمن . أو لا إله إلا الرحيم ؛ ثم يأتي على الأسماء كلها ، لا يكون مسلماً حتى يقول : لا إله إلا الله . ومن أقر بهذا الاسم الواحد ، وهو الله ، فالأسماء كلها داخلة في هذا الاسم ، وخارج منها . يخرج من هذا الاسم معاني الأسماء كلها . ويدخل في هذا الاسم وجود الأسماء ، ولا يحتاج هذا الاسم من اسم سواها . والدليل على ذلك أن الله تعالى تفرد بهذا الاسم دون خلقه وأنه شارك خلقه في أسمائه كلها سوى هذا الاسم . ويجوز أن يسمى الرجل عالماً ورحيماً وكريماً على معاني هذه الأسماء . ولا يجوز أن يسمي الرجل « الله » فإنه اسمه لا إله إلا الله . وما دعا أحد الله باسم من الأسماء كلها إلا ولنفسه في ذلك نصيب . إلا « الله » . فإن ذلك حظ الله من عبده [٣] . ومعنى ذلك أن من طالب ربه برحمته فيقول : يا رحيم ! ومن طالب بكرمه فيقول : يا كريم ! ومن طالبه بجوده فيقول : يا جواد ! فكل اسم تحته معنى يدعوه إلى نصيب الناس من أمر الدين والدنيا إلا « الله » : فإن هذا الاسم يدعوه إلى وحدانية الله تعالى . وليس للنفس في [٤] هذا نصيب . ومن أراد من الله عطاءً يدعو الله بأسماء الصفات . ومن أراد من ذات الله يدعو الله بأسماء الذات .

---

(١) ص : يعرف به .

(٢) والأسماء ... الصفات : ناقصة في ح .

(٣) ح : من عنده وحتى ...

(٤) ح : فيها .

وسمعت أبا عبدالله قال : حدثنا علي بن أحمد القومسي قال : حدثنا أحمد بن الفضل . قال : حدثنا خلف بن عمر قال : حدثنا عمّي خادم أبي يزيد : قال : سمعت أبا يزيد يقول : ذكرته بذكر أصناف خلائقه حتى ذكر (١) أصناف الخلائق لذكري . ثم ذكرته بذكره حتى ذكرني لذكري .

وقال : أعرفه بي حتى فنيت . ثم عرفته به فحييت .

وحدثني أبو الحسن علي بن محمد القومسي (٢) قال : حدثنا عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن عيسى (٣) قال : حدثني موسى بن عيسى قال : حدثني أبي عيسى وآدم بن أخي (٤) أبي يزيد قدس الله روحه قال : قال : أبو يزيد : أحببت الله حتى أبغضت نفسي ، وأبغضت الدنيا حتى أحببت الله . وتركت الدنيا حتى (٥) وصلت بالله واخترت الخالق على المخلوقين حتى آنست به .

وبهذا الإسناد : قال أبو يزيد : خرجت إلى الحج فرأيت في الطريق أسود فقال لي : يا أبا يزيد ! إلى أين ؟ فقلت إلى مكة . فقال : الذي تطلبه تركته (٦) ببسطام وأنت لا تدري ! تطلبه وهو أقرب إليك من حبل الوريد ؟!

وبهذا الإسناد . أنه سئل فقيل : متى يصل العبد إلى الله تعالى ؟ فقال : يا يا مسكين ! وهل وصل إليه أحد ! لو بدا للخلق منه ذرة ما بقي الكون ولا ما هو فيه !

وبهذا الإسناد عنه أنه قال : من نظر إلى الناس بالعلم مقتهم ، ومن نظر إلى الناس بالحقيقة رحمهم .

---

(١) ص ، خ : ذكروه .
(٢) ص : التوهي . ح : القومي (القومسي) ؟ .
(٣) ح : حدثنا عيسى قال : حدثنا بي (كذا) عيسى بن آدم ...
(٤) ص ، ح : أخ .
(٥) حتى : ناقصة في ح .
(٦) ح : تركت .

وعنه أنه قال : من نظر إلى الخلق بالخلق أبغضهم ، ومن نظر إلى الخلق بالخالق رحمهم .

وبهذا الإسناد : سمع رجلاً يقول : عجبت ممن [1] عرف الله كيف يعصاه ! [2] فقال رضي الله عنه : عجبتُ [3] ممن عرف الله كيف يعبده !

وبهذا الإسناد قال : لله عباد لو بدت لهم الجنة بزينتها لضجوا منها كما يضج أهل النار من النار .

وبهذا الإسناد أنه سُئل : متى يكون الرجل عاملاً على معنى العبودية ؟ فقال : إذا لم يكن له إرادة . فقيل : كيف يكون ذلك ؟ قال : تكون إرادته وتمنيه وشهوته داخلة في محبة ربه ، ولا تتقدم له إرادة في شيء أبداً حتى يعلم إرادة الله عز وجل ومحبته فيه .

وبهذا الإسناد عن عيسى أنه قال : كنت عند أبي يزيد قدس الله روحه [4] ، فذكر عنده الجاه والنفس فقال : يا أبا موسى ! إن المؤمن بلا نفس . ثم قرأ [5] : « إن الله اشترى (٣٠ أ) من المؤمنين أنفسهم » [6] فمن باع نفسه فكيف تكون له نفس ؟ !

وبهذا الإسناد أنه قال : أول مقام التوحيد أن يقول العلم قائلاً ومستمعاً .

وبهذا الإسناد أنه سئل عن الاسم الأعظم فقال : في قولك لا إله إلا الله [7] ، وأنت لا تكون هناك .

---

(١) ح : من .
(٢) ص ، ح : يعصيه .
(٣) ح : فمن .
(٤) قدس الله روحه : ناقصة في ح .
(٥) يا أبا موسى ... قرأ : ناقصة في ص .
(٦) سورة التوبة : آية ١١٢ .
(٧) ح : هو .

وقال مرة أخرى : لا إله إلا الله وكنت أنت ثَمَّ .

وبهذا الإسناد قال : جاء رجل إلى أبي يزيد فقال له : أريد أن أجلس في مسجدك [1] الذي أنت فيه . فقال : لا تطيق ذلك . فقال : إن رأيت أن توسع لي في ذلك ؟ فإذن له . فجلس يوماً ، فلم يطعم وصبر . فلما كان في اليوم الثاني فقال له : يا أستاذ ! نريد القوت . قال : يا غلام ! القوت عندنا لله . فقال : يا أستاذ ! لا بد مما لا بد منه . قال : يا غلام ! لا بد من الله . قال : يا أستاذ ! أريد شيئاً يقيم [2] جسمي في طاعتي الله . فقال : يا غلام ! إن الأجسام لا تقوم إلا بالله .

وسمعت أبا نصر أحمد بن محمد الدامغاني حاكياً عن مشايخه أنهم قالوا : سئل أبو يزيد : ما التصوف ؟ قال : صفةُ الحق يلبسها العبد .

وسمعته يقول : سمعت بعض المشايخ يقول : قال أبو يزيد : رأيت رب العزة في المنام فقال لي : كل الناس يطلبون مِنّي ، غير أنك تطلبني .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن بكر [3] الغزالي أنه قال : سئل أبو يزيد عن قول الله تعالى : « هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن » [4] . قال : هو « الأول » بكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبوا [5] فيها ؛ « والآخر » بكشف أحوال الآخرة حتى لا [6] يشكُّوا فيها ؛ « والظاهر » على قلوب أوليائه حتى يعرفوه [7] ؛ « والباطن » على قلوب أعدائه حتى ينكروه .

---

(١) ح : مجدي .
(٢) ح : يقم .
(٣) ح : بن أبي بكر .
(٤) سورة الحديد : آية ٣ .
(٥) ص ، ح : يرغبون .
(٦) ح : يشكون .
(٧) ص ، ح : يعرفونه .

وأخبرنا أبو علي عبدالله بن ابراهيم النيسابوري قال : سمعت أبا بكر بن إدريس يقول : سمعت عَمّوَيه يقول : سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : إن في الطاعات من الآفات ما لا تحتاجون إلى أن تطلبوا المعاصي .

وأخبرنا أبو علي قال : أخبرنا أبو يعقوب اسحق بن ابراهيم الحافظ بِهَرَاة يقول : سمعت محمد بن الفضل [1] الوراق يقول : سمعت شيخاً بخارياً بمر والروذ يقول : سئل أبو يزيد فقيل له : إن الناس يقولون إن شهادة أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة . قال : صدقوا ؛ ولكن لا يفتح المفتاح بغير مغلاق ، ومغلاق لا إله إلا الله أربعة أشياء : لسان بغير كذب ولا غيبة [2] ، وقلب بغير مكر [3] ولا خيانة ؛ وبطن بغير حرام [3] ولا شبهة ، وعمل بغير هوى [3] ولا بدعة .

وأخبرنا أيضاً أبو علي قال : أخبرنا أبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن [4] صالح الوراق الشجري [5] بهراة قال : أخبرنا أبو محمد محمد بن أحمد بن محمد [6] بن الفضل قال : سمعت الحسن بن علوية يقول : قال أبو يزيد : إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه فخلع عليهم خِلَعاً من خِلَعه ، فشغلوا بالخلع عنه ؛ وإني لا أريد من الله إلا الله .

وأخبرنا أبو علي قال : أخبرنا أبو عمر أحمد بن محمد قال : أخبرنا أبو محمد . قال : سمعت ابن علوية يقول : قال أبو يزيد : عُرِّجَ بروحي فخرقت الملكوت فما مررتُ بروح نبي إلا سلمت عليه وأقرأته السلام غير

---

(١) ح : فضل .

(٢) ح : كذب وعيبة .

(٣) ولا : ناقصة في ح .

(٤) ابن أحمد : ناقصة في ح .

(٥) ح : البحري .

(٦) ابن أحمد بن محمد : ناقصة في ح .

روح محمد صلى الله عليه وسلم . فإنه كان حول روحه ألفُ حجاب من نور كادت [1] أن تخترق عند أول لمحة .

وأخبرنا أبو علي قال : أخبرنا أحمد بن محمد المالِيني الصوفي يقول : سمعت علي بن محمد الدينوري [2] يقول : سمعت ابراهيم بن شيبان يقول : قال أبو يزيد البسطامي : كنت قاعداً يوماً من الأيام فخطر لي أنّي شيخُ الوقت . قال : فخرجت إلى طريق خراسان فجلست وجعلت على نفسي وآليت عليها أن لا أقوم حتى يوجِّه إليَّ الحقُّ من يعرّفني نفسي . فبقيت ثلاثة أيام بلياليها قاعداً . فلما أن كان اليوم الرابع أشرف عليَّ رجل أعور على راحلته فشهدت فيه حالاً فأخرجت يدي وأومأت إلى الجمل فغاص برجليه في الأرض اليبسة فنظر إليَّ وقال : تُلْجئني إلى أن أفتح عيني [3] المغلوقة . فأُغْرِقَ بسطامَ وأهلها وأبو يزيد فيهم ؟! ثم التفت إليَّ فغشي عليَّ فقلت : من أين أقبلت ؟ قال : من وقت الذي عقدت بينك (٣٠ ب) وبين الحق . وقد جئتك ثلاثة آلاف فرسخ . ثم قال : يا أبا يزيد ! احفظ قلبك ! — وحوّل وجهه عنّي ومرّ .

أخبرنا أبو علي قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عبدالله بن جهضم الهمذاني بمكة قال : حدثنا أبو صالح الدامغاني عن الحسن بن علي الدامغاني قال : كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن [4] مجلس أبي يزيد ولا يفارقه . فقال له ذات يومٍ : أستاذ ! أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل ، وقد تركت الشهوات وليس أجد في قلبي من هذا الذي تذكره شيئاً بتّةً . وأنا أؤمن بكل شيءٍ تقول وأصدّق به . فقال له أبو يزيد : لو صُمْتَ ثلثمائة سنة وقُمْتَ

---

(١) ص : كانت ... ح : وكادت .

(٢) سمعت ... الدينوري : ناقصة في ح .

(٣) ص : عيوبي .

(٤) عن : ناقصة في ص .

ثلثمائة سنة وأنت على ما أراك (١) لا تجد من هذا العلم ذرة . قال : ولم يا أستاذ ؟ قال : لأنك محجوب بنفسك . قال له : فلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب ؟ قال : نعم ! ولكنك لا تقبل ولا تعمل . قال : بلى ! أنا أقبل وأعمل ما تقول . فقال له أبو يزيد : اذهب الساعة إلى الحجّام واحلق رأسك ولحيتك وانزع منك هذا اللباس واتّزر بعباءة وعلّق في عنقك مخلاة واملأها (٢) جوزاً واجمع حولك صبياناً وقل بأعلى صوتك : يا صبيان ! من صفعني صفعة أعطيته جوزة . وادخل إلى سوقك التي تعظم فيه وينظر إليك كلٌ من عرفك على هذه الحالة . فقال : يا أبا يزيد ! سبحان الله ! تقول لي مثل هذا ويحسن أن أفعل هذا ؟ فقال أبو يزيد : قولك : « سبحان الله » شِرْكٌ . قال : وكيف ؟ قال أبو يزيد : لأنك عظّمت نفسك فسبّحتها . فقال : يا أبا يزيد ! هذا ليس أقدر عليه ولا أفعله ، ولكن دُلّني على غير هذا حتى أفعله . فقال له أبو يزيد : ابتدأ بهذا قبل كل شيء حتى تُسقط جاهك وتُذل نفسك ، ثم بعد ذلك أعرّفك ما يصلح لك . فقال له : لا أطيق هذا . قال : قلت إنك لا تقبل وأنا أعلم .

وأخبرنا أبو علي قال : أخبرنا أبو الحسن ، قال : حدثنا أبو الفتح أحمد بن الحسن . قال : أخبرنا علي بن جعفر عن أبي موسى قال : كان في ناحية أبي يزيد رجل فقيه ، عالم تلك الناحية . فقصد أبا يزيد وقال له : قد حُكي لي عنك عجائبُ . فقال له أبو يزيد : وما لم تسمع من عجائبي أكثر . قال : علمك هذا عمّن ومن أين ؟ فقال أبو يزيد : علمي من عطاء الله عز وجل . ومن حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عَمِل بما يعلم ورّثه الله علمَ ما لا يعلم ؛ ومن حيث قال : العلم علمان : علمٌ ظاهر وهو حُجة الله على خلقه ، وعلم باطن وهو العلم النافع . فعلمك يا شيخ نقل من لسان عن

---

(١) ص ، ح : أريك .

(٢) ص ، ح : املأه .

لسان التعليم (١) لا للعمل . وعلمي من الله إلهامات من عنده . فقال له الشيخ : علمي بالتأكيد عن الثقات : أكابرَ عن أكابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ربّه عز وجل . فقال له أبو يزيد : يا شيخ ! كان للنبي صلى الله عليه وسلم علمٌ من الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل . قال : نعم ! ولكن أريد أن يصحّ لي أيّ علمك الذي تقول هو .

قال (١) : نعم ! أثبته لك على قدر ما يستقر في قلبك معرفته . ثم قال : يا شيخ (أما) علمت أن (الله) عز وجل كلم موسى تكليماً قبلاً . وكلم محمداً صلى الله عليه وسلم ورآه كفاحاً ، وكلّم الأنبياء وحياً ؟ قال : بلى ! ثم قال : أيها الشيخ ! أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بالإلهام منه لهم . وفوائده وتأييده لهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة ؟ ومما يؤكد ما قلت ما ألهم الله عز وجل أمّ موسى أن تلقي موسى في التابوت حتى حملت ولدها وألقته في اليمّ . وكما ألهم الخضر أمر السفينة وأمر الغلام وأمر الحائط . وقوله لموسى : وما فعلته عن أمري . وأتاه علماً من عند الله عز وجل (في) قوله : «وعلّمناه من لَدُنّا علماً (٣) » . وكذلك ألهم يوسف في السجن . وكما قال أبو بكر لعائشة إن ابنة خارجه حامل بابنة ، فولدت جارية . فقال : إنما ألهمت ذلك . وما ألهم عُمَر وكان على المنبر فنادى : يا ساريةَ الجبلَ ! ومثل هذا كثير . وأهل الإلهام قومٌ خصّهم الله بالفوائد فضلاً من الله عليهم وكرامةً منه . وقد فضّل الله بعضهم على بعض في الإلهام والفراسة . فقام الشيخ وقال : أعطيتني أصلاً وشفيت صدري .

وقال أبو يزيد : الجنة اثنتان : جنة النعيم . وجنة المعرفة ، فجنة المعرفة أبدية ، وجنة (النعيم) موقتة .

---

(١) ح : المتعلم .

(٢) من هنا تأتي قرابة عشرين ورقة من مخطوطة حلب لم ترد في مخطوط بغداد .

(٣) سورة الكهف : آية ٦٤ .

قال : وحدثني أبو الحسن علي بن محمد القومَسي قال : حدثنا عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن عيسى قال : حدثني موسى بن عيسى قال : حدثني أبو عيسى بن آدم بن أخي أبي يزيد قدس الله روحه أنه سمع رجلاً يقول : « الله أكبر ! » فقال : ما معنى : الله أكبر ؟ فقال الرجل : أكبر من كل شيء . فقال له : ويحك ! حَدَّدْتَه ؛ أوَ كان معه شيء فيكون أكبر منه ؟ فقال الرجل : ما معنى الله أكبر ؟ فقال أبو يزيد : أكبر من أن يقاس بالناس ، أو يدخل تحت القياس (٦٢) أو تدركه الحواس .

وبهذا الإسناد أنه قيل له : من تأمرنا أن نصحب ؟ قال : (من) إذا مرضْتَ عادك ، (و) إذا أذنبت تاب (عليك) .

وبهذا الإسناد أنه قيل له : أليس الله يعطي العباد الجنةَ برضاه ؟ (فقال) : إن أعطى عبداً من عباده رضاه ، (فـ) ما يرجو بقصور الجنة ؟!

وسمعت أبا الحسن محمد بن القاسم الفارسي قال : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن الغميسي البُسْتي القادم علينا حاجّاً سنة أربع وسبعين قال : سمعت موسى البسطامي المعروف بعمي ، سمعت أبي يقول : قال رجل بين يدي أبي يزيد يوماً : « الله » ! — فزبره أبو يزيد زبرة وقال : اسكت ! ثم قال عمي : أراد أبو يزيد أن لا يذكر العبد معبوده على الغفلة [1] .

قال : وسمعت أبا الحسن يقول : سمعت محمد بن الحسن الصوفي يقول : سمعت أبا موسى الدَّيْبُلي يقول : سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : سأله رجل فقال : دُلّني على عمل أتقرب به إلى الله ! فقال : تحبُّ أولياء الله وتحبّب إليهم ليحبوك . فإن الله ينظر إلى قلوب أوليائه في كل يوم وليلة سبعين مرة . فلعله أن ينظر إلى اسمك في قلب وليّ من أوليائه فيحبّك ويغفر لك .

---

(١) ح : الغفلي .

وسمعت أبا الحسن قال : سمعت الحسن بن محمد بن الحسين بن داود العلوي النقيب يقول : سمعت معروف بن محمد الأميري يقول : (٦٣) قال أبو يزيد البسطامي — قدس الله روحه : — سِرْ في ميدان التوحيد حتى تصل إلى دار التفريد ، وطِرْ في ميدان التفريد حتى تلحق وادي الديمومية . فإن عطشت . سقاك كأساً لا تظمأ من الذكر بعدها أبداً .

وسمعت أبا الحسن قال : سمعت أبا بكر أحمد بن محمد بن جعفر النيسابوري قال : سمعت أبا بكر أحمد بن إسرائيل قال : سمعت خالي علي بن الحسين يقول : سمعت الحسن بن علي بن حنويه يقول : قيل لعمي . وهو أبو أبي يقول : خرج أبو يزيد حاجاً مع عديل له من اهل بسطام . فلما أراد الحاج دخولَ البادية عمد أبو يزيد فاشترى شيئاً من الحوائج وحمل على الجمل الذي عليه محامله . فقال له عديله : كل هذه الأمتعة لا يحمله الجمل . و (ظل) ينهاه عن ذلك وأبو يزيد يتغافل عنه . وكان يضع أمره على قلة الورع . فلما ارتحل . قال أبو يزيد لعديله : يا مسكين ! طأطىء رأسك ! هل نحن على ظهر الجملَ ؟ فنظر فإذا الجمال تمرُّ . وإذا [1] المحامل في الهواء تمر فوق ظهر الجمل . فتعجب وقال : يا أبا يزيد ! المحامل بينها وبين ظهور الجمال أكثر من ذراع . فقال أبو يزيد : إذاً فلا تكثر عليَّ . فقلتُ : بمَ نلت هذا يا أبا يزيد ؟ فقال : يا مسكين ! هل يقوم أحدٌ على هذا غير الله ؟

وبإسناده (٦٤) قال : سمعت عمي يقول : سمعت أبي يقول : كان أبو يزيد إذا أراد الخلوة دخل بيتاً فجعل يحشو ثُقُب البيت كلها لئلا يدخل فيه صوت ويقول : هذا شغل عن ربي .

قال : وسمعت الشيخ أبا عبدالله الداستاني يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : إن بعض الناس طعن في أبي يزيد طعنة . فسمع بعضُ محبّيه قوله

---

(١) ح : وأرى .

فلطمه لطمة ، فبلغ ذلك أبا يزيد – رضي الله عنه – فقال : إن لم يكن مثل ذلك الرجل ، فمن يلطم مثل تلك اللطمة !

وسمعته يقول : سمعنا مشايخنا يقولون إن أبا يزيد أمر بعض تلامذته أن يشتري له الخبز فاشترى . فلما وجده رآه مُحاشاً (١) . فأمره برده على صاحبه وقال : كأنهم يقولون إنهم متقرّبون يأكلون كيفما يكون ! [و] أمره أن يأخذ الأجود والأبيض .

وسمعته يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : قال أبو يزيد : إذا كان هو الواحد ، فما أكثر ما تحتاج إليه حتى تكون رجلاً !

وسمعته يقول : سمعنا المتقدمين قالوا : جاء واحد من خراسان وقال : إن أهل خراسان يسلمون عليك . فقال له : قل لرءوس خراسان إن تقدروا أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه من الأول من الغناء . إن لم يكونوا ، وإلا فكان هذا الصلاح نسيماً هبت عليكم !

وسمعت محمد بن أحمد المذكر (٦٥) يقول : سمعت بعض مشايخي يقول : حكينا أن أبا يزيد – رضي الله عنه – بلغه أن فلاناً المجوسي جارَه قد مَرِض . فدخل عليه عائداً . فلما بصر المجوسي بأبي يزيد [ف] أزال رأسه من فراشه ووضع خده على التراب تعظيماً وإجلالاً لأبي يزيد . قال : فلبث ساعة ثم قام منصرفاً . فلما توسط الدار رفع أبو يزيد (٢) طرفه إلى السماء كأنه سأله (٣) فيه . فلما بلغ الدهليز إذا ببعض أولاد المجوسي جاء على أثر أبي يزيد يقول (٤) : إن أبي يقول : بحق الله عليك لا انصرفت . فما انصرفت . فقال : يا أبا يزيد ! اعرِض عليّ الإسلام . فعرض عليه . فأسلم . وقضى المجوسي مكانه . فقام أبو يزيد بأمره حتى دفنه .

---

(١) المحاش (بضم الميم) : المحترق .

(٢) ح : أبا يزيد .

(٣) أي : سأل الله في هذا المجوس المريض حتى يسلم .

(٤) ح : أن أبي يزيد يقول إن أبي ...

وبه ، قال أبو يزيد لرجل قد صلى في مسجده . إن زعمت أن صلاتك مواصلة فهي مفاصلة : إن تركتها كفرت ، وإن شاهدتَها أشركت .

وسمعت الشيخ أبا عبدالله يقول : سمعنا المتقدمين يحكون أن أبا يزيد — قدس الله روحه — قال : يقول الخراساني — يعني الصوفي — : خَلِّ الكُنْدوج ! خَلِّ الكُنْدوج (١) ! إنك إذا خليت الكُنْدوج فلا ينبغي أن تطمع في سبعين أخرى .

وسمعت محمد بن أحمد المذكر يقول : سمعت بعض مشايخي يقول : حكينا عن أبي يزيد رضي الله عنه أنه قال : عجباً من الحياءين ! حياء العبد من العصيان . وحياء المعبود من العقوبة (٦٦) على العصيان — يعني بذلك قوله : استحْيِي ! قال : فإني أستحيي منك أن أحرقك بالنار .

وبه ، يحكى أنه جاء شقيق (٢) وأبو تراب فقدم إليهما . وكان أصحاب أبي يزيد قاموا لخدمتهما (٣) — فقال له أبو تراب : كُلْ معنا ولك أجر شهر . فقال : أنا صائم . فقال أبو يزيد : دعوه . فإنه سقط من عين الله . فما مضى مدة يسيره حتى أُخِذَ الرجل في سرقة فقطعت يداه .

وبه ، قال أبو يزيد : العارف لا يكدره شيء . ويصفو له كل شيء .

وبه ، قال أبو يزيد : من عرف الله صار على النار عذاباً . ومن جهل الله صارت عليه عذاباً ؛ ومن عرف الله صار للجنة ثواباً . وصارت الجنة عليه وبالاً .

وبه ، قيل لأبي يزيد : مالك والدعوى ؟ فأجاب : أين الدعوى ؟! المدعي هو الله ، والله حيث قال : يا عبادي .

وسمعت أبا عبدالله الداستاني يقول : سمعنا المتقدمين قالوا : قال أبو

---

(١) الكندوج (بضم الكاف) : شبه المخزن ، معرب كندو .

(٢) أي شقيق البلخي وأبو تراب النخبي .

(٣) ح : قام لخدمها .

يزيد – رضي الله عنه . كل يوم يدخل ألف نفر في هذا الفريق . فإذا كان المساء فلا يذهبون بالإيمان مع أنفسهم – يعني لا يبقون على ذلك ، فيخسرون أيضاً إيمانهم .

وسمعت أبا عبدالله الداستاني يقول : سمعنا المتقدمين يقولون : قال أبو يزيد : المتقرىء لا يبصر تحت شجرة التمر – يعني تحت النخيل لطولها وكثرة الشوك عليها – فيأخذ شجرة الغبراء منحنية يرقاها فيأكل البعض (٦٧) . لو صبر المسكين تحت النخيل لأكل ما كان يساوي ! – يعني (ما) كان يصلح للأكل – يعني لا يصبر مع الرجال في طريق الحق تعالى ، فيصحب بعض المتزهدين والمقربين وأمثالهم ، فيأخذ بعض طريقته . وينزل بعضها من الضنك والضيق ، ويضل بسبب صُحْبة الطريق .

وسمعته يقول : سمعنا المتقدمين قالوا : (قال) أبو يزيد : أخذت مخلاتين ، فعلقت إحداهما خلفك . وجعلت فيها ما لنفسك ، وعلقت ثانيتهما قدامك ، وجعلت فيها ما لغيرك .

وسمعت محمد بن أحمد المذكر يقول : سمعت بعض مشايخي يقول : حُكِيَ لنا أن كان في جوار أبي يزيد – قدس الله روحه – فقيه يحسده على ما كان يجري اللهُ تعالى على يديه . قال : فتقدم إلى أبي يزيد رجل فقال : إذا يتقرّبُنا هذا الفقيه يقول لنا : ألا تشتغلون [1] بما يعنيكم ؟ ألا تتعلمون ما ينفعكم ؟ ما هذا الذي يحملكم على خدمة هذا المهووس الذي لا يحسن (أن) يتطهر ؟ فقال أبو يزيد : قولوا له ، عليك بنفسك . فالزم دينك ! إن تُرِكَ عليك فإني لا آمن عليك أن تموت يوم تموت مُسْلماً . فأخبر الفقيه بذلك فغاظه ذلك . فقضي أن الفقيه مرض ؛ فأوصى أنه لا يدفن في مقابر المسلمين فإنه كان على دين النصارى . وكان أبو يزيد يقول بعد ذلك : ما شيءٌ بأهوَنَ

---

(١) ح : تشتغلوا ... تتعلموا .

على أحدكم من تعظيمه لأخيه المسلم وحفظ حرمته (٦٨) ! ولا شيء أضر بكم في دينكم من تهاونكم بإخوانكم في تضييع حرمتهم !

وسمعت الشيخ أبا سعيد ابن أبي الخير رحمة الله عليه وقد حضر رأس قبره جالساً في وجاهة . فأشار إليه وقال : قال هذا الشيخ : إن الله تعالى جعل الأولياء نثار (؟) الأرض فما لهؤلاء الحساد ؟ ! — يعني : لا يرتضون ذلك .

وسمعت الشيخ أبا عبدالله يقول : سمعنا المتقدمين حكوا عن أبي يزيد — قدس الله روحه — أنه قال . وكان كثير الشكاية عن المتقرئين : شيبني متقرئو [1] بسطام . ليتني ما رأيتهم !

وهكذا سمعته يقول : إنه قال : يا متقرىء ! أو كما أنت ! أو : كن كما ترى !

وسمعته حكى هذا : أنه قال : تفكرت أن أجعل نفسي في قبة خضراء في هذا الهواء بعد موتي . فخشيت من سهم المتقرئين أن يقول : انظر إلى هذا الرعناء ! جعل نفسه هكذا ! أراد أن يظهر نفسه . فتركت ذلك ولم أفعل .

وسمعته حكى هذا : أن عصاه سقطت مرة في المسجد [2] الجامع فسقطت على عصا غيره فأسقطتها . فأمر بعض تلامذته أن يرفعها عنها ويقول لصاحبها أن يجعله في حل من ذلك . وقال لتلميذه : افعل ذلك في خفية بحيث لا يرى [3] متقرىء .

وسمعته يقول (حكاية) حكاها عن المتقدمين أن أبا يزيد قال : إن المتقرىء إذا وقع في الرجال (٦٩) جعل شفتية كشفة التيراني . قال — والتيراني

---

(١) ح : متقري ،

(٢) ح : مسجد .

(٣) ح : لم ير .

سمكة في البحر يحذرها سمّاك البحار فتضرب فتخرق ، وإن المتقرىء ليخرق نفسه ولا يدري .

وسمعته يقول : سمعنا المتقدمين يحكون عن أبي يزيد أنه قال : يمدحون الله تعالى فيظن المتقرىء أنهم يمدحون أنفسهم . — قلتُ أنا : يعني يريدون بذلك المدح فضل الله عليهم بذلك ، وأنهم يظنون أنهم يريدون به مدح فضل أنفسهم بانتسابهم إلى ذلك الفضل .

وسمعته يقول . حاكياً عن مشايخه : إن رجلاً حجب أبا يزيد مدةً يسيرة : فرآه وقتاً يهتز . فقال له : يا أبا يزيد ! من أيش تهتز الرجال ؟ فقال له : تقدر أن تسعى عشرين وثلاثين سنة في طريق الصدق حتى تعلم ما تهتز منه الرجال . فمنذ متى قمت من تحت التخيخ[1] تريد (أن) تعلم ما تهتز الرجال من أي شيء .

وسمعته يقول حاكياً عن المتقدمين يقول إن أبا يزيد قال : كنت أربعين سنة ديدبان القلب ، فبعد الأربعين وجدتُه شِرْكاً وشِرْكه أن تلتفت إلى ما ســـواه .

وسمعت بعضَ الصالحين قال : وجدت أن أبا يزيد بلغ دجلة بغداد ، فانضمت الدجلة بعضها إلى بعض كرامةً له . فجلس أبو يزيد وقال : أنا أحمل من هذا الجانب إلى الجانب الآخر بدانق . وأنا لا أبيع عمر ثلاثين سنة في هذا الحديث (٧٠) بدانق — يعني إني لا أتوقع منك شيئاً آخر دون الكرامة لأرضى منك بغيرك .

وسمعت الشيخ أبا عبدالله يقول : قال أبو يزيد رضي الله عنه : لم أرَ من الصلاة إلا نَصَب البدن ، ولا من الصوم إلا جوع البطن . — وقلتُ أنا : إنما قال ذلك عند بلوغه نهاية الرجال وغاية الأبدال . كأنه يرى الوصول إلى

---

(١) يقصد الكنة . فالتختخة هي اللكنة ، وهو تختاخ وتختخاني ، أي : ألكن .

المراد . وحصول المراد في الجد والاجتهاد ، فلما وافى المعنى والمطلوب والمراد [1] والمحبوب . تيقن أن لم يكن ذلك بجهاده وورعه وزهده واكتسابه وانتصابه ، بل كان بفضل الله تعالى .

وسمعت الشيخ أبا عبدالله يحكي عن مشايخه عن أبي يزيد رحمة الله عليه أنه كان يقول : بالكسب لا تحصل القربة [2] : فالعبد الجوهري من يمشي فتغور رجلاه في كنز . قلتُ : معنى كلامه — رضي الله عنه — : ما يحصل بالكسب فتافهٌ يسير . وإنما يحصل الشيء الخطير بالجَدّ لا بالجِدّ .

وأخبرنا أبو الفضل جمهور بن حيدر القرشي قال : سمعت أبا الحسن العلوي الوصي . قال : سمعت جعفر الخلدي يقول : سمعت علي بن صخر الدينباني يقول : سمعت أبا موسى يقول : سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : من ترك قراءة القرآن والتقشف بالجماعات [3] (٧١) وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادّعى هذا الشأن ، فهو مُدَّعٍ .

سمعت أبا عبدالله الداستاني يحكي عن مشايخه أن أبا يزيد لم يكن يحضر الجنائز ولم يَعُد المرضى ولم يحضر التعازي . فقيل له في ذلك : إن الصالحين من قبل كانوا يعودون المرضى ويحضرون الجنائز ويعزّون . فقال أبو يزيد مجيباً : فعلوا هم ما فعلوا بالعقل . وليس مثلي بلا عقل [4] . — ما حكيت عنه أولاً قوله : حضر الجنائز وعيادة المرضى ينبيء عن ابتداء حاله ؛ وما حكيت عنه أخيراً : تركه تلك الخصال — تخبر عن كماله ، والمرء (و) قد بلغ النهاية وأوفى على كل غاية صار ذاهلاً ، لا جاهلاً . منهم من يكون محفوظاً فيكون

---

(١) ح : المراد .
(٢) هنا كلمتان غير مقروءتين رسمهما هكذا : والكلادجه .
(٣) ح : الجماعات . ولعله يقصد حضور صلوات الجماعة . على أن في النص تحريفاً ظاهراً .
(٤) ح : بلا عقل كجانب (؟) ...

حاضراً ، ومنهم من لا يبقى على حالته ولا يرجع إلى ما عليه من آلته ، فيكون حاجزاً غائباً .

وسمعته يقول : سمعنا المتقدمين يقولون : قيل لمجوسي في أيام أبي يزيد — قدس الله روحه — . أَسْلِمْ ! فقال مجيباً لهم : إن كان استعمال الإسلام كما يستعمل أبو يزيد فلست أطيقه أنا ، وإن كان كما يستعلمون فلست أشتهيـــــه .

وسمعته يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : اجتاز شقيق البلخي ببسطام حاجاً . فتفقد المجلس في مسجد من مساجدها في مَحلَة يقال لها كُدغان — وكان ذلك المسجد في تلك الأيام جامعاً . والصبية يلعبون على بابه (٧٢) وأبو يزيد فيهم ؛ فكان يجيء باب المسجد ويسمع كلامه وينصرف ويضحك . فوقع عليه بصر شقيق . فقال فِراسةً : سيكون هذا الصبي رجلاً من الرجال . فصار كمـــا قـــال .

وقال : حدثني أبو الحسن [1] علي بن محمد القومَسي . قال حدثنا عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن عيسى . قال حدثنا موسى بن عيسى . قال حدثني أبي عيسى بن آدم ابن أخي [2] أبي يزيد أنه قال : طلقت الدنيا ثلاثاً بتاً لا رجعة لها ، وصرتُ وحدي إلى ربي ؛ فناديته بالإستغاثة : إلهي ! أدعوك دعاءَ من لم يبق له غيرك . — فلما أن علم صدق الدعاء من قلبي كان أول ما ورد عليّ من إجابته أن أنساني نفسي بالكلية . ونصب الخلائق بين يديّ مع إعراضي عنهم .

وبهذا الإسناد عن أبي يزيد أنه قال : رأيت ربَّ العزة في المنام فقال : إيش تريد ؟ فقال : أريد أن لا أريد غير ما تريد . فقال لي : أنا لك كما كنت لي .

---

(١) وردت مكررة .
(٢) ح : أخ .

وبهذا الإسناد ، عنه رضي الله عنه : غلطت في ابتداء أمري : حسبتُ أني ذكرته فإذا هو ذكرني (١) قبل ذكري له ؛ وحسبتَ أني أطلبه وأني أعرفه فإذا هو عرفني قبل معرفتي له ؛ وحسبتُ أني أحبّه فإذا هو أحبّني قبل محبّتي له ؛ وحسبت (٢) أني أعبده فإذا هو قد جعل خلائق الأرض في خدمتي .

وبهذا الإسناد – رحمة الله عليه – أنه سئل عن السُّنّة والفريضة فقال : السُّنّة ترك الدنيا ، والفريضة صحبة المولى . فمن يعمل السُّنّة والفريضة فقد كملت (٣) معرفته لأن الكتاب كله يدل على صحبة المولى ، والسنة تدل على الدنيـــا .

وبهذا الإسناد أنه سئل عن الصوفي فقال : هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه ، وسنة رسوله بشماله ، وينظر بإحدى عينيه إلى الجنة وبالأخرى إلى النار ، ويتّزر بالدنيا ، ويرتدي (٤) بالآخرة ، ويلبي من بينهما للمولى : لبّيك اللهم لبّيك !

وبهذا الإسناد عن أبي يزيد رضي الله عنه : رأيت ربّ العزة في المنام (فقلت) : يا خُدا ! (٥) كيف الطريق إليك ؟ فقال : دعْ نفسك وتعـــالَ .

وبهذا الإسناد أنه قال : الدنيا لأهل الدنيا غرور في غرور ، والآخرة لأهل الآخرة سرور (٦) في سرور ، ومحبة الله سرور من نور .

وبهذا الإسناد أنه قيل له : كيف ترى الخلق ؟ فقال : به أراهم .

---

(١) ح : ذكرى .
(٢) ح : وحبت له وحسبت أني أني ...
(٣) ن : قل .
(٤) ح : يتردى .
(٥) خدا بالفارسية معناه : الله .
(٦) ح : برور .

وبه رضي الله عنه : من اختار الدنيا على الاخرة يغلب جهلُه علمَه ، وفضولُه ذكرَه . ومعصيتُه طاعتَه . ومن اختار الآخرة على الدنيا يغلب سكوتُه كلامَه . وفقرُه غناه . وهمُه سرورَه . وقلبُه محبتَه . وسرُه قربَه . فتصير نفسه متيدة بقيد الخدمة . وقلبه أسيراً لخوف الفرقة . وسره مستأنساً بأنس الصحبة .

وبهذا الإسناد عن أبي يزيد أنه سئل عن التوكل فقال : التوكل (أن) يجد كل ما همّ . به . (٧٤) وبهذا الإسناد عنه أنه كان يعظ نفسه فيصيح عليها ويقول [١] : يا مأوى كل سوء ! المرأة إذا حاضت طهرت بثلاثة أيام وأكثر بعشرة . وأنت يا نفس قاعدة منذ عشرين وثلاثين سنة (و) بعد ما طهرت ! فمتى تطهرين ؟ إن وقوفك بين يدي الطاهر ينبغي أن يكون طــاهراً .

وبهذا الإسناد ، أنه سئل فقيل له : كيف عرفت الله ؟ فقال للسائل : لو عرفت لما [٢] كنت تسألني عنه ، ومن لم يعرف الله فلا يعرف قول العارف . ومن عرف الله يستغن [٣] عن السؤال .

وبهذا الإسناد أنه قال : (قال) الله تعالى للكافر آمِنْ وللمنافق أخْلِص . وللعاصي ارجِع . وللمحب ارضَ . وللعارف أبصر .

وسمعت عبد الواحد بن بكر الورثاني قال : حدثنا محمد بن أحمد المارستاني قال : حدثنا عبد الصمد بن محمد قال : حدثنا أبو موسى الدَّيْبُلي أنه سمع أبا يزيد يقول : مجرى طريق العبودية لله تبارك وتعالى ومنازلها على ثلاثة أوجه : عام . وخاص . وخاصّ الخاص . فأما مجرى حفظ عبودية العوام فعلى خمسة أوجه : أوله عبد مذنب مريب غير تائب . قد غرته الدنيا فاغتر بها ونسي

(١) ح . وقال .
(٢) ح : أنا .
(٣) ح : يستغني .

الآخرة ، ورضي بحطام الدنيا : فهذا عبد متى هابَ من ربه لا يعرف حق ربه بحفظ حرمته . وهو عبد لاسوء لا يخاف من الله . ولا يخون الوعد والوعيد . فإن تاب تاب الله عليه ، وإن مات على غير [1] (٧٥) توبة فهو في مشيئة الله : إن شاء عذبه . وإن شاء غفر له . فهو عدل منه . وعبدٌ مُراءٍ بعمله ، يريد محمدة الناس له . وحسن الثناء عليه . مجتهد في العبادة والخدمة لله عز وجل ، ويريد بها العزّ عند الناس . والشرف والذكر في الآفاق [2] : قد رضي من الآخرة بالدنيا ، ومن الدنيا بثناء الناس : — فهذا عبد خاسر غافل . وعبدٌ مطيع لله تعالى في تأدية حقه . سامع له . مؤدٍّ لفرائضه . مجتنب للمعاصي كلها ، متباعد عن الآثام ، متابع لأمر الله عز وجل ، مُقْتَدٍ بسُنّة رسول الله : — فهذا عبد ناصح لله ولنفسه ولجميع المؤمنين والمؤمنات . وهو محمود عند الله وعباده . قائم على حفظ العبودية لله . مستقيم عليها . وعبدٌ راغب في أعمال البرّ . مقبل في إقامة التطوع بعد أداء الفرائض . كثير النوافل . طالب للخيرات . بائع دنياه بآخرته . يحمل أيامه في طاعة الله : — فهذا عبد عامَلَ الله تعالى طالباً للثواب . ملتمساً رضاءه . راغباً فيما عند الله . تابع لأنبيائه ورسله . فطوبى له ! وعبد يجتهد في ارتياد مرضاة الله تعالى ، مؤدِّب لنفسه . قائم عليها باستخراج العيوب منها . محارب لعدوه . صاحب اجتهاد وسهر وتفزع . مخالفاً لنفسه غير متّبع هواها . زاهداً في دأبها . يروم كسرها . يحملها [3] على المحجة الواضحة . مرة تقوم . ومرة تسقط : وهو (دائم) المحاربة مع العدوّة [4] إلى أن ينصره الله (٧٦) عليها : — فهذا عبد صالح يحفظ حق عبودية معبوده . وأما [5] مجرى الخاص والعام فعلى خمسة أوجه :

---

(١) ح : غيره غير .
(٢) ح : الآفات .
(٣) ح : فحملها .
(٤) يقصد النفس .
(٥) ح : أن .

عبد تائب إلى ربه ، نادم على ما ضيع من أمر ربه ، مقبل إليه بقلبه ، هارب من الخلق إليه . وعبد حزين خائف . قد عرف الوعد والوعيد . راجٍ [1] . راغب ، راهب ، كريم على ربه . صادق ، مستقيم . شاكر لآلاء الله . راضٍ بقضائه متنعم به . وعبد زاهد في كل ما شغله عن ربه عز وجل . قد ولّى وجهه عن الدنيا وأقبل على الآخرة . واستأثر ذكر مولاه على سائر خلقه . وعبد مُفَوِّض أمره إلى الله تعالى . قانع بعطيته . ساكنٌ قلبه إليه ، راكن إلى ما عنده . منيبٌ إليه . يريد الأنس والزلفة لديه . لا يريد من الدنيا والآخرة غيره .

وسمعته أيضاً قال : حدثني محمد بن سعدان الفارسي . قال : حدثني عيسى بن موسى البسطامي . قال : سمعت أبي يقول : سمعت عمي خادم أبي يزيد يقول : سمعت أبا يزيد يقول : ما أكلت شيئاً مما يأكله بنو آدم أربعين سنة . فقال له أبو موسى الديبُلي : أشد شيء [2] لاقيته في أمر الله ما هو ؟ قال : لا أستطيع أن أخبرك . قال : فأسهل شيء لاقيته في أمر الله ما هو ؟ — ولا ذاك . قال : فأصعب ما لاقيته من أمر نفسك ؟ — قال : ولا ذاك . قال : فأسهل ما لاقيته من أمر نفسك ؟ قال : أسهل ما لاقت نفسي منّي (أني) سألتها أمراً من الأمور (٧٧) فأبت . فعزمت أن لا أشرب الماء سنة .

وسمعت [3] أيضاً أبا عبدالله قال : حدثني علي بن أحمد القومسي قال : حدثنا أحمد بن الفضل قال : حدثنا خلف بن عمر قال : حدثنا عمي خادم أبي يزيد قال : سمعت أبا يزيد يقول : لم أزل أسوق نفسي إليه وهي تبكي حتى ساقتني إليه وهي تضحك .

---

(١) ح : راجي .
(٢) ح : شيئاً .
(٣) ح : سمعته .

قال : وسمعت مظفر بن عيسى المراغي قال : سمعت شنبذين [1] يقول : سمعت أبا موسى الديْبُلِي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : طلقت الدنيا ثلاثاً بتة لا رجعة لها ، ثم تركتها وصرتُ وحدي إلى ربي . فناديته بالاستغاثة : إلهي ومولاي ! أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك . قال : فلما عرف صدق الدعاء من قلبي مع الإياس ، وكان يمنعني من كل عطاء عرفته حتى ينتهي بأنانيته على غاية فَهْم الفهمين ثم يفهمني طلبه بلا كيف ، حين لا إله إلا الله . فمنّ عليّ العطايا دهراً ، ثم أخرجني [2] منها إلى ميدان التوحيد . ثم أرتعني [3] في فسحات ربوبيته وبهاء ذاتيته فقال : يا عزيزي ! كن قدرتي (و) آياتي ، وصفتي في أرضك ، ونوراً في كونك ، ومناراً في خلقك . ثم ألبس عليّ ستورَ أنواره فغطاني بستوره ، وأنارني بنور ذاته فقال : يا حُجتي ! فقلت : أنت حجة نفسك ، لا حاجة لي في ذلك .

وبهذا (٧٨) الإسناد ، قال : سمعت أبا يزيد رضي الله عنه يقول : سمعت مرة في الغيب : يا أبا يزيد ! كيف ترى فعلّي بك ؟ فقلتُ : فعلك بي ، ثم رفعني إلى مكنون غيبه فقال : يا عزيزي ! كن غيباً في غيبي . فقلت : يا عزيزي ! أنتَ غيبُ نفسك في نفسك .

وبهذا الإسناد ، قال أبو موسى : قلت لأبي يزيد : بلغني أن ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل . قال : أنا أولئك . فقلت : كيف ؟ قال : قلبي واحد ، وهمّتي واحد ، وروحي واحد — . وبلغني أن واحداً قلبه على قلب إسرافيل . قال : أنا ذلك الواحد .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول : مثلي مثل بحر مصطلم ، لا أول له ولا آخر .

---

(١) ح : شنبذر .
(٢) ح : أخرجني .
(٣) ح ، ص : أترعني .

قال : وسمعت أبا يزيد يقول : غيب معروف . وشهود مفقود ، وأنا في الغيب محضور ، وفي الشهود موجود .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول : روح بلا روح لاسم واقع ، ولو فتح من ذلك النور المكنون لانتهى الأمر إلى معرفة لا إله إلا الله .

وقال مرةً : انتهى الأمر إلى كمال شأني . وقال : قد انتهى إلى غاية كمالـــه .

وسمعت أبا عبدالله محمد بن عبدالله الشيرازي الصوفي ذكر بإسناده عنه ، قال : سمعت أبا موسى يقول : قيل لأبي يزيد : لو قال الله لك يوم القيامة : عبدي ! هل سجدت لي سجدة قط ؟ — فما أنت قائل له ؟ قال : أقول : كنت إذا سألت عنك (٧٩) أجبت منك ، وإذا سألتك عني أجبتك منك [١] .

وسمعت أبا عبدالله قال : حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال : حدثنا محمد بن خلف الطرزي قال : حدثني عمي الولائي عن ستنبه [٢] الهروي قال أبو يزيد : خصصت رجالاً وأكرمتهم فأطاعوا فيما أمرتهم ولم يبلغوا ذلك إلا بك . وكانت [٣] رحمتك إياهم قبل طاعتهم لك .

قال : وسمعته يقول : لا يكون العبد محباً لخالقه حتى يبذل نفسه لله في طلب مرضاته سراً وعلانية : يعلم الله من قلبه أنه لا يريد إلا هو .

قال : وسمعته يقول ذات يوم : هلموا إلى رغبة الزاهدين ، وشوق الدارجين ، وركون المتناسين ، وحب الواصلين ، وحلاوة المتصلين ، وأُنْس ربّ العالمين .

---

(١) ح : وإذا سألتني عمن أجبتك .
(٢) ص : اشتنبه .
(٣) ح : وكان .

قال : وسمعته يقول : عبادة العارفين وحفظ أنفاسهم مع معروفهم لأنهم تركوا في جنبه كل شيء .

وقال : وسمعته يقول : على الباب صوتٌ وصياح واضطراب من شوق صاحب الدار وخوفه . وفي الدار سكون وتعظيم وهيبة وأدب لمعرفة صاحب الدار .

قال : وسمعته يقول : ما أفرح العارف بقدر معرفته إذا أيقن أنه قادر على كل شيء . فيرى نفسه من قدرته متحركاً بمشيئته . لا يبالي بأي تحريك يحركها بعد ما عرف أنه عليها بقدرته . ولا يخرج من العبودية في القدرة .

وسمعته يقول : اطلُبْ هواه في خلاف هواك (٨٠) . ومحبته في بغض نفسك . فإنه معروف عند مخالفة الهوى . محبوب عند بغض النفس .

قال : وسمعته يقول : اقطع قلبك عن التصنّع والتملّك والتزيين والتدبير حتى ترى قلبك فوق المملكة بين ضياء عرشه . مستغنياً عن كل ما دونه .

قال : وسمعته يقول : لا تكلف [1] بفكرة قلبك فيه فتهلك بالتشبيه . فإنه موجود عند المتفكرين في صنعته . ومفقود عند المتوهمين في ذاته .

قال : وسمعته يقول : لا تصل إلى المخلوق إلا بالسير [2] إليه . ولا تصل إلى الخالق إلا بالصبر عليه . وإذا أردت أن تطلبه فاطلبه في رجوعك عما دونه .

قال : وسمعته يقول : لا يشكونّ قلب العارف وإن قطع بالمقراض . ولا ييأس منه ألبتة . ولا يأمن من مكره وإن نودي بالغفران . ولا يدل عليه إلا به . ولو مشى على الماء والهواء . ولا يستريح من كده ولو جلس على السرير . ولا يغفل عنه ولو كان في السوق . ولا يطمئن بدونه في الملك في السماء .

---

(١) ح : تتكلف .

(٢) ح : بالسير .

قال : وسمعته يقول : إذا سكت العارف يريد أن لا ينطق إلا عند معروفه ، وإذا غمض يريد أن لا يفتح إلا عند لقائه ؛ وإذا وضع رأسه على ركبته يريد أن لا يرفع إلى (أن) ينفخ في الصور من شدة الأنس به .

قال : وسمعته يقول : نفسُك دابتُك . فلا تدعها في الطريق إلى ميتها تبقى (؟) في الطريق .

(٨١) قال : وسمعته يقول : كن فارس القلب ، راجل النفس .

قال : وسمعته يقول : روح المؤمن كالمصباح في الزجاجة تضيء في الملكوت . لأن الله تعالى موجود عند الناظر في ذاته .

قال : وسمعته يقول : الحق مثل الشمس مضيء [1] : إذا نظر الناظر إليه أيقن به . فمن طلب البيان بعد البيان فهو في الخسران .

قال : وسمعته يقول : إذا شربوا بكأس حبه وقعوا في بحار أنسه ، وتلذذوا بروْح مناجاته ؛ وإذا عرفوه [2] حق معرفته وَلِهُوا في عظمته .

قال : وسمعته يقول : إذا عرفوه أسرّوا ؛ وإذا أسرُّوا سكنوا في معرفته .

قال : وسمعته يقول : إذا علموه هربوا من الخلق .

وسمعت أبا الحسن محمد بن القاسم الفارسي يقول : سمعت أبا المكارم الأنصاري يقول (*) :

سمعت ابراهيم بن سفدويه [3] المروزي [4] يقول : سمعتُ أبا صالح

---

(١) ح : المضيء .
(*) إلى هنا آخر النقص في مخطوط بغداد .
(٣) ح : بغدويه .
(٤) ح : المرزوي .

الحَذا مؤذن مسجد[1] أبي يزيد يقول : كان أبو يزيد يقول : هلاك الخلق في شيئين : في ترك الحُرْمة ونسيان المِنّة .

وسمعته يقول : حدثني عبدالله بن أحمد السمساري يقول : سمعت أبا الحسن الشقيقي يقول : صلّى أبو يزيد البسطامي[2] ليلة فأضاء البيتُ كأنه نصف النهار . فقال أبو يزيد : إن كنتَ شيطاناً ، فأنا أعزّ وأمْنَعُ جانباً من أن تطمع فيّ ؛ وإن كان من عند الله ، فإني أسأله أن يؤخره من دار الخدمة إلى محل الكرامة .

وسمعته (٣١ أ) يقول : سمعت محمد بن الحسين بن بهرام الفارسي يقول : سمعت أبا الحسن علي بن عبد الرحمن[3] البغدادي قال : سمعت أبا محمد الجريري يقول : قال أبو يزيد : أشرف الحقُّ على أسرار العالم فشاهدها خالية منه غير سرّي فإنه رآه منه ملآءاً ؛ فخاطبني مُعَظّماً لي بأن قال : كل العالم عبيدي غيرك . قال : فسألت النباجي عن هذه الحكاية فقال : قَصّر به الحق عن لحوق[4] الإغراق في الفناء ؛ ولكنه كاشفني في حال سؤالك لي بأن قال : أصبح الكل عبيدي غيرك . فإنك أنا .

قال الجريري[5] : مقام النباجي أتم في باب الإيجاد بالخروج عن مشاهدة الحق بنعت الأحباب . لأن أبا يزيد أخرج[6] من نعت العبودية ولم يلحق بإيجاد نعته بالحق . والنباجي أشهده الاستباح في دهش الإجلال ، وألحقه مشاهدة الكلّ به مربوطاً فاستجاز الاتصاف بالتنزيه .

---

(١) ح : بمسجد .
(٢) البسطامي : ناقصة في ح .
(٣) ص : عبد الرحيم .
(٤) ص : لحق .
(٥) ح : الحريري .
(٦) ح : الخروج .

وسمعته [١] يقول : سمعت محمد بن الحسن : سمعت علي بن عبد الرحمن يقول : سمعت محمد الداعي يذكر عن أبي يزيد أنه قال : أنا ربي الأعلى [٢] . قال : ثم جئت إلى الجنيد فسألته عن إشارته فيه فقال الحكاية .

وسمعته يقول : حدثنا أحمد بن ابراهيم العدل الخشاب قال : سمعت ابن الأنباري يقول : أراد صاحبٌ لنا أن يسافر فقال لأبي يزيد : أوصني وصية ! فقال : أوصيك بثلاث : إذا صاحبَك سيّءُ الخُلُق فأدْخِل سوءَ خُلُقه في حُسْن خلقك حتى يهنئك العيش . وإذا أنعم عليك مُنْعِمٌ بنعمة فاشكر الله أبداً فإنه هو الذي أعطف بالقلوب عليك . وإذا بدا عليك شيء من بلاء الله فأسْرِع الاستقالةَ منه . فإنه شيء لا يعيى متصبر عليه .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن الحسن [٣] يقول : سمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت يعقوب بن اسحق يقول : سمعت ابراهيم الهروي يقول : سمعت أبا يزيد وسئل : ما علامة العارف ؟ قال : أن لا يفتر من ذكره ، ولا يملّ من حقّه ، ولا يستأنس بغيره .

وسمعته يقول : حدثنا إبراهيم بن العباس قال : حدثنا عبدالله بن أحمد بن صالح بن سهل القومسي يقول : قال أبو يزيد البسطامي : عشرة أشياء فريضة على البدن : أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، والتواضع لله ، وكفّ الأذى عن الإخوان ، والنصيحة للبرّ والفاجر ، وطلب المغفرة ، وطلب مرضاة الله في جميع أموره ، وترك الغضب والكبر والبغي والمجادلة من ظهور الجفا ، وأن يكون وَصيّ نفسه : يتهيأ للموت .

قال : وقال أبو يزيد : عشرة أشياء حصن البدن : حفظ العينين ، ومعاودة اللسان بالذكر ، ومحاسبة النفس ، واستعمال العلم ، وحفظ الأدب ،

---

(١) الفقرة التالية ناقصة في ص .

(٢) ح : الأعمل .

(٣) ح : ابن أبي الحسن .

وفراغ البدن من شغل الدنيا . والعزلة من الناس . ومجاهدة النفس . وكثرة العبادة . ومتابعة السُّنة .

قال : وقال أبو يزيد : عشرة أشياء شرف البدن : الحلم [١] . والحياء . والعلم . والورع . والتقى . والخلق الحسن . والاحتمال . والمدارة . وكظم الغيظ . وترك السؤال . قال : وعشرة أشياء تخرّب البدن : مصاحبة من لا يهمه دينه . ومفارقة أهل الخير . ومتابعة النفس . ومجانبة الجماعة . ومجالسة أهل البدعة . وطلب ما لا يعنيه . وتهمة الخالق . وطلب العلو . وهم الدنيا [٢] . قال : وعشرة أشياء تميت البدن : قلة الأدب وكثرة الجهل . ونعمة الخلق . وشهوة البدن . وطلب الرئاسة . والميل إلى الدنيا . ومحاباة النفس عند الحق . وكثرة الأكل [٣] . قال : وعشرة أشياء فيها ذل البدن : الحِدّة . والغضب . والكِبْر . والبَغْي . والمجادلة . والبخل . وإظهار الجفاء . (٣١ ب) وترك حرمة المؤمن . وسوء الخلق . وترك الإنصاف .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن أبي الحسن [٤] الصوفي يقول : سمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت عمي البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : سئل أبو يزيد : كيف الطريق ؟ قال : غِبْ عن الطريق تَصِلْ إلى الله .

وسمعته يقول : حدثنا عبد الواحد بن محمد بن الشاه الفارسي ، حدثنا أبو الفرج الصوفي . قال : حدثنا أحمد بن الفضل قال : حدثنا أبو بكر بن يزدانيار . قال : حدثنا أبو موسى : قال سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : أهل المعرفة مع الله على ثلاثة [٥] مقامات : فقومٌ طلبوا الله من حيث

---

(١) ص : الحكم .
(٢) المذكور هنا تسعة لا عشرة !
(٣) المذكور هنا ثمانية لا عشرة !
(٤) ح : بن الحسن .
(٥) ص ، ح : ثلاث .

الغفلة عنه ؛ وقومٌ هربوا من الله من حيث العجز عنه ؛ وقومٌ أوقفهم فيما لا طلب معه ولا هرب لهم عنه .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن أبي الحسن يقول : سمعت [1] طيفور البسطامي ببسطام [2] يقول : سمعت عمي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : حسبُ المؤمن من عقله أن يعلم أن بالله غنى عن عمله .

وسمعته يقول : سمعت محمداً يقول : سمعت عبد الواحد بن بكر يقول : سمعت [3] القَنّاد [4] يقول : سمعت أبا موسى الدينُلي يقول : سمعت أبا يزيد : إن الله تعالى يرزق العبد الحلاوة . فمن أجْلِ فرحه به يمنعه من حقائق القرب .

وسمعته يقول : وفيما كتب إلى عمي أن علي بن محمد بن الشاه حدثهم قال : حدثنا إبراهيم بن محمد الخواص قال : سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : ظاهر الصدق وباطنه سواء ؛ ولقد [5] اشترك الإيمان والحب في قلب الصّديق ، فكلما ازداد الإيمان ازداد الحب لله ؛ قال الله تعالى : « والذين آمنوا أشدُّ حُبّاً لله [6] » — فإذا قال ذلك رمى قوسَ الدنيا بالفرقة وقطع حلقوم الطمع بسكين الإياس ، وألجم نفسه بلجام الخوف ؛ وساقها بسَوْط الرجاء ؛ ولبس قميص الصبر ، وتردّى برداء التصابر ، واستوى عنده المنع والعطاء ؛ والشدة والرخاء ، والذم والثناء ، فسقط [7] من ظاهره وباطنه التصنع فليس عنده فرق بين الدانق والدينار ، لعلمه أنه لو بورك له في الدانق كان أعظم بركة من الدينار ، ويعلم أنه لو سلط عليه السَّنَّوْر كان أضرَّ عليه من الأسد . فإذا

---

(١) ناقصة في ص .
(٢) ص : ببسطامي .
(٣) ناقصة في ص .
(٤) ص : القتاد .
(٥) ح : سواء ؛ لقد ...
(٦) سورة البقرة : ١٦٥ .
(٧) واستوى ... فسقط : ناقص في ح .

كانت هذه حالته قالت الجنة : اللّهم أَدْخِل (١) هذا العبد (بين) ساكِنِيَّ ؛ فكانت الجنة طالبة له دونه . وإذا رأته النار على هذه الحالة . علمت أن نوره يطفىء شررها ؛ فتعوّذَتْ (٢) النار منه . فلو عرج بذلك العبد أعلى عِلّيين لكان شكره ذلك الشكر الذي كان في أعظم البلاء . ولو أنزله الله من أعلى العِيين فأسكنه الدرك الأسفل من النار لكان شكره ذلك الشكر الذي كان في أعلى العِلّيين (٣) .

وسمعته يقول : سمعت أبا القاسم بن أبي سهل يقول : سمعت أبي يقول : قال أبو يزيد البسطامي (٤) [يقول :] يا من باع كلّ شيء بلا شيء ، ويا من اشترى لا شيء بكل شيء ! إن في طاعتك من الآفات ما يشغلك عن السيئات .

وسمعته يقول : سمعت جدي محمد بن عبدالله جمشاد الفقيه (٥) يقول : سمعت أبا بكر محمد بن علي الشالوسي - ويعرف بالطبال . لقيته بديار مصر - قال : سمعت أبا يعقوب البحري يقول : قال لي عمي : قدم علينا من العَجَم فتىً يقال (له) أبو يزيد (٦) . فلما قضى نُسُكَه وفرغ صَعِدَ أبا قُبَيْس وجلس يتفكر ساعة . فأتاه ثلاثة نفر وصار أبو يزيد رابعهم . فقال من القوم قائل : ما مقام أولياء الله في الولاية ؟ فقال الآخر : مقامه مع الله أن يكون عنه راضياً إن هو حبسه في الماء أو أدخله النار . ثم قال الثاني : ما تقول أنت : كيف مقام الولي مع الله ؟ فقال : لو صَيّر السماء من صُفْرٍ فلا ينزل منه المطر ، وصَيّر الأرض من حديد فلا ينبت منها نباتاً . لا يدخل

---

(١) ح : افعل (اجعل ؟) .
(٢) محرفة تماماً في ح هكذا : فرحوت !!
(٣) ح : عليين .
(٤) البسطامي : ناقصة في ح .
(٥) ح : حمشد الفقيه !
(٦) ص ، ح : أبا يزيد .

في قلبه شيء من الاهتمام بما وعد الله له (٣٢ أ) من رزقه. ثم قال للثالث: ما تقول أنت: كيف المقام مع الله؟ فقال: مقامه مع الله أن لو ضربه بأنواع البلاء فطحنه في كل يوم مائة مرة تحت حَجَرَيْ البلاء والبلوى لا يتغير قلبه مع الله. قال: أما أنا فلا أقول مثل ما قلتم. قالوا: فكيف تقول؟ قال: أقول: مقامُ الولي مع الله لو قال لهذا الجبل زُلْ عن مكانك لزال فتحرك الجبل. فقال أبو يزيد: ما هذه السعاية التي سعيت بي إلى خَلْقِ الله؟ أتريد أن يَفشو سرّي مع الله بين خلق الله! فاستقر الجبل.

وسمعته يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن زكريا الصوفي الفسوي يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: حدثني أبو بكر الحوال يقول: حدثني عيسى بن موسى البسطامي يقول: سمعت أبا يزيد طيفور بن موسى البسطامي [1] يقول: منذ ثلاثين سنة لم أزَلْ كلما أردت أن أذكر الله أتمضمض وأغسل لساني إجلالاً لله أن أذكره.

وسمعته يقول: حدثني أبو الفرج الصوفي قال: حدثني أحمد بن الفضل قال: حدثنا أبو بكر بن يزدانيار قال: حدثنا أبو موسى قال: سمعت أبا يزيد البسطامي يقول: أهل المعرفة مع الله على ثلاثة [2] مقامات: فقوم طلبوا الله من حيث الغفلة عنه. وقوم هربوا من الله من حيث العجز عنه. وقوم أوقفهم فيما لا طلب لهم معه ولا هَرَبَ لهم عنه.

وسمعت محمد بن أحمد الحاكم يقول حاكياً عن بعض مشايخه قال بعضهم لأبي يزيد: صَفِّ معي قلبَك ساعةً حتى أتكلم معك بشيء! فأجابه وقال: منذ ثلاثين سنة هوذا أريد أن أصفّي قلبي مع الله تعالى ساعة (وهو) بعدُ لم يَصْفُ، (فـ) كيف أصفو [3] معك ساعة واحدة [4]؟!

---

(١) يقول سمعت أبا يزيد ... البسطامي: مكررة في ص.

(٢) ص، ح: ثلاث.

(٣) ص: أصف.

(٤) ص: معك في ساعة.

وسمعت أبا محمد بن الراعي مهدي العلوي الصوفي يقول : سمعت السُّلَمي يقول : سمعت أبا الحسن بن مقسم ببغداد يقول : سمعت أبا القاسم المطرز يقول : سمعت الجنيد بن محمد يقول : قال أبو يزيد : من زهد في الدنيا فقد نَبّهَ عن قدرها من قلبه .

قال : وسمعته يقول : سمعت محمد بن أبي عمرو يقول : سمعت منصور بن عبدالله [1] يقول : سمعت عمي يقول : سمعت أبي يقول : سأل رجل أبا يزيد عن التصوف فقال : طرح النفس في العبودية . وتعليق [2] القلب بالربوبية . واستعمال كل خلق سنيٍ . والنظر إلى الله بالكلية .

وسمعته يقول : سمعت السلمي [3] يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : سمعت عمي البسطامي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : من الناس من يزورني فيرجع عني وهو في لعنة الله . فقيل له : كيف ذلك ؟ قال : ربما يزورني الإنسان فتكون علَيَّ غلبةُ الحق فيرجع عني فيعذرني . فيرجع عني [4] وهو في رحمة الله . ومنهم من يزورني فيرى عليَّ غلبة حال فينقلب عني ويقع في فينقلب عني وهو في لعنة الله . قال السلمي : قال أحمد بن خضرويه لأبي يزيد : إني لا أصِلُ التوبة . فقال أبو يزيد : العزة لله . فأنت تطلب العزة .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن أبي عمرو يقول : سمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت أبا عبدالله السيرواني يقول : سمعت أبا موسى الدِيبُلي يقول : قيل [5] لأبي يزيد : ما التوكل ؟ فقال لي : ما تقول أنت ؟ قلت إن أصحابنا يقولون : لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك

---

(١) يقول سمعت محمد ... عبدالله : ناقصة في ص .

(٢) ح : تعلق .

(٣) سمعت السلمي : ناقصة في ح .

(٤) عني : ناقصة في ح .

(٥) ح : وقيل .

سِرُّك.. فقال أبو يزيد : نَعم ! هذا قريب ؛ ولكن :.لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون . وأهل النار في النار يعذبون . ثم وقع بك تمييز عليها خرجت من جملة التوكل .

وسمعت أبا الحسن القاري قال : حدثني الحسن بن أبي بكر الواعظ قال : سمعت بكير بن علي الجرجاني يقول : سمعت طيفور بن محمد الدامغاني يقول : سمعت عمي يقول : رأيت أبا يزيد البسطامي في منامي فقلتُ له : عِظْني ! فقال : الناس بحر عميق . والبعد منهم سفينة . وقد نصحتك فاحفظ لنفسك السكينة .

وسمعته يقول : بلغنا عن أبي (٣٢ ب) يزيد أنه يقول : لو عرف الناس أنكروني . فقال له بعض أصحابه : ما نكرته أنت . فما معنى معرفة الحق ؟ قال : لا حق إلا وفِيَّ صافية فيوصفني قوام الحق ، ولا حق إلا وأنا هو [١] .

وسمعت أبا الحسن علي بن محمد القومَسي قال : حدثنا عيسى بن محمد بروايته عن أبي حفص النيسابوري عن أبي موسى الديبُلي . قال أبو يزيد : كنت أطوف حول بيت الله الحرام . فلما أن وصلت إليه رأيت البيت يطوف حـــولي .

وسمعت محمد بن علي الواعظ يقول [٢] : وفيما أفادني بعض شيوخ الصوفية حاكياً عن الجنيد بن محمد أنه قال : حكى لي أبو موسى عيسى بن آدم البسطامي ابن أخي [٣] أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامي بالفارسية فترجمناها بالعربية . قال أبو موسى : كان بدء أبي يزيد وتوبته من رحم أمّه وصُلْب أبيه أنه كان صبياً ابن أقل من عشرة إذ نبّهه الله تبارك وتعالى لأمره [٤] وأفهمه

---

(١) ح : لو عرف الناس ما أنكروني . فقال له بعض أصحابه : فأنكرته أنت . فما معنى معرفة الحق ولا حق إلا وأنا هو .
(٢) وسمعت ... يقول : ناقص في ح .
(٣) ص ، ح : أخ .
(٤) ح : لأمي .

حكمة العمل فائدة من عنده من غير تعليم . فقال أياماً [1] لوالدته : يا والدتي ! أقسم عليك هل تناولت شيئاً من الحرام بسببي أيام كنت ترضعيني . فإني لا آمَنُ أن يكون قد وصل إليّ شيء من قلبي . وأنا لا أعلم فيحجبني ذلك عن ربي . فقالت له أمُّه : لا أذكر إلاّ أني دخلتُ يوماً إلى بعض جيراننا وأنت في حِجري فأخذت قارورة دُهْنهم فدهنتُ [2] رأسك ولم أُعْلِمْهم [3] . ويوماً آخر كحلتك بكحلهم ولم أستأذنهم . فقال أبو يزيد : إن الله يحاسب عباده على مثقال ذرة . ثم قال : ألا ترى إلى قوله عز وجل : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذ ة شراً يره » [4] ؟ وهذا أعظم من ذرة ، فأخشى أن يقطعني عن ربي . ثم قام وسأل عن القوم وطلب ورثتهم فاستحل منهم [5] لنفسه ولأمه .

وسمعت محمد بن علي الواعظ : وفيما أفادني بعض شيوخ الصوفية حاكياً عن الجنيد بن محمد قال : سمعت أبا موسى عيسى بن آدم بن أخي [6] أبي يزيد طيفور بن عيسى بالفارسية فترجمناها بالعربية قال أبو موسى : وكان أبو يزيد إذا هاج بدا منه كلام نحفظه منه قوله : وُدُّه وُدّي ، وودّي ودُّه ، عشقه عشقي ، وعشقي عشقه ، حُبُّه حبّي ، وحُبّي حبُّه . قال : وكان يقول بالفارسية : جاء سيلُ عشقه فأحرق الماء دوني ، فبقي الواحد كما لم يزَلْ أحداً إذا هو الواحد .

وقـــال :

أشـــار سِرّي إليك حـــتّى فنيت عني ودُمْتَ أنت [7]

(١) ص : أيام .
(٢) محرفة في ح كذا : قد سنت ... أعلم .
(٣) ثم قال ... ذرة : ناقصة في ح .
(٤) سورة الزلزلة : ٨ .
(٥) ح : منه .
(٦) ص : أخ .
(٧) بضم التاء في ص .

محوت إسمي ورسْمَ جسمي   سألْتَ عنّي فقلت أنت [1]
فأنت تسلو خيـال عيـني   فحيثما دُرْت كنت أنت [2]

وقال : من ابتلى به وهب له ما قد ملكه [3] .

وقال أبو يزيد : بك أدُلُّ عليك ، ومنك أصل إليك . ما أطيب واقعات الإلهام منك على خطرات القلوب ! وما أحلى المشيَ إليك بالأوهام في طرقات الغيوب ! اللهم ما أحسن ما لا يمكن للخلق كشفه . ولا بالألسنة وَصْفُهُ . من حيث لا تدركه العقول .

وقال أبو يزيد : عند نسيان نفسي ذكرت باريء النفس .

وقال أبو يزيد : ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير ، وإنما العجب من حبك لي وأنت مَلِكٌ قدير !

وقال أبو يزيد : لو بدا للخلق منه ذرة ما بقي الكون ولا ما هو فيه

وقال أبو موسى : جاء رجل فدقَّ الباب على أبي يزيد فقال أبو يزيد : ماذا تطلب ؟ فقال : أبا يزيد . قال أبو يزيد : وأنا كذلك في طلب [4] أبي يزيد منذ عشرين سنة .

وقال أبو يزيد : أدخلني معهُ مدْخلاً فرأيت الخلقَ كلهم بين الإصبعين .

وقال أبو يزيد : إن لله خواصً [5] من عباده لو حجبهم في الجنة عـن رؤيته ساعةً استغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهلُ النار بالخروج من النار .

---

(١) هذا البيت ناقص في ح .
(٢) راجع : « ديوان الحلاج » نشرة ماسينيون ، ص ٤٦ .
(٣) ص : هلكسه .
(٤) ص : طلبي .
(٥) ص ، ح : خواصا .

وقال أبو يزيد : أهل الجنة يتزاورون . فإذا رجعوا من الزيارة عُرِض عليهم صُوَرٌ فمن اختار منهم صورة لم يرد إلى الزيارة .

وقال أبو يزيد : ليس للعبد خير من أن يكون أبداً فقيراً ليس معه شيء : (٣٣أ) لا التزهد ، ولا التعبد ، ولا العلم ، ولا شيء من الأشياء فيبقى [١] عن الجميع ، فإذا بقي عن الجميع كانت الجميع وراءه .

وقال أبو يزيد : بلغني أن الله تعالى يقول : من أتاني منقطعاً إليّ جعلتُ له حياةً لا موت فيها ، ومن أتاني منقطعاً إليّ جعلتُ (له) [٢] مُلْكاً لا يزول ، ومن أتاني منقطعاً إليّ جعلتُ إرادتي في إرادته .

وقال أبو يزيد : قال الله تعالى : إذا كان الغالب على عبدي الإشتغال بي [٣] ، جعلت نهمته ولذته في ذكري ، ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه ، وكنت مثالاً بين عينيه .

وقال أبو موسى : كان أبو يزيد يوم الجمعة بحذاء المنبر وقد صعد الخطيب المنبر وهو يخطب : فلما بلغ هذه الآية : قوله تعالى : « وما قدروا الله حقّ قَدْره [٤] » فسمع أبو يزيد فطار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر .

قال وسُئِل أبو يزيد : متى يبلغ الرجل حدّ الرجال في هذا الأمر ؟ فقال : إذا عرف عيوب نفسه فحينئذ يبلغ حدّ الرجال في هذا الأمر . فهذا مبلغه . ثم يُقَرِّبه الحق تعالى على قدر همته وإشرافه على نفسه الأمّارة .

قال : وبلغني عن أبي يزيد أنه جلس في المسجد أربعين سنة . قال : فكان ثياب أبي يزيد للمسجد على حِدَةٍ . وللبيت على حِدَةٍ . وللخلاء على حِدَةٍ . وكذلك نعلاه [٥] .

---

(١) ص : فبقي .
(٢) له : ناقصة في ص .
(٣) ص : في به .
(٤) سورة الأنعام : ٩١ .
(٥) ص ، ح نعليه .

قال : وجاءه رجل من أهل المعرفة مصاب بفرد العين فقال : إن لاحظتك بعيني لحظةً غرّقتك وأهلَ بسطام . قال : فقال له أبو يزيد : أنا قد دخلتُ طبرستان وقد رأيت تلك السيول والأنهار كلها إذا دخلت البحر غرقت : تأمرني أن أغوص ها هنا غوصةً أخرج من حيث لا مخلوق !

قال : وجاءه رجل فقرأ عنده : « إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ[1] » — قال أبو يزيد : وحياته إن بطشي أشد من بطشه .

وقيل لأبي يزيد : بلغنا أنك من السبعة ؛ فقال : أنا كُلُّ السبعة .

وقيل لأبي يزيد : إن الخلق كلهم تحت لواء محمد صلى الله عليه وسلم ؛ (ف) قال أبو يزيد : تا الله إن لوائي أعظم من[2] لواء محمد عليه السلام : لوائي من نور تحته الجان والإنس كلهم من النبيين .

وقال رحمة الله عليه : سبحاني ! سبحاني ! ما أعظم سلطاني !

وقال : ليس مثلي مثل في السماء يوجد . ولا لمثلي صفة في الأرض تعرف .

وقال أبو يزيد : صفاتي غائبة في غيبه . وليس للغيب صفاتٌ تعرف .

وقال أبو يزيد : أنا لا أنا أنا أنا . لأني أنا هو أنا . أنا هو هو .

وقال : وعاب عليه رجل مرةً فقال : يأبا يزيد ! إنك تذكر بالزهد والمعرفة . ولا أعرف[3] لك كثير عبادة . فهاج أبو يزيد وقال : يا مسكين ! إنما الزهد والمعرفة مني انشعب .

وقال رجل لأبي يزيد : كيف أصبحت ؟ قال : لا صباح ولا مساء ؛ إنما الصباح والمساء لمن تأخذه الصفة ، وأنا لا صفة لي .

---

(١) سورة البروج : آية ١٢ .
(٢) ص : في .
(٣) ح : ولا عرف .

وقال : وَجـّه ذو النون إليه مُصَلّى ، فرده [1] وقال : ما أصنع به ! وَجـّه إليّ متكئاً [2] أتكىء عليه

وقال رجل لأبي يزيد : إني سمعت أنك تَعْبُر إلى المشرق والمغرب في ساعة . فقال : يكون هذا ، لكن هذا للمؤمن عناء ، إنما المؤمن الجوهر . أنّى يطلع فيكون المشرق والمغرب بين يديه . فيتناول من حيث شاء .

وقيل له : بأي شيء وجدت المعرفة ؟ فقال : بنفسٍ [3] عريانة وبطن جائع عن الكل .

وقال : أدنى صفة العارف أن تجري فيه صفات الحق ويجري فيه جنس الربوبية .

وقال : جاء رجل إلى أبي يزيد فقال : يا أبا يزيد ! رأيت الصخور والجبال يبست والناس محتاجون إلى المطر ، فقال لخادمه [4] : أنظر هل سوّى الناس ميازيبهم ؟ [5] فقال الرجل : تهيّم لميازيبهم [6] ! ليت أن الله قد سقاهم ! فقال : هم أقوام مساكين عسى (أن) يُضرّ بهم . فما خرج الرجل من عنده حتى أخذ المطر السهلَ والجبل . وما رأوا منه دعاءً ولا شيئاً ، إنما هم به .

قال : وكان أبو يزيد إذا رأى الآيات والكرامات يسأل الله تعالى تصديق ذلك ، فيرى نوراً أصفر فيه مكتوبٌ بنور أخضر : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، إبراهيم خليل الله ، موسى نَجِي الله ، عيسى روح الله » فيأخذ

---

(١) ح : فوده .
(٢) ص ، ح : متكى .
(٣) ص : نفسي .
(٤) ص : الخادمة .
(٥) ص ، ح : ميازينهم .
(٦) فقال له الرجل ... ميازيبهم : ناقصة في ص .

من الله بآياته وكراماته بخمسة من الشهود صلوات الله عليهم . وذلك في بدنه ثم انقطع عنه وارتفع .

وقال رجل : يا أبا يزيد ! مات رجل بطبرستان . فحضر الناس جنازته فرأيتك مع الخضر عليه السلام ، يَدُكَ على عنقه . ويَدُه على عنقك . فلما رجع الناس من الجنازة رأيتك في الهواء . قال : كان كذلك .

وسئل عن اسم الله الأعظم فقال : قل لا إله إلا الله وأنت هناك ثابت . فقيل له : كيف ذلك ؟ قال : تعرفه إذا ذكرته .

وقيل لأبي [1] يزيد : ربّما نرى عندك شبه النساء والرجال ، فما هم ؟ قال : هم ملائكة يأتوني ويسألوني [2] عن العلم .

وقيل لأبي يزيد : يقولون إن في اللوح كلّ شيء ؟ قال : أنا اللوح المحفوظ كله .

وقال أبو يزيد : من تكلم في الأزل يحتاج أن يكون معه سراج الأزل [3] .

وقال مرة : من تكلم في بسط الديمومية يحتاج أن يكون معه نور الديمومة [4]

وقال : من يدّعي الإصماد في إظهار الحق وامتلأ به يحتاج أن يكون معه صدقُ الصمدانيـــة .

وقال : من تكلم في بهاء الربوبيّة يحتاج أن يجري فيه جنس الربوبية .

وسمعت أبا عبد الله الشيرازي الصوفي قال : حدثنا محمد بن علي القومسي حدثنا أحمد بن الفضل قال : حدثنا خلف بن عمر البسطامي قال : سمعت أبا يزيد يقول : أوقفني الحق بين يديه ألف موقف ، في كل موقف يعرض عليّ

---

(١) ح : وقيل له رضي الله عنه .
(٢) ص ، ح : يأتوني ويسألوني .
(٣) ح : بالأزل .
(٤) يحتاج ... الديمومة : ناقصة في ح .

المملكة فأقول : لا أريدها . فقال (١) لي في آخر الموقف : يا أبا يزيد ! أتريد ؟ فقلتُ : أريد أن لا أريد .

وسمعته يقول : سمعت عبيد (٢) الله البيلقاني بها قال : سمعت القنّاد يقول : كان أبو يزيد البسطامي يقول : إلهي ! الخلق لك . وأنت مالكهم مالي والتكلّف بالدخول بينك وبين خلقك لولا الغفلة !

وقال أبو يزيد : بالله (٣) أتقدّم . وبنفسي أتأخر . إذا وجد نفسه كان مخيّراً . وإذا فقد نفسه كان مختاراً .

وسمعت أبا عبد الله الشيرازي قال : حدثنا عبد الواحد بن بكر قال : حدثنا محمد بن الفضل الصفار البسطامي قال : سمعت أبا يزيد البسطامي — وسئل عن شيء من المعرفة فقال : لا يزال العارف يعرف ، والمعارف تعرف . حتى يهلك العارف في المعارف . فيتكلم العارف عن العارف ، ويبقى العارف بلا معارف .

وسمعته يقول : حدثنا الفقيه ابراهيم بن محمد المالكي ، قال حدثنا يوسف بن أحمد عن أبيه . قال : حدثنا موسى الديبُلي قال : سمعت أبا يزيد يقول : عرج قلبي إلى السماء . وطاف ودار ورجع فقلت : أيش جبت معك ؟ قال : المحبة والرضا .

سمعت أبا موسى الديبُلي : قال : سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : لذّات الدنيا ثلاث : صديق وادٌّ ، وصحبة ملك جواد . ومُجالسة مفيد ومُفاد .

---

(١) ص : يقال .
(٢) ح : عبد .
(٣) ح : تالله .

وسمعت [1] أبا عبد الله قال : حدثنا أبو بكر عمر بن يمن [2] الخوفي بنشوي [3] قال : حدثنا أبو عمرو الرهاوي قال : حدثنا أحمد بن محمد الجلدري قال : سمعت أبا موسى الديبُلي يقول : سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : وددت أن قامت القيامة حتى أنْصِب خيمتي على باب [4] جهنم . فسأله رجل منا : ولم ذاك يا أبا يزيد ؟ قال إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد ، فأكون رحمة للخلق .

قال : وسمعته يقول : ما وجد الواجدون شيئاً من الحضور إلا كانوا غائبين في حضورهم وكنت أنا المخبر عنهم في حضورهم . وما غاب إلا وقد حضرت ، وما حضرت إلا وقد غبت [5] . وذلك أن الشيء لا يتفق وضدّه .

قال : وسمعته يقول : الدنيا للعامّة ، والآخرة للخاصّة . فمن أراد أن يكون من الخاصة فحكمه أن لا يشارك العامّة في دنياهم ، وإنما جعلت الدنيا مرآة الآخرة . فمن نظر منها إلى الآخرة نجا ، ومن شغل بها عن الآخرة (٣٤أ) هلك وأظلمَ مرآته .

وسمعت أبا عبد الله قال : حدثنا عبد الواحد الورثاني [6] قال : حدثنا أحمد بن الحسن المصري قال : حدثنا علي بن جعفر البغدادي عن أبي موسى الديبُلي قال : سمع أبو يزيد رجلاً يقول : الله أكبر ! قال له : ما معنى الله أكبر [7] ؟ قال الرجل : الله أكبر من كل شيء سواه . فقال له : ويلك ! حددته [8] ! أوَ كان معه شيء أكبرَ منه ؟! فقال له الرجل : فما معنى « الله أكبر

(١) ص : وسمعته .
(٢) ح : يمني .
(٣) ح : بنشواي .
(٤) باب : ناقصة في ح .
(٥) ح : حضورهم وما غاب إلا وقد غبت وذلك أن الشيء ...
(٦) ح : الورثاني .
(٧) قال له ... أكبر : ناقصة في ح .
(٨) ح : وتلك حددته — وهو تحريف ظاهر .

فقال أبو يزيد : أكبر من [1] أن يقاس بالناس ، وأن يدخل تحت القياس أو تدركه الحواس .

وسمعت أبا عبد الله يقول : حدثنا محمد بن الفرخاني [2] بسامَرَّه قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول : قال أبو يزيد : إلهي ! إن كان في سابق علمك أنك تعذّب أحداً من خلقك بالنار فعظّم خلقي حتى لا يسع معي غيري . وأنشد في ذلك :

ولو قلتُ : جُدْ بالكل منك لنا ، لما	تأبيت فيما قلته عند ذلك
ولو وضع المعشارُ مني على لظىً	نضحت من التعظيم في وجه مالك
فحبُّك فرضٌ ، كيف لي بأدائه !	ولستُ لفرضٍ — ما حييتُ — بتارك

* ولقد سمعت شيخ المشايخ[3] أبا عبد الله يقول . قال : حدثنا علي بن جعفر البغدادي عن أبي موسى الديبلي [3] قال : صلى أبو يزيد خلف إمامٍ في بعض المساجد . فلما كان بعد ساعة أخذ الإمام يسائله من أين تأكل . فقالَ له أبو يزيد : اصبرْ حتى أعيد الصلاة التي صليت خلفك فإنه لا تجوز الصلاة خلف من لا يعرف [4] الرزاق .

سمعت أبا عبد الله . قال : حدثنا عبد الواحد بن بكر الورثاني . قال : حدثنا أحمد بن الحسن المصري . قال : حدثنا علي بن جعفر البغدادي [5] : وسمعت أبا موسى الديْبُلي يقول : سئل أبو يزيد عن رفع اليدين في الصلاة فقال سُنّة من سُنَن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن اجتهد أن يرفع قلبك إلى الله ، فإنه أَوْلى .

---

(١) فقال له الرجل ... أكبر من : ناقصة في ح .

(٢) ح : الفرخان .

(*) ما يلي هنا ورد في مخطوط بغداد متقدماً في غير موضعه ، وذلك عند ص ٧٢ من هذا الكتاب راجع التعليقة المشار إليها بالنجمة (*) في تلك الصفحة .

(٣) شيخ المشايخ : ناقصة في ح .

(٤) ح : لا ير الرزاق .

(٥) سمعت أبا عبدالله ... البغدادي : ناقصة في ح .

وقال أبو موسى الديْبُلي [1] : يقول : سمعت أبا يزيد يقول : ربما أطلب لنفسي أشد عقوبات الله [2] من سوء معاملتها إياي ، فأجيل فكري في جميع عقوبات الله تعالى فلا أجد شيئاً أشد من الغفلة ، لأن الغفلة من الله طَرْفَة عين أشد من النار .

وقال : وسمعت أبا موسى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : قطعتُ المفاوز حتى بلغت إلى البوادي . وقطعتُ البوادي حتى وصلت إلى الملكوت ؛ وقطعتُ الملكوت حتى وصلتُ إلى المُلْك . فقلت : الإجازة ! قال : قد وهبتُ لك جميع ما رأيت . قلتُ : إنك تعلم أني لم أرَ شيئاً من ذلك . قال : فما تريد ؟ قال أريد أن لا أريد . قال : قد أعطيناك .

وسمعت أبا عبد الله قال : حدثنا أبو سهل الإستراباذي قال : حدثنا أبو يعقوب عمي الولائي يقول : قال أبو يزيد : رُفِعْتُ مرة حتى أقمتُ بين يديه فقال لي : يا أبا يزيد ! إن خلقي يريدون أن يروك . قال أبو يزيد : يا عزيزي ! إني لا أحب أن أراهم . فإن أحببت ذلك مني فإني لا أقدر (أن) أخالفك ، فزيني بوحدانيتك حتى إذا رآني [3] خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك . قال أبو يزيد : ففعل ذلك ، فأقامني وزينني ورفعني ثم قال : أخرج إلى خلقي ! فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق . فلما كان الخطوة الثانية غشي عليّ فنادى : ردّوا حبيبي فإنه لا يصبر عنّي .

قال أبو يعقوب عمي الولائي قال أبو يزيد : لما صرتُ إلى وحدانيته — وكان أول لحظة إلى التوحيد — أقبلت أسير بالفهم فيه عشر سنة حتى كلّ فهمي ، فصرت طيراً جسمه من الأحدية وجناحه من الديمومية . فلم أزل أطير في هواء الكيفية عشر سنين طيران بُعْدَ ما بين العرش إلى الثرى ثمانمائة ألف

---

(١) الديبلي : ناقصة في ح .
(٢) ح : لله تعالى .
(٣) ص ، ح : رأوني .

ألف مرة ، فلم أزل حتى جاوزت الديمومية . قال : ثم أشرفت (١٥ب) على التوحيد في غيبوبة الخلق عن العارف وغيبوبة العارف عن الخلق .

قال أبو يزيد : لو أن مائة ألف مَلَك كلهم بقدر جبريل وميكائيل وإسرافيل في قلب العارف وفي كل زاوية من زوايا قلبه [(١)] ما حسّ بــه العارف ولا يشعر . ولا علم أنهم في كون الله موجودون [(٢)] ، وإن حسّ بهم فليس بعارف .

قال : يا عزيزي ! هذا بهائي ! كن سفينتي فيها . فقلتُ : يا عزيزي ! بهاؤك كذلك وهو صفتك . فكن سفينة نفسك في نفسك ولا حاجة لي في ذلك .

قال : يا عزيزي ! هذا بساط عشقي . هلُمَّ ! فكنت عليه في عشقي ذلك فقلت : ما أنا هنالك ، ومرادي منك غيرك .

وحدثني أبو الحسن علي بن محمد القومسي قال : حدثنا عيسى عن أبيه محمد قال : حدثنا طيفور بن عيسى عن الشيخ أبي يزيد : سئل [عنه] عن طلب العلم فقال : إنما حَسُنَ طلب العلم وأخبار الرسول لمن يطلب المخبر به . يعني النبي صلى الله عليه وسلم أو المخبر عنه . فأما طلبه ليزيّن نفسه عند الخلق فإنه يزداد بُعْداً من الله ورسوله .

وبهذا الإسناد أنه قال : لم أزل منذ أربعين سنة أني ما استندت إلى حائط إلا إلى حائط [(٣)] مسجد أو رباط . فقيل له : لم لا تستند وفي ذلك رخصة ؟ فقال : سمعت الله عز وجل يقول : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . فهل ترى من رخصة [(٤)] ؟ !

---

(١) قلبه : ناقص في ح خ

(٢) ص ، ح : موجودين .

(٣) ح : إلى حائط وإلى حائط مسجداً ... وهو تحريف ظاهر .

(٤) ح : بعض – وهو تحريف .

وبهذا الإسناد قال : غُصْتُ في بحور الأعمال أربعين سنة فصعدت فإذا أنا مربوط (١) بالزنار .

وسمعت الشريف : أخبرنا محمد الداعي بن مهدي الإستراباذي العلوي قال : أخبرنا علي ابن جهضم قال : حدثني أبو الطيب محمد بن جعفر بن سليمان قال : سمعت أبا الحسن البدري يقول : قال يوسف بن الحسين : كنت عند ذي النون فجاءه رجل فقال له : رأيت أبا يزيد . فقلتُ له : أنت أبا يزيد ؟ فقال : ومن أبو يزيد ؟ يا ليتني رأيت أبا يزيد ! فبكى ذو النون وقال : إن أخي أبا يزيد فقد نفسه في حبّ الله فصار يطلبها مع الطالبين .

وسمعته يقول : محمد بن أبي الحسن يقول : سمعت الحسن بن علي بن حنويه الدامغاني يقول : سمعت عمي البسطامي ، قال أبو حفص : سألت أبا يزيد عن الزهد فقال : ليس للزهد منزلة . فقلت : لماذا ؟ قال : لأني كنت ثلاثة أيام زاهداً ؛ فلما كان اليوم الرابع خرجت منه . فقال أبو حفص : وكيف ذلك ؟ قال : زهدت أول يومي في الدنيا وما فيها ؛ واليوم الثاني زهدت في الآخرة وما فيها ، واليوم الثالث زهدت فيما دون الله . فلما كان اليوم الرابع لم يبق لي سوى الله شيء . فَهِمْتُ فسمعتُ قائلاً يقول : يا أبا يزيد ! لا تقوى (٢) معنا . فقلت : إنما أردت هذه الكلمة فسمعت قائــلاً يقول لي : وجدتَ ، وجدتَ .

وسمعته يقول : سمعت الشريف أبا محمد بن مهدي الإستراباذي العلوي الصوفي يقول : سمعت محمد بن عمرو الصوفي يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت عمي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد – قيل له : بم نلتَ ما نلتَ ؟ – قال : انسلختُ من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها ؛ ثم نظرت إلى نفسي فإذا أنا هو .

---

(١) ص : مرتبط .
(٢) ص ، ح : تقوا .

وسمعت الشريف يقول : سمعت محمد بن أبي الحسن يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : لم أزل أبكي حتى ضحكتُ ، ولم أزل أضحك حتى صرت (١٦ أ) لا أأضحك ولا أبكي .

وسمعته [1] يقول : سمعت أبا عبد الرحمن البدوي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت عمي البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : طلبتُ قلبي ليلة من الليالي فلم أجده . فلما كان السَّحَر سمعت قائلاً يقول : يا أبا يزيد ! هو ذا تطلب غيرنا ؟ !

وسمعته يقول : سمعت محمد بن أبي الحسن يقول : سمعت أبي يقول : سمعت القنّاد يقول ويحكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال : لا يزال العبد عارفاً مادام جاهلاً ، فإذا زال عن جهله زالت معرفته .

وسمعته يقول : سمعت السُّلَمي يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت عمي البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : : سمعت أبا يزيد يقول : معرفة العوام ومعرفة الخواص ومعرفة خواصِّ الخواص : فمعرفة العوام معرفة العبودية ، ومعرفة الربوبية . ومعرفة الطاعة ومعرفة المعصية . ومعرفة العدو والنفس . — ومعرفة الخواص معرفة الإجلال والعظمة . ومعرفة الإحسان والمِنّة ، ومعرفة التوفيق . — وأما معرفة خاص الخاصّ فمعرفة الأنْس والمناجاة ومعرفة اللطف والتلطف . ثم معرفة القلب . ثم معرفة السر .

وسمعت الأستاذ أبا الحسن محمد بن القاسم الفارسي قال : سمعت أبا بكر أحمد بن محمد [2] النيسابوري قال : سمعت أبا بكر أحمد بن إسرائيل يقول : سمعت خالي علي بن الحسن يقول : سمعت الحسن بن علي بن حنويه يقول : سمعت عمي وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخي أبي يزيد طيفور بن

---

(١) ح : وسمعت .

(٢) ابن محمد : ناقصة في ح .

عيسى البسطامي قال : سمعتُ أبي يقول : قيل لأبي يزيد : بم نلتَ ما نلتَ ؟ قال : ببطنٍ جائع ، وبدن عارٍ .

وبه [1] يقول : قُرِئَ [2] بين يدي أبي يزيد قول الله تعالى : « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً . » فتواجد أبو يزيد وهامَ وجعل يقول : من كان عنده لا يحتاج أن يُحشَر لأنه جليسه أبداً .

وبه [1] : قال أبو يزيد : دعوت الخلق إلى خمسين سنة فلم يجيبوني ، فتركتهم وصرتُ إليه وحدي . فوجدتهم قد سبقوني إليه .

وبه [1] : قال أبو يزيد : امتُحِنْتُ بعرض العطايا ، عطايا الدنيوية ، فأعرضتُ عنها ، ثم عرضوا عليَّ عطايا الأخروية فمالت نفسي إليها . ثم نبهني لها أنها خدعة فأعرضتُ عنها . فلما رآني لا أنخدعُ لأنها من الكونية فتح لي عطايا الإلهية .

وبه [1] : قال أبو يزيد : لما أشرفني على التوحيد طلقتُ نفسي وصرتُ إلى ربي وناديته بالإستغاثة إليه . قلت : يا مولاي ! أدعوك دعاء من لم يبق له غيرُه . فلما عرف صدقي في الدعاء مع إياسي من نفسي كان أول ما ورد عليَّ من إجابة هذا [3] الدعاء أن أنساني نفسي بالكلية فأنساني الخلائق والملكوتات . — قال أبو يزيد : فتخليتُ من الهموم وبقيتُ بلا همّ ، فلم أزل أقطع مملكةً مملكةً فإذا صرت إليهم قلتُ لهم : قوموا حتى أجوزً . فأقيمهم وأجوز حتى صرتُ إليهم : فقرّبني قريباً جعل لي إليه سبيلاً أقرب من الروح إلى الجسد . ثم قال : يا أبا يزيد ! إنهم كلهم خلقي غيرك . فقلتُ : فأنا أنت ، وأنت أنا .

قال : وقال أبو يزيد : إن الله أمر عباده ونهاهم (١٦ ب) فلما أطاعوه خلع عليهم من خِلَعِه خِلْعةً فاشتغلوا بالخلعة عنه وأنا لا أريد من الله إلا الله .

---

(١) أي : بإسناده — وكذا أينما وردت في أول الفقرات .

(٢) ص : قدى .

(٣) ص ، ح : فمن أجابه . ص : هذه .

وبه : قال أبو يزيد : أعرفْ ربّكَ بلا معرفة نفسك بغير رؤية قلبك ، وازهد في الإغترار بما سوى ربّك .

وبه : قال أبو يزيد رضي الله عنه [1] حيث أوصى لخادمه [2] أبو موسى : أوصيك بإقبالك على ربك أيام حياتك بكليتك . ولا تولّ عنه وجهك إلى وقتٍ فإن نواصيكم [3] بيده وإنه لا بد من لقائه والوقوف بين يديه وأنت مسئول عن جميع أعمالك . فشمّر لذلك . واستعدّ لمعادك . ولا تغفل وانتبه عن رقدة الغفلة وتيقظ [4] من نومة الغافلين . وألْقِ كتفك بين سيدك كل صباح ومساء ؛ والزم ذكره واحفظ خدمته وأحْسِن ظنك به . ولا تؤثر أحداً [5] عليـــه . واصبر على ما أصابك من البلاء وارْضَ بحكم الله وقضائه وقدرته . وبحسن اختياره لعبده . واقنع بعطيته . وثق به وآمن لموعده . وأيقن بوعده ووعيده . وتوكل على الحي الذي لا يموت . واذكر الله . واستعِنْ بالله في كل أمورك . واحذر منه ما دمت حياً . واهرب من الخلق إليه وفوّض أمرك إليه .

وبه : عن عمي ، يقول : سمعت أبي يقول : سألني أبو يزيد : يا أبا موسى ! عبد الرحيم في أي فن من فنون العلم يتكلم ؟ — وكان عبد الرحيم هذا عالِمَ بسطام — قلت : فن [6] الزهد في الدنيا . فقال : وأي قَدْر الدنيا حتى يحتاج أن يتكلم في الزهد فيها !

وبه : عن عمي : عن أبيه [7] قال : خرج أبو يزيد ليلاً فسمع صوت الحارس يهلل ويكبّر ويصيح ؛ فالتفت إليّ فقال : يا أبا موسى ! قلت : لبّيك

---

(١) أبو يزيد ... عنه : ناقصة في ص .
(٢) ح : إلى خالته ... وهو تحريف ظاهر .
(٣) ح : ناصيتكم .
(٤) ح : وسقط — وهو تحريف .
(٥) ص : أحد .
(٦) ص ؛ ح : من .
(٧) ح : عن عمي أبيه — وفيه نقص ظاهر .

فقال لي : مُرّ إلى هذا الحارس فقل له : كم أجرتك الليلة ؟ وأضعفه وقل له تذكر شيئاً آخر ولا تذكر عزيزي بهذه الغفلة .

وبه : قال أبو يزيد : أشد المحجوبين عن الله ثلاثة بثلاثة [١] : الزاهـد بزهده . والعابد بعبادته ، والعالم بعلمه . ثم قـال عُقَيْب قوله : مسكينٌ الزاهد ! قد تلبس الزهد وجري في ميدان الزهاد . ولو علم قلة الدنيا وفي أي شيء زهد ، وكم مقدار ما زهد فيه ! وأين [٢] يقع هو في الدنيا من الزاهدين ! إن الزاهد يلحظ فيبقى عنده فلم يرجع بطرفه إلى غيره . وأما العابد (فهو) الذي يرى مِنّة الله عليه في العبادة أكثر من العبادة حتى تغرق عبادته في المنة . وأما العالم فلو علم أن جميع ما أبدى الله من العلم سطراً من اللوح المحفوظ فكم علِمَ هذا العالم من ذلك العلم وبكم عمل فيما علم ؟ ثم قال أبو يزيد : العالم الذي يكون علمه الله . يأخذ عنه إذا ما شاء كيف شاء بلا تحفظ ولا كتبٍ . — ويكون هؤلاء الثلاثة ذوي [٣] شيء إلى يوم القيامة .

وبه : قال : قدم رجل على أبي يزيد من الكبار فقال له : يا أبا يزيد ! قد أعطيت مُلكَ الدارين . قال : وأي شيء يكون ! إنما هما دارا [٤] إبليس . قال : فلما انصرف الرجل وجه أبو يزيد على أثره فرده فقال له : إن كنت صادقاً فيما ادعيت فادعُ بكوكب من السماء . فبقي الرجل .

قال : وقدم عليه آخر فقال : يا أبا يزيد ! بلغت المبْلغ . قال : ما هو ؟ قال : أعطاني أن أطير في الهواء إن شئت ، وأن أمشي على الماء إن أنا شئتُ . فقال : وبأي شيء هذا ؟ خلق من خلق الله لا يقع عليهم قيمة فقد يمشون على الماء وهم الحيتان ، وخَلْق يطيرون في الهواء وهم الطيور . إن العبد الجيد (هو الذي) إن يلحظ يلحظ الممالك كلها في تلك اللحظة .

---

(١) ص ، ح : ثلاث بثلاث .

(٢) ح : وأن .

(٣) ص : ذووا ؛ ح : ذوًا .

(٤) ص : داري ؛ ح : داراي .

قال : وقدم على أبو يزيد (١٧ ا) رجلان ، قال أحدهما : يا أبا يزيد ! جئتك من وراء سبعة أبحر بأقل من ساعة من نهاري . فنظر إليه شِبْهَ المُغْضَبِ وقال : ليس ذا بعجيب [١] ، إنما أعطيت قوة خُطَّاف . — وقال الآخر : جئتك من وراء المشرق بأقل يوم ، فقال : لا تَنخَدَعَنَّ [٢] ! فما أعطيت إلا مسيرة يوم . — ثم قال أبو يزيد : كم من خلق لله يمشي على الماء وفي الهواء وليس لهم عند الله كبير مقدار ! وليس ذلك بعجيب . إنما العجب أسرار قلوب أوليائه التي لم يطلع عليها [٣] أحد من الملائكة .

وسمعت أبا الحسن قال : سمعت أبا إسحق إبراهيم بن العباس البخاري يقول : سئل أبو يزيد : لماذا خلق الله الخلق ؟ قال : خلق الله الخلق لإظهار قدرته ، ورزقهم لإظهار جوده ، وأماتهم لإظهار قهره ، ويحييهم لإظهار عظمته ، ويحاسب معهم لإظهار عدله [٤] ، ويدخل [٥] المؤمنين الجنة لإظهار رحمتـــه .

وسمعت أبا الحسن يقول : سمعت أبا نصر بن محمد بن اسماعيل البخاري يقول : سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن الحافظ الجرجاني يقول [٦] : سمعت الحسن بن علي بن سلام يقول : قال أبو يزيد في مناجاته : لست أتعجب مـــن حُبِّي لك فأنا عبد فقير ؛ ولكن أتعجب من حبك لي وأنت مَلِكٌ قدير .

وقال أبو يزيد : محال أن تعرفه ثم لا تحبه .

وقال : من لَزِمَ العبودية لزمه اثنان : يأخذه الخوف من ذنبه ، ويفارقه العجب من عمله .

---

(١) ح : بعجب .
(٢) ح : لا تجد عز — وهو تحريف ظاهر .
(٣) عليها : ناقصة في ص . وفي ح : عليه .
(٤) ح : ويحييهم لإظهار عدله — وفيه نقص .
(٥) ح : ويدل — وهو تحريف .
(٦) سمعت أبا نصر ... يقول : ناقص في ص .

وقال في مناجاته : أسلمني إليك ، فإنه لم يبق لي معها غيرك .

وقال : حاصلهم بعد الغاية رجوعهم إلى شيء واحد : طلب العفو .

وقال : ذكرى لله حظي من الله ؛ ووقت غفلتي حظ الله مني .

وقال : العارف ما فرح بشيء قط ، ولا خاف من شيء قط .

وقال : دخل أبو يزيد مدينة فتبعه فيها خلق كثير . ثم خرج ورآهم خلفه فقال : ما هؤلاء ؟ فقال يصحبونك . قال : يا رب ! أسألك ألا تحجب الخلق بك عنك . وتحجبهم عنك بي . ثم صلى بهم الفجر ، والتفت إليهم فقال : إني أنا لا إله إلا أنا فاعبدون . — فقالوا جُنّ أبو يزيد ؛ وتركوه .

وقال أبو يزيد : غبتُ عن الله ثلاثين سنة ، وكانت غيبتي عنه ذكرى إياه . فلما خُنِسْتُ عنه وجدته في كل حالٍ كأنه أنا .

وسمعت محمد بن علي بن أحمد الواعظ قال : وفيما أفادني بعض شيوخ الصوفية حاكياً عن الجنيد بن محمد : قال : سمعت أبا موسى عيسى بن آدم بن أخي [1] أبي يزيد طيفور بن عيسى بالفارسية فترجمناها بالعربية يقول كلاماً ثم يقوله : أسْبَلَ عليّ ستور أنواره فغطّاني بستوره ، وأنارني بنور ذاته فقال : يا حجتي ! فقلتُ : أنت حجة نفسك : لا حاجة لي في ذلك .

وقال : قال لي مرة في الغيب : يا أبا يزيد ! كيف ترى فعلي بك ؟ فقلتُ : فعلك بك . لا بي . — قال : ثم رفعني إلى مكنون غيبه فقال : يا عزيزي ! كن غيباً في غيبتي . فقلتُ : يا عزيزي ! كن أنت غيبَ نفسك في نفسك .

وقال أبو موسى : كانت بخراسان إمرأة من بعض النساء الملوك ، فزهدت وتبتلت وأخذت في طريق أبي يزيد ؛ وكانت والهةً به وبذكره ، وكانت عابدة فقيل لها : أخبري عن كرامة الله إياك ! فقالت : كنت لهجةً بإشارات

---

(١) ص ، ح : أخ .

أبي يزيد ، فسألت ربي عز وجل أن يرينيه في الغيب . فبينما أنا أسائله إذ[1] أسرى بي ذات ليلة في السماء — تعريجَ إلهامات — حتى جاوزتُ الهواء السابع ؛ فصرت إلى العرش ؛ فنوديت : أقبلي أقبلي (١٧ ب) فتناهيتُ (إلى) العرش وطرتُ إلى الحجب ؛ ثم نوديت : أدنُ مني . فخرقت الحجب وأتيت إلى مكان بانت عني شهادتي ، ورأيت الحق[2] صرفاً في فعله ، ناظراً إلى ملكه . فقلتُ لمن كان معي : أين أبو يزيد ؟ فقال : أبو يزيد أمامك . قال : فجعل لي جناحين أطير بهما يصحبني شاهد الفناء مني بإظهار الحق فيّ حتى مضى بي به . لا بي[3] حتى بلغ في التوحيد بلا إشارة في غيرها ، وهو التوحيد الذي لا ينبيء عن صنعة موجودة بشاهد الإصطلامة بها . ثم تذكر قصته حتى تقول : فأشرفت بعد ذلك على بسط ذاتية الحق فقيل لي : أين تريدين وهذا أبو يزيد ؟ فأسرى بي روضة خضراء بهايين[4] فيها قضيب من ياقوت أبيض عليه مكتوب : لا إله إلا الله ، أبو يزيد صفيّ الله . ثم تقول وتقول من صفة ما رأت وتجاوزت عنها حتى تذكر قصة ثم تقول : قلت هذا أبو يزيد . فقال : هذا مكان أبي يزيد ، وأبو يزيد يطلب نفسه لإيجادها .

وبه ، قال رجل لأبي زيد : بلغني عنك آية أنا مؤمن بها ، ولكن يعارضني فيها الشك ، فأحبّ أن تقول شيئاً يذهب الشك عني . فقال له : مثل ماذا يا مسكين ؟ ! فقال بلغني أنك تمشي على الماء وفي الهواء وتأتي مكّة بين الأذان والإقامة وتركع وترجع . فقال له : يا مسكين ! إن هذا الذي ذكرت ليس له خطر ، وإن أعطى المؤمن هذا فإنما أعطى[5] عطاء طير من الطيور ليس لها ثواب ولا عقاب ، بل المؤمن هذا أكبر على الله من الغراب . وأما ما ذكرت

---

(١) ص : إذا .
(٢) الحق : ناقصة في ح .
(٣) ح : مضى بي لأبي .
(٤) كذا !
(٥) أعطى ... فإنما : ناقصة في ح .

(من) أني أسير ما بين الأذان والإقامة إلى مكة فإن بعض الجن [ف] يسير في نحو هذا إلى مكة ويأتي بالخبر (١) . فإن أعطى المؤمن هذا فإنما أعطى عطاء بعض الجن ؛ والمؤمن أكرم على الله من الجن . قال : ثم هاج واضطرب وقال : المؤمن الجيد الذي تجيئوه مكة وتطوف حوله وترجع ولا يشعر به حتى كأنه أخذ

وقال أبو زيد : غبت عن الله ثلاثين سنة ؛ وكان غيبتي عنه ذكرى إياه . فلما حبست عنه وجدته في كل حال حتى كأنه أنا .

وبه . قال : ما وجد الوجـــدون شيئاً من الحضور إلا كانوا غائبين في حضورهم وكنت أنا المخبر عنهم في حضورهم ؛ وما غاب إلا وقد حضرت ؛ وما حضرت إلا وغبت . وذلك أن الشيء لا يتفق وضده .

وبه . قال : وسأل رجل أبا يزيد فقال : إن المريدين ليسوا يهدأون مـــن السياحة والطلب . فقال : صاحبي مقيم ليس بمسافر وأنا معه مقيم لا أسافر .

ثم قال أبو يزيد : ما تقول في ماء البحر ؟ أليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم : هو الطهور ماؤه والحل ميتته ؟ ثم قال أبو يزيد : ترى الأنهار (٢) تجري ولها دوي وخرير حتى إذا دنت من البحر وامتزجت به سكن خريرها ودويها ولم يحس بها البحر ولا زادت فيه ؛ ولا إن خرجت تؤثر فيه . ثم قال : مثلك في الرجال كمثل السيل والبحر . لأن السيل – ما دام وحده – يتهادى ويخرر (٣) في صوته . فإذا دنت من البحر . وامتزج به سكنت فورتها وخريرها فلا يحس بها البحر . ولا زاد فيه ولا ينقص إن استدبر عنه .

وقال رجل لأبي يزيد – قوي الله سره العزيز – (٥) : بلغني أنه عندك الإسم الأعظم فأحب أن تعلمني . فقال أبو يزيد : إن إسم الله الأعظم ليس له حد

(١) فإن بعض الجن ... مكة : ناقصة في ح .
(٢) ص : الأنهـ .
(٣) ح : فخرر .
(٤) ح : وخريرها – وهو تحريف ظاهر .
(٥) ح : فكـان .

محدود ، ولكنه : طهّر (١٨ أ) قلبك لوحدانيته . فإذا كنت كذلك فارفع أي إسم شئت . فإنك تسير بها المشرق والمغرب (١) ثم تجيء وتصف . فقال : الرجل : سبحان الله ! ويكون هذا أن يسير الرجل في ساعة إلى المشرق والمغرب ثم يجيء ويصف ؟ فقال أبو يزيد : نعم ! وليس لهذا خطر أن يمشي باسمه الأعظم أقطار السموات والأرض . لأن جميع ما دون الله يكون تحت قدميه فيمر بقدميه إلى حيث شاء . فقال الرجل : وأي مقام هذا ؟ فقال أبو يزيد : أما المقام فلا صفة له . ولكن مثله شبه مرآة لها ستة أوجه . فإذا أراد الله أن ينظر إلى خلقه نظر في هذا الرجل الذي هي مرآته فيرى خلقه فيه ويدبّر أمورهم .

وبه ، قال : قال أبو موسى : أهدي ذو النون المصري إلى أبي يزيد مُصلىً فلم يقبله وقال للرسول : قل لذي النون إن هذا يصلح لمثلك لتُصلي عليه . وقال : فبعث ذو النون ثانياً إليه بوسادة قد كان أبلغ في تجويدها . فلما أتاه الرسول قال : ارجع إليه بهذه وقل له : من كان هو وسادة لا يشتغل بوسادتك — وكان (٢) هذا آخر عمره حيث ذاب وذبل ولم يبق منه إلا الجلد والعظم .

وبه ، قال أبو موسى : كان أبو يزيد يدعوني في بعض لياليه : إلى كم بيني وبينك هذه الأنانية ؟ أسألك أن تمحو أنانيتي عنّي . حتى تكون أنانيتي (٣) أنت ، فتبقى وحدك ، ولا ترى إلا وحدك يا عزيز . قال أبو يزيد : فاستجاب دعائي . غير أنه هيّجني .

ثم قال أبو يزيد : إن كنت تحب أنانتك (٤) لي ، فإني قد وهبت أنانتي لك . فافعل ما تريد .

وبه ، كان أبو يزيد لما خلا عن نفسه وأدرك هذه الحالة صارت تمنياته (٥)

---

(١) والمغرب : ناقصة في ح .

(٢) ح : رضي الله عنه .

(٣) ح : أناتي .

(٤) ح : أناتي .

(٥) ص ، ح : تمناه .

وإرادته أسرع من الطرف . وكان لا يهتم لشيء حتى تصوّر له ذلك على ما يريد . وكان له من الإجابات العجائبُ .

وسمعت أبا علي عبد الله بن ابراهيم الواعظ قال : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت طيفور البسطامي يقول : سمعت موسى بن عيسى يقول : قال أبا يزيد : لو نظرتم إلى رجلٍ أعطى من الكرامات حتى تربّعَ في الهواء . فلا تغترّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة .

قال : وسمعته يقول : كان أبو يزيد إذا ذكر الله عز وجل يبول الدمَ .

وقال أبو يزيد : إذا وقفت بين يدي الله عز وجل أجعل نفسي كأني مجوسي يريد أن يقطع الزنّار .

وقال : وسمعت علي بن بندار يقول : سمعت أبا بكر بن محمود يقول : بلغني أن أبا حفص قدم (١) على أبي يزيد فقال له : يا أبا يزيد ! يبلغنا عنك في كل وقت أشياء تنكرها . فقال (٢) : إنما يخرج الكلام مني على حسب وقتي ويأخذه كل إنسان على حسب ما يقوله (٣) . ثم ينسبه إليّ .

وقيل إنه اجتمع عليه الناس فقال : يا رب ! كيف سألتك أن تحجبهم بك عنك . فحجبتهم بي عنك (٤) !

وسمعته يقول : سمعت أبا الحسن محمد بن القاسم يقول : سمعت أبا يحيى العربي البسطامي يقول : كان مشايخ ناحية بسطام من أصحاب أبي يزيد يحدثون عنه أنه كان (يقول) : كان ابتداء أمري أن أقامني الحق تعالى على أبواب

---

(١) بياض في ص بقدر ٣ سم مكان : حفص قدم على أبي .
(٢) بياض بقدر ٢ سم في ص مكان : تنكرها فقال : إنما .
(٣) ح : وقته ثم ينسبه إلي – وفيه نقص ظاهر .
(٤) هذه الفقرة ناقصة في ص .

العلماء وصحبة المتعلمين دهراً طويلاً . فلما استكثرت من أنواع العلوم جعلت نفسي تحدثني أنك قد علمت وعرفت ، والعالم والعارف في أعلى المراتب . فأشرف بي الحق تعالى ، حتى رأيت ازدحام العلماء والعارفين ، فلم أرَ لنفسي[1] معهم موضع قدم (١٨ ب) فتلاشيت وانصرفت ولم أصل إلى الحق . فقلت : العلم والمعرفة من[2] غير حقيقة حجة . وكان عندي أن الحقيقة في العلم والاجتهاد — فأقامني الحق تعالى مع المصلّين في الجماعة والمحاريب دهراً طويلاً لم يكن يفوتني مع الإمام التكبيرة الأولى . فأشرف بي الحق تعالى حتى أراني المصلّين الراكعين الساجدين على الباب . فلم أر لنفسي معهم موضع قدم ، فتلاشيت وانصرفت ولم أصل إلى الحق تعالى . — فأقامني مع الصائمين دهراً طويلا ثم أشرف بي حتى أراني ازدحام الصائمين الجائعين الواصلين صيام النهار بقيام الليل على الباب ؛ فلم أر لنفسي معهم موضع قدم ؛ فانصرفت ولم أصل إلى الحق تعالى . — فأقامني مع زُوّار بيته دهراً طويلاً . ثم أشرف بي حتى أراني ازدحام المُلبّين المُحْرِمين الفجاجين الثجاجين من كل فج عميق قاصدين إليه ؛ فلم أر لنفسي معهم موضع قدم ، فتلاشيت وانصرفت ولم أصل إلى الحق تعالى . — فأقامني مع المجاهدين أضرب معهم السيوف في وجوه أعدائه دهراً طويلاً . ثم أشرف بي حتى أراني ازدحام المجاهدين القاتلين أعداءه ، المقتولين المزمّلين بكلومهم بين يديه ؛ فلم أر لنفسي معهم موضع قدم ؛ فتلاشيت وانصرفت ولم أصل إلى الحق تعالى . — فقلت : إلهي ! ارحمني وارحم حيرتي وأقم بعبدك مقاماً أتقرب إليك لا ينافسني في ذلك المقام منافس ، ولا يزاحمني فيه مزاحم . فلقد أُشرِفَ بي على من سبقوني إليك رأيتني لا أطيق اللحوق بهم . فناداني الحق : يا أبا يزيد ! إنه لا يتقرّب إليّ متقرِّب بمثل من يأتيني بما ليس لي . قلت : إلهي ! وما الذي ليس لك وأنت لا تقرب من يأتيك به ؟ ومن أين لي ما ليس لك؟ فقال : يا أبا يزيد ! ليس لي فاقة ولا فقر ، فمن ابتغى لديّ الوسيلة بما قرّبْتُه

---

(١) س ، ح : نفسي .

(٢) ح : ومن .

من بساطي . قلت : اللهم أشْرِف بي على ذوي الفقر والفاقة . فأشرف بي ، فإذا هم شرذمة قليلون لا أرى هناك ازدحاماً ولا تنافساً (١) ، ولا أرى لهم على الباب جَلَبة ولا صياحاً . فعاهدته لا أؤثر على الفقر والفاقة شيئاً . فها أنا معه على هذا العهد . فليس من (٢) ساعة إلا وتأتيني منه كرامة جديدة . فقلت : إلهي ! هذا شيء خصصتني به من بين خلقك . قال : هذه الكرامة لا ينالها إلا من آثر الفقر والفاقة وصبر عليهما وأنس بهما (٣) .

وسمعت أبا عبد الله الشيرازي . قال : سمعت مظفر بن عيسى المراغي قال : سمعت شبذين يقول : سمعت أبا موسى الديبُلي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : أشد المحجوبين حجاباً عن الله ثلاثة بثلاثة : بالزهد والعبادة والعلم ولو علم المسكين أن الدنيا سمّاها قليلاً . فكم ملك هو من ذلك القليل . وفي كم زَهِدَ فيما ملك ! ثم قال : إن الزهد شِركٌ لأنه لأنه اعتقاد مع الله ، والزاهد هو الذي يلحظ الله فيبقى عنه . ثم لا يُرجع نظرته إلى غيره ولا إلى نفسه : واحدٌ محجوبٌ بزهده وآخر بعبادته ، وآخر بعلمه . والجنة هي الحجاب الأكبر لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة . وكلُّ من سكن إلى سواه فهو محجوب .

قال : وسمعته يقول : (١٩ ا) إن لله عباداً لو احتجب عنهم في الدنيا والآخرة لما عبدوه .

وبهذا الإسناد قال : سمعته — وقد سئل عن الطريق إلى الله تعالى — فقال للسائل : إن غبت عن الطريق تَصِلْ إلى الله تعالى (٤) .

وبهذا الإسناد : سأله إنسان : إن الله تعالى أحد ؟ فقال : واحد كقولك ألف ، فالألف علة . والواحد علة لا ترجع إلى وصف ، فلا تعرِّف الله ..

---

(١) ص ، ح : ازدحام ولا تنافس ... ولا صياح .
(٢) من : ناقصة في ح .
(٣) ص : عليها ... بها .
(٤) تعالى : ناقصة في ح .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد قال : غبت في الجبروت وخُضْتُ [1] بحار الملكوت وحُجُب اللاهوت حتى وصلت إلى العرش فإذا هو خال فألقيت نفسي عليه وقلت : سيدي ! أين أطلبك ؟ فكشف فرأيت أني أنا ؛ فأنا أنا ؛ أُوَلِّيَ فيما أطلب ، وأنا لا غيري فيما أسير .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول : خرجت أول مرة إلى الحج فغلبني الزحام ، وخرجت ثانياً فغلبني البيت ، وثالثة ، وخرجت الرابعة فنوديت في بعض المتاهات : إلى أين يا أبا يزيد ؟ فقلت : له . فناداني : خلّفْته ببسطام . فنبهت عن غفلتي .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول : خرجتُ إلى الحج ، فاستقبلني رجلٌ في بعض المتاهات فقال : أبا يزيد ! إلى أين ؟ فقلت : إلى الحج . فقال : كم معك من الدراهم ؟ قلت : معي مائتا [2] درهم . فقال : طُفْ حولي سبع مرات ، وناولني المائتي درهم فإن لي عيالاً [3] ؛ فطفْتُ حوله وناولته المائتي درهـــم .

وسمعت الشيخ أبا عبد الله الداستاني . قال : أخبرني جدي الأستاذ الداستاني محمد بن علي قال : حدثنا الحسن بن محمد الحاكم ، قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسين الجرجاني أنه قال : سئل أبو يزيد البسطامي عن التوحيد فقال : هو اليقين . فما اليقين ؟ قال : معرفته أن حركات الخلق وسكونهم فعلُ الله عز وجل لا شريك له في فعاله . فإذا عرفت ربك واستقر فيك فقد وجدته . ومعناه أنك ترى أن الله واحد لا شريك له في فعاله وليس يفعل فعاله أحد .

وبه . قال : قيل له قدس الله [4] روحه ـــ : كيف ترى الخلق ؟ قال : به أراهم . وقد أفادني عنه سبحاني وتعالى .

---

(١) ح : خصصت – وهو تحريف ظاهر .

(٢) ص ، ح : مائتي .

(٣) ح : عيـال .

(٤) ح : رضي الله عنه .

وبه . قال أبو يزيد : سِرْ في ميدان التوحيد حتى تصل إلى دار التفريد . وطِرْ في دار التفريد حتى تلحق وادي الديمومية . فإن عطشت سقاك كأساً لا تظمأ من الذكر بعده أبداً .

وبه . قال أبو يزيد : من عرف الله بُهِتَ ولم يتفرغ إلى الكلام (١) .

وبه . سئل أبو يزيد عن درجة العارف . قال : ليس هناك درجة . بل أعلى فائدة العارف وجودُه .

وبه . قال أبو يزيد : عرفتُ الله بالله . وعرفتُ ما دون الله بنور الله (١) .

وبه . قال أبو يزيد : علامة العارف أن يكون طعامه ما وجد . وبيته حيثما أدرك . وشغله بربّه .

[وبه . سئل أبو يزيد : ما علامة العارف ؟ قال : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون »] (٢) .

وبه . قال أبو يزيد : ثواب العارف من ربه هو (٢) .

وبه . قال أبو يزيد : إذا جاء حبُّ الله يغلب كل شيء ؛ لا حلاوة للدنيا . ولا حلاوة للآخرة ؛ الحلاوة حلاوة الرحمن .

وبه . قال أبو يزيد : أدنى ما يجب على العارف أن يَهبَ له ما قد مَلَكه .

وبه . قال أبو يزيد : عجبتُ لمن عرف الله كيف يعبده (٣) !

وبه . قال أبو يزيد (٤) : قال الله تعالى : لا تفعل الأرباب بعبيدها ما أفعل : فتعالى لا توصف .

وبه . كان تكبيره رضي الله عنه إذا كبّر أن قال : غلّقت الملوك أبوابها

---

(١) هذه الفقرة ناقصة في ح .

(٢) هذه الفقرة ناقصة في ص ، وموجودة في ح ، ونرى حذفها لأنها لا تفيد معنى واضحاً . x (٥)

(٣) هذه الفقرة ناقصة في ح .

(٤) قال أبو يزيد : ناقصة في ح .

(٥) لا أظنها ناقصة أو لا تفيد معنى .. فثواب العارف من ربّه ربّه - هو - لا شيء سواه تبارك وتعالى ، فكان ثوابه : هو .

وبابُك مفتوح لمن دعاك يا الله ! وكان تسبيحه : سبحان من علا فتعالى ! سبحان العليّ الأعلى دون دنوّ الأدنى ! سبحان خالق النور ، شكراً لخالق النور ، سبحان خالق النور ، حكماً لخالق النور ! سبحان خالق النور ، عدلاً لخالق النور ! سبحان خالق النور وبحمده ! سبحان خالق النور عز وجلّ [1] جلاله .

وبه ، قال أبو يزيد : علامة العارف خمسة أشياء : أوله يقيم على باب ربه لا يرجع عن باب بالبر ، ويقبل إليه لا يلتفت إلى شيء يحجبه عنه . ويكون دورانه وسيرانه في مَجَرَّة أنس ربه وحول مناجاته . لا يرضى من نفسه أن يشتغل بشيء دون الله عز وجل ، ويكون فراره من الخلق إلى الخالق . ومن جميع الأسباب إلى وليّ الأسباب .

وبه ، قال أبو يزيد ، في صنعة العارف وغيبوبة الخلق عنه وسَعة مقام العارف حيث لا أين : ولو أن ما خلق الله عز وجل من العرش إلى الثرى ، ومع ذلك كل أرض وسماء مع مائة ألف ألف آدم ، لكل آدم مائة ألف ألف ضعف مثل هذه الذرية ، لكل واحد منهم مائة ألف ألف نسل مثل كل ما ذكرنا ، ثم عمر كل واحد منهم مائة ألف ألف آلاف آلاف [2] عالم بحساب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل اختفوا في زاوية من زاوية من زوايا قلب العارف ، لم يحسّ به ولا علم أنه في كون الله موجود .

وبه قال أبو يزيد : العارف فوق ما يقول ، والعالم دون ما يقول : والعارف ما فرح بشيء قط ولا يخاف من شيء قط ، والعارف يلاحظ ربّه . والعالم يلاحظ نفسه .

وبه ، قال أبو يزيد : العابد يعبده بالحال . والعارف الواصل يعبده في الحال .

وبه ، قال أبو يزيد : الزاهد همّه ما يأكله . والعارف همّه ما يأمله .

---

(١) وجل : ناقصة في ح .

(٢) نسل ... آلاف : ناقصة في ح .

وبه ، قال أبو يزيد : الزاهد يقول كيف أصنع ، والعارف يقول كيف يصنع [1] .

وبه . قال أبو يزيد : أمَلُ الزاهد في الدنيا الكرامات . وفي الآخرة المقامات ، وأمل العارف في الدنيا بقاء الإيمان معه . و الآخرة العفو — يعني للخلق

وبه . قال أبو يزيد [2] : أنشد له نظماً (شعر) :

بُعدك منّي هو قُربـاكَ أخذتني عنك بمعناك
لا تَغْرُقُ الأوصاف ما بيننا إن قيل لي : يا ! كنت إياكَ

وبه . قال أبو يزيد لأبي موسى الدبُيلي — وكان تلميذ عبد الرحيم ، أستاذ إبراهيم بن يحيى الشيرازي : ما أعلى شيء سمعته من صاحبك ؟ — يعني عبد الرحيم — قال : سمعته (يقول) : لا تبالي على سَبُع تتكيء أم على وسادة . قال أبو يزيد : ما عمل صاحبكم شيئاً ولا نحن حتى يكون اتكاؤه على الحق أن لا يرى شيئاً دون الله . — معناه : إنما يكون قلبه مع الله عز وجل لا يرى سَبُعاً ولا يرى شيئاً دونه .

وبه ، قال : أتى رجل أبا يزيد ودق عليه الباب — قال : من تطلب ؟ قال : أبا يزيد . قال : مُرَّ ، فليس في البيت غير الله عز وجل .

وبه ، قال أبو يزيد [3] في مناجاته : يا عزيزاً في قلوب أوليائك ! الشكر منك والزيادة منك .

وبه ، قال أبو يزيد : كنت ديدبان القلب أربعين سنة ، فعند ذلك أشرفت على نفسي أنه هو الرب ، والرب هو العبد .

وبه ، عن أبي يزيد أنه قال : الصوفية أطفال في حِجْر الحق .

وبه ، عن أبي يزيد أنه قال : إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه فخلع

---

(١) هذه الفقرة ناقصة في ح .
(٢) كذا دون ذكر لما قال .
(٣) ح : قدس الله روحه .

عليهم من خِلَعه ، فاشتغلوا بالخِلَع عنه ؛ وإني لا أريد من الله إلا الله .

وعنه أنه قال : ليذوق عبده الحلاوة ، فمن أجل فرحه (١٢٠ ا) بها يمنعه عن حقائق القرب .

وبه قال : الزاهد همُّه أن لا يأكل ؛ وهم العارف ما يأكل .

وبه قال : مُنْيَة الزاهد في الدنيا الآيات ، وفي الآخرة الكرامات ؛ ومُنْيَة العارف في الدنيا بقاء الإيمان ، وفي الآخرة العفو عن الخلق .

وسمعت أبا الحسن علي بن محمد الدينوري قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني . قال : حدثنا عبد الواحد بن بكر قال : قال الحسن بن ابراهيم الدامغاني ، قال حدثنا موسى بن عيسى ؛ قال سمعت أبي يقول . سمعت أبا يزيد : اللهم أنت [1] خلقت هذا الخلق بغير علمهم ، وقلدتهم أمانتهم مـــن غير إرادتهم . فإن لم تُعِنْهُم فمن يعينهم [2] ؟!

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال : سمعت الفضل بن جعفر يقول سمعت محمد بن منصور يقول : قال عبيد بن عبد القاهر : جلس قومٌ إلى أبي يزيد ، فأطرق مَليّاً ثم رفع رأسه إليهم فقال : منذ جلستم إليَّ هو ذا أجيل فكري ألتمس حبّة عنبيّة [3] أخرجها إليكم تطيقون حملها فلم أجد .

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا عثمان بن محمد العثماني قال . حدثنا أبو الحسن الرازي قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت يحيى بن معاذ يقول : قال أبو يزيد : لم أزل أجول في ميدان التوحيد حتى خرجت إلى دار التفريد ؛ ولم أزل أجول في دار التفريد حتى خرجتُ إلى ميدان الديمومية : فشربت بكأسه شربة لا أظمأ من ذكره بعدها أبداً . قال يوسف : وكنت سمعت هذا الكلام على غير [4] هذا اللفظ من ذي النون . وفيه زيادة كان ذو

---

(١) ح : إنك .

(٢) ح : يفهم ... يعنهم .

(٣) إشارة إلى القصة الرمزية أو الكلمة الواردة في الإنجيل : إن لم تمت الحبة ...

(٤) ح : غير ، – وهو تحريف .

النون لا يبديها إلا في وقت نشاطه وغلبة حاله عليه ويقول بعده : لك الجلال والجمال . ولك الكمال . سبحانك ! سبحانك ! قد سَتَكَ ألْسُنُ التماديح وأفواه التسابيح . أنت أنت أزلي أزلي . حُبه لي أزلي .

سمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال : حدثنا أحمد بن أبي عمران قال . حدثنا منصور بن عبد الله قال : سمعت أبا عمران موسى بن عيسى بن عُمَيّ البسطامي . قال : جاء رجل إلى أبي يزيد فقال : أَوْصِني ! فقال : انظر إلى السماء فنظر فقال له أبو يزيد : أتدري مَنْ خَلَقَ هذا ؟ قال : الله . قال أبو يزيد : إن من خلقها فمُطّلع عليك حيث كنت . فاحذره .

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال : أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان قال : حدثنا عبيد الله بن محمد بن خاهان قال : حدثنا عُمَيّ البسطامي عن أبي موسى قال : قال أبو يزيد : ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شرّ منه فهو متكبِّر .

وبه ، قال : وجه أحمد بن حرب حصيراً وكتب معه إليه : « صَلِّ عليه بالليل » ، فكتب أبو يزيد : إني جمعت عبادات أهل السموات والأرضين السبع فجعلتها في مخدة ووضعتها تحت خدّي .

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال : حدثنا محمد بن الحسين بن موسى بن عيسى [1] يقول : سمعت أبي يقول . قال أبو يزيد : عملت في المجاهده ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشدّ علي من العلم ومتابعته ، ولولا اختلاف العلماء لبقيت . واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد .

وقال أبو يزيد : لا يعرف نفسه من صحبته شهوته

وقال أبو يزيد : الجنة لا حظّ لها عند المحبّين ، و (إن) أهل المحبة لمحجوبون لمحبتهم . (٢٠ ب) وسمعت أبا الحسن [2] قال : حدثنا أحمد قال :

---

(١) بن عيسى : ناقصة في ح .
(٢) ح : أبي الحسن .

أخبرنا محمد بن الحسين قال : سمعت أحمد بن علي يقول : سمعت الحسن بن علي يقول : قال أبو يزيد : المعرفة في ذات الحق جهل ، والعلم في حقيقة المعرفة جناية ، والإشارة من المشير شِركٌ في الإشارة .

وقال : طوبى لمن كان همُّه واحداً ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه ! فمن عرف الله فإنه يزهد في كل شيء شغله عنه !

وقال : إن لله عباداً لو حجبوا عنه طَرْفة عين ثم أعطوا الجنان كلها ما كان إليها لهم حاجة . فكيف يركنون إلى الدنيا وزينتها !

وبه . قال : عرفت الله بالله ، وعرفت ما دون الله بنور الله .

وسئل : بماذا يُسْتَعان على العبادة ؟ فقال : بالله . إن كنت تعرفه .

وقال : بلك أدلُّ عليك ، وبلك أصل إليك .

وقال : نسيان النفس ذكر باري النفس .

وسمعت أبا (١) الحسن قال: حدثنا أحمد، قال: يحكى أن أم علي من بنات الكبار حلت زوجها أحمد: يعني أحمد بن خضروية البلخي المروزي من صداقها بعشرة آلاف دينار (٢) إلى أن يحملها إلى أبي يزيد البسطامي (٣) . فحملها إلى أبي يزيد فدخلت عليه وقعدت بين يديه مُسْفِرَةً عن وجهها فقال لها أحمد: رأيت منك عجباً ! أسفرتِ عن وجهك بين يدي أبي يزيد ! فقالت : لأني لما نظرت إليه فقدت حظوظ نفسي . وكلما نظرت إليك رجعت إلى حظوظ نفسي . فلما خرج ، قال لأبي يزيد : أوصني ! قال : تعلّم الفتوة من زوجتك .

وسمعت محمد بن أحمد بن عبد الله الحاكي يقول : بلغنا أن قوماً يستسقون بالبصرة ، فتقدم واحد من أثناء الناس وقال : إلهي ! بحق هذا الرأس وما فيها

---

(١) ح : أبي الحسن .

(٢) بعشرة آلاف دينار : ناقصة في ح .

(٣) ح : على أن يزور بها أبا يزيد البسطامي .

أن تسقينا ! فصار السماء كأفواه القِرَب . فانصرف الرجل إلى منزله . فقال بعض من رأى ذلك منه : أقفو أثره فأعرف حبي . فقفاه وحضر واستخبره فقال : قلت بحق هذا الرأس وما فيه قال : كنتَ لقيت به يعني أبا يزيد البسطامي . فقال الرجل : أنا ببسطام في جواره . فقال له الرجل الداعي : أنت تتطلب مني الدعاء وأنت في جواره ! أنت أَوْلَى به مني .

وسمعت أبا الحسن بن محمد قال : سألت (١) أبا نعيم الأصفهاني صاحب « حلية الأولياء » (٢) رحمه الله قال : حدثنا محمد (٣) بن أبي عمران قال : حدثنا منصور بن عبد الله قال : حدثنا أبو عمران (٤) موسى بن عيسى يقول : سمعت أبي يقول : بينما أنا قائم (٥) خلف أبي يزيد يوماً إذ شهق شهقة . فرأيت أن شهقته تخرق الحجب بينه وبين الله . فقلت : يا أبا يزيد ! رأيت عجباً . فقال : يا مسكين ! وما ذلك العجب ؟ فقلت : رأيت شهقتك تخرق الحجب حتى وصلت إلى الله . فقال : يا مسكين ! إن الشهقة الجيدة هي التي إذا بدت لم يكن لها حجاب تخرقه (٦) .

وسأله رجل فقال : يا أبا يزيد ! العارف يحجبه شيء عن ربه ؟ فقال : يا مسكين ! من كان هو حجابه ، أي شيء يحجبه !

وسمعت أبا الحسن قال : أخبرنا أحمد قال : أخبرنا أبو عمرو بن حمدان قال : وجدت بخط أبي : سمعت أبا عثمان سعيد بن اسماعيل يقول : قال أبو يزيد : من سمع الكلام فتكلم مع الناس رزقه الله بما (٧) يناجي ربه .

---

(١) ح : وسمعت أبا الحسن الدينوري قال : سمعت أبا نعيم ...
(٢) ح : حلية الأولياء وطبقة الأصفياء .
(٣) ح : أحمـد .
(٤) ح : سمعت أبا عمران .
(٥) ص : بينا كنت أنا قائم.
(٦) ص : تحرقه .
(٧) ح : فيها .

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال : أخبرنا محمد بن الحسين : سمعت أبا نصر ابن الهروي يقول [١] : سمعت أبا يزيد يقول : رب أفهمني (٢١ أ) عنك فإني لا أفهم عنك إلا بك .

قال : وسئل أبو يزيد : بم [٢] نالوا المعرفة ؟ قال : بتضييع مالهُم ، والوقوف مع مالَه .

وقال : اطّلع الله على قلوب أوليائه : فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغلهم بالعبادة .

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال : أخبرنا محمد بن الحسن قال : سمعت منصوراً يقول : سمعت يعقوب بن اسحق يقول : سمعت ابراهيم الهروي يقول [٣] : سمعت أبا يزيد البسطامي وسئل : ما علامة العارف ؟ — قال : أن لا يفتر من ذكره ، ولا يملّ من حقه ، ولا يستأنس بغيره .

وسمعته [٤] يقول : حدثنا أحمد ، يقول : سمعت الفضل بن جعفر يقول : سمعت محمد بن منصور يقول [٥] . سمعت عبيد بن عبد القاهر يقول : قال أبو يزيد : ثواب العارف من ربه . وكمال العارف احتراقه فيه له .

وقال : إن الصادق من الزاهدين إذا رأيته هبْتَه ؛ وإذا فارقته هان عليك أمره ؛ والعارف إذا رأيته هبْتَه [٦] وإذا فارقته هبته .

قال : وسمعت أبا يزيد يقول : لان يقال لي لِمَ لَمْ تفعل أحبُّ إلي من أن يقال لي : لم فعلتَ .

وقال : الذي يمشي على الماء ليس بعجيب : لله خلق كثير يمشون على الماء ليس لهم عند الله قيمة .

---

(١) يقول سمعت يعقوب ... يقول : ناقصة في أ ح .
(٢) ص : بما .
(٣) سمعت يعقوب ... ناقصة في ح .
(٤) ح : وسمعت .
(٥) سمعت الفضل ... يقول : ناقصة في ص .
(٦) وإذا فارقته ... رأيته هبته : ناقصة في أ ح .

وقال : الجوع سحابٌ ، فإذا جاع العبد مَطَرَ القلبُ الحكمةَ .

وسئل عن قوله تعالى : « إنا لله » — قال : إقراراً لله بالملك — « وإنا إليه راجعون » — إقراراً على النفس بما [1] لك .

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد . قال : سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبي [2] يقول : سمعت علي البسطامي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : من نظر [3] إلى شاهدي بعين الإضطرار . وإلى أوقاتي بعين الإغترار ، وإلى أحوالي بعين الإستدراج . وإلى كلامي بعين الإفتراء . وإلى عبارتي بعين الإجتراء . وإلى نفسي بعين الإزراء — فقد أخطأ النظر فيّ .

وسمعت أبا الحسن قال : أخبرنا أحمد قال : سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصوراً يقول : سمعت أبا يعقوب النهرجوري يقول : سمعت علي بن عبيد الخرزاني يقول [4] : كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد : « سكرتُ من كثرة ما شربت من كأس محبته » . فكتب أبو يزيد جواباً له : « سكرتَ وما شربتَ من الدور ؛ وغيرك قد شرب بحور السموات والأرض وما روى بعد ولسانه خارج ويقول : هل منْ مزيد ! »

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال : سمعت أبا اسحق ابراهيم بن أحمد بن محمد الحلواني بطرثيب يقول : سمعت يعقوب بن إسحق الهروي يقول : ابراهيم الهروي ذكر عن أبي يزيد أنه [5] قال : أولياء الله مخدرون [6] معه في حجاب الأنس به لا يراهم أحد في الدنيا والآخرة إلا من كان مُحرِماً

---

(١) ح : بالملك .
(٢) ح : سمعت أبا عمران .
(٣) ح : من لم ينظر .
(٤) سمعت أبا يعقوب ... يقول : ناقصة في ص .
(٥) أنه : ناقصة في ح .
(٦) ص ، ح : مخدرين .

لهم . وأما غيرهم فلا : إلا متنقبين من وراء حجابهم وإنما يرى حجابهم .

قال : وقرئ عنده يوماً : « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً [1] » — قال فهاج ثم قال : من كان عنده فلا يحتاج أن يحشر ، لأنه جليسه أبداً .

وقيل لأبي يزيد : أيصل العبد إليه في ساعة واحدة ؟ قال : نعم ! ولكن يرد بالفائدة ، والربح على قدر السفر .

وسمعت أبا الحسن يقول : أخبرنا أحمد يقول : عمر بن أحمد قال : أخبرنا عبيد الله بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن محمد قال : حدثنا عمي عن أبي موسى قال : سمعت أبا يزيد يقول : ما ذكروه إلا بالغفلة ، ولا خدموه [2] إلا بالفترة .

قال : وسمعته يوماً وهو يقول : لا يقطعني بك عنك [٥] . قال : وسمعته يوماً وهو يقول : أكثر الناس إشارة أبعدهم منه .

(٢١ب) وسأله رجل : مَنْ أعجبُ ؟ فقال : من لا يحتاج أن تكتمه شيئاً مما يعلمه الله منك .

وسمعوه يوماً يقول : أقربهم من الله أوسعهم على خلقه

وسمعوه يوماً وهو يقول : لا يحمل عطاياه إلا مطاياه المذللة المروّضة .

وسمعت أبا الحسن قال : أخبرنا أحمد قال : حدثنا منصور بن عبد الله قال : سمعت أبا عمران موسى بن عيسى يقول : سمعت أبي يقول : قال أبو يزيد : ليت الخلق عرفوني وكفاهم [3] من ذلك معرفتهم بأنفسهم [4] .

وسمعت أبا الحسن يقول : أخبرنا أحمد قال : أخبرنا أحمد بن أبي عمران قال : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا عمران موسى يقول :

---

(١) سورة مريم : ٨٨ .

(٢) ص : وما .

(٣) هذه الفقرة ناقصة في ح .

(٤) بياض مكان الكلمة في ص .

عمّي البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : قال أبو يزيد : انظر أن تأتي عليك ساعة لا ترى في السماء غيره ولا في الأرض غيرك .

سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازي الصوفي في شعبان سنة تسع (١) عشرة وأربعمائة قال : سمعت مظفر بن عيسى المراغي قال : سمعت شنبذين يقول : سمعت أبا موسى الديبُلي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : نظرت إلى ربي بعين اليقين بعدما صرفني عن غيره وأضاءني بنوره ، فأراني عجائب من سِرّه . وأراني هويته فنظرت بهويته إلى أنائيتي فزالت : نوري بنوره ، وعزّتي بعزته . وقدرتي (٢) بقدرته . ورأيت أنائيتي بهويته وأعظامي بعظمته ورفعتي برفعته . فنظرتُ إليه بعين الحق فقلت له : من هذا ؟ فقال : هذا لا أنا ولا غيري لا إله إلا أنا . فغيرني عن أنائيتي إلى هويته . وأزالني عن هويتي بهويته وأراني هويته فرداً فنظرتُ إليه بهويته . فلما نظرتُ إلى الحق بالحق رأيت الحق بالحق . فبقيت في الحق بالحق زماناً لا نَفَس لي ولا لسان ولا إذن لي ، ولا علم حتى إن الله أنشأ لي علماً من علمه ولساناً من لطفه وعيناً من نوره . فنظرت إليه بنوره وعلمتُ من علمه وناجيته بلسان لطفه فقلتُ : ما بالي بك ؟ فقال : أنا لك بك . لا إله غيرك . قلت : لا تغرُّني بي (٣) ! أنا لا أرضى بي عنك دونك ، فأرضي بك عنك دوني . فمَنَّ عليّ به دوني . فناجيته به دوني . فقلتُ : مالي من يدك عنك يا مناي . فقال : لي عليك بأمري ونهيي . فقلتُ : ومالي من أمرك ونهيك؟ قال : ثنائي عليك في أمري ونهيي (٤) . أشكرك على ما أتيتك (٥) من أمري وأحبك على ما انتهيت من نهيي . فقلت : إن شكرت فمنّ نفسك بشكره ، وإن ذممت فلست أنت موضع المذمة يا مناي ويا رجائي من بلائي ، ويا شفاي

---

(١) ص : ستعشر .

(٢) بياض في ص مكان : وقدرتي بقدرته .

(٣) بياض في ص مكان ـ تغرني بي .

(٤) ص : نهى .

(٥) ح : أتيت .

من شقائي . أنت الآمر ، وأنت المأمور ؛ ولا إله غيرك . فسكت عنّي . فعلمت أن سكوته رضاه . ثم قال [1] : مَنْ علّمك ؟ قلت : السائل أعلم من المسئول أنت المجيب وأنت المجاب . أنت السائل وأنت المسئول ؛ لا إله غيرك . انقطع حجة الله عليّ به فرضيت عنه به ، ورضي به عليّ به : إذ أنا به ، وهو هو ، لا إله إلا هو . ثم أنارني بنور الذات ، ونظرت إليه بعين الفضل فقال : سَلْ ما شئت من فضلي أعطيته . قلتُ : أنت أفضل من فضلك ، وأنت أكرم من كرمك ؛ رضيت منك بك [2] : وانتهيت إليك ؛ لا تعرض [3] عليّ غيرك ؛ ولا تردني عنك بشيء دونك ؛ لا تغرني بلطفك ولا بكرمك ولا بفضلك . فالفضل منك أبداً ؛ وإليك يعود . أنت المعيد وأنت المعاد ، وأنت المريد وأنت المراد . انقطع المراد عنك . (١٢٢) وانقطع السؤال بك عنك . فلم يُجبني زماناً . ثم أجابني وقال : حقٌّ ما قلت ؛ وحق ما سمعت ، وحق ما رأيت وحق ما حققت . قلت : بلى ! أنت الحق وبالحق يرى الحق ؛ أنت الحق وبالحق يتحقق الحق [4] ؛ وإلى الحق وبالحق يسمع الحق . أنت السامع وأنت المسمع وأنت الحق وأنت المُحِق ؛ لا إله غيرك . فقال : ما أنت إلا الحق ؛ بالحق نطقت — فقلت بل أنت الحق . وكلامك حق ؛ والحق بك حق . أنت أنت لا إله غيرك . فقال لي : ما أنت ؟ قلت : له : ما أنت ؟ قال : أنا الحق . فقلت : أنا بك . قال : إذا كنت أنت بي فانا أنت وأنت أنا . فقلت : لا تغرني بك عنك . بلى ! أنت أنت . لا إله غيرك . — فلما أن صرتُ إلى الحق وأقمت مع الحق بالحق أنشأ لي جناح العز والكبرياء . فطِرْتُ بجناحي فلم أبلغ منتهى عزه وكبريائه . فدعوته بالإستغاثة به عنه فيما لا طاقة لي به إلا به . فنظر إليّ بعين الجود فقوّاني بقوّته وزينني وتوّجني بتاج كرامته على رأسي ، وأفردني بفردانيته ووحدني بوحدانيته

---

(١) قال : ناقصة في ح .
(٢) قلت : أنت أفضل ... بك : ناقصة في .
(٣) ح : ولا .
(٤) ح : أنت الحق وإلى الحق يعود الحق ، والحق يسمع الحق ؛ أنت السامع ..

ووصفني [1] بصفاته التي لا يشاركه فيها أحد . ثم قال لي : توحد بوحدانيتي ، وتفرّد بفردانيتي . وارفع رأسك بتاج كرامتي . وتعزز بعزتي . وتجبّر بجبروتي واخرج بصفاتي إلى خلقي أرَ [2] هويتي في هويتك . ومن رآك رآني ، ومن قصدك قصدني – يا نوري في أرضي وزينتي في سمائي . فقلتُ : أنت [3] عيني في عيني وعلمي في جهلي . كن أنت نورك ترَ [4] بك ، لا إله إلا أنت .

فأجابني بلسان الرضا وقال : ما أعلمك عبدي ! قلتُ : أنت العالم وأنت المعلوم ، وأنت المفرد وأنت الفرد [5] ، تفرد بفردانيتك . وتوحّد بوحدانيتك لا تشغلني بك عنك . – انقطع حجّة الله عليّ في فردانيته . وبوحدانيته في وحدانيته . فأقمت معه دون تفردي بفردانيته . فأقمت معه به . في صفاتي بصفاته وسقط اسمي باسمه . وسقط عني أوليته بأوليتي . وآخريتي بآخريته . فنظرتُ إليه بذاته التي لا يراها [6] الواصفون ولا يبلغها العالمون ولا يفهمها العاملون . فنظر إليّ بعين الذات بعد ما سقط اسمي وصفاتي وأوّلي وآخري ونعتي . فدعاني باسمه . وكنّاني بهويته . وناجاني بأحديته . قال : يا أنا . فقلت : يا أنت . فقال لي : يا أنت . فانقطع حجة الله عليّ به ما سمّاني باسم من أسمائه إلا سميته به . وما وصفني بصفة من صفاته إلا وصفته به . فانقطع كل شيء منّي به . فبقيتُ دهراً بلا روح ولا جسم كالميت . ثم إنه أحياني بحياتي بعدما أماتني . فقال : لمن المُلْكُ اليوم ؟ فلما أن أحياني قلت : لله الواحد القهّار . فقال : لمن الإسم ؟ قلت : لله الواحد القهّار . فقال : لمن الحكم اليوم ؟ فقلت : لله

---

(١) ح : ووصف لي .
(٢) ح ، ص : أري .
(٣) أنت : ناقصة في ح .
(٤) ص ، ح : ترى .
(٥) ح : أنت المفرد والمفرد .
(٦) وتوحد ... فردانيته : ناقصة في ح .
(٧) ص ، ح : يراه ، يبلغه الخ .

الواحد القهار . فقال : لمن الإختيار ؟ قلتُ : للربّ[1] الجبار . فقال : أحييتك بحياتي ، وملكتك ملكي ، وسميتك باسمي ، وحكمتك بحكمي ، وأفهمتك اختياري ، ووافقتك بأسماء الربوبية والصفات الأزلية . قلتُ : لا أدري مـــا تريد . كنت لنفسي فلا ترضى ، وكنت لك بلك فلا ترضى . فقال : لا تكن لنفسك ولا لنفسي إني كنت لك حيث لم تكن ، فكن لي حيث لم تكن[2] ، وكن لك حيث كنت ، فكن لي حيث كنت . فقلت : وأنّى لي بذلك إلا بك ! – فنظر إليّ نظرة بعين القدرة . فأعدمني بكونه . وظهر فيّ بذاته . فكنتُ به . فانقطع المناجاة . فصارت الكلمة واحدة ، وصار الكل بالكل واحداً ؛ فقال لي : يا أنت ! فقلت به : يا أنا[3] . فقال لي : أنت الفرد . قلت : أنا الفرد . قال لي : أنت أنت ، قلت : أنا أنا . ولو كنت أنا من حيث أنا لما قلت أنا . فلما أن لم أكن أنا ، فكن أنت أنت . قال : أنا أنا قولي بأنائيته كقولي بهويته (٢٢ب) توحيداً ؛ فصارت صفاتي صفات الربوبية ، ولساني لسان التوحيد ، وصفاتي هي أن هو هو لا إله إلا هو . فكان ما كان بكونه مما قد كان ، وما يكون بكونه يكون ما يكون . صفاتي صفات الربوبية ، وإشاراتي إشارات الأزلية ، ولساني لسان التوحيد .

وحكى فقيهنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الزرجاهي البسطامي رحمه الله قال : سمعت أبا عبد الله الزرجاهي قال : سمعت محمد بن يوسف يقول وهو تلميذ أبي علي الحسين بن عيسى البسطامي : صحبت أبا يزيد ثلاث[4] عشرة سنة فما سمعته تكلم بكلمة . وكان من عادته أن يضع رأسه على ركبته ثم يرفعه ويقول : آه ! ثم يضعه عليها – قلت أنا : كأنه شهده في أيام القبض : ولو شاهده في زمان البسط سمع ما سمع غيره . وللرجال أحوال لا يقف عليها إلا

---

(١) ص ، ح : لرب .

(٢) مكررة في ص .

(٣) فقال لي : يا أنت ... أنا : ناقصة في ح .

(٤) ص ، ح : ثلاثة عشر .

البزّل منهم ومن داوم في صحبتهم وصبر معهم في محبتهم .

وسمعت محمد بن إبراهيم الواعظ يقول : سمعت محمد بن محمد بن علي الفقيه يقول : قرأتُ علي عبد الله بن يوسف قال : سمعت علي بن الحسن بن الدامغاني يقول : سمعت أبا الحسن بن علي بن حنويه (١) يقول : سمعت عمي أبا عمران موسى بن عيسى بن أخي أبي يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان قال : أبي يقول : إن ماحل (٢) العبد بتعظيم أمر الله وتعظيم نهي الله وتعظيم أولياء الله .

وبهذا الإسناد قال أبو يزيد : وسئل عن علامة من يحب الله جلّت عظمته : فهو مشغول ساجداً وراكعاً . فإن عجز عن ذلك استروح إلى ذكر اللسان والثناء . فإن عجز عن ذلك استروح إلى ذكر القلب . فأما من يحبه الله عز وجل أعطاه سخاوة كسخاوة البحر . وشفقة كشفقة الشمس . وتواضعاً كتواضع الأرض .

وسمعت محمداً يقول : سمعت محمداً(٣) يقول : سمعت أحمد بن محمد الصوفي يقول : سمعت أبا موسى عيسى بن محمد بن عيسى بن موسى بن عيسى بن آدم البسطامي يقول . قال أبو موسى الديبْلي : قلت لأبي يزيد البسطامي : فائدةً أخرج بها من عندك ؟ فقال : يا أبا موسى ! أعلم أن فائدة المخلوقين ليست بفائدة .

حدثتني (*) أمّي أنها كانت حاملة بي . فكان إذا (**) قدم إليها القصعة من حلال امتدت يدها فأطالت . وإذا قدم إليها القصعة من حرام فلم تمتد . اجعلها فائدة . وانصرفْ . قال : فجعلتها فائدة وانصرفت .

سمعت مشايخنا يقولون : دفع أبو يزيد فروةً إلى خياطٍ ليصلحها . فخاطها

---

(١) سمعت أبا الحسن بن علي جنويه : ناقصة في ح .

(٢) ح : ماجل – ولم نهتد لكلا الوجهين ؛ وهذه الأخيرة معناها أصل الماء في الجبل أو الوادي .

(٣) ح ، ص : محمد .

(*) حدثتني ... فكان : إلى هنا ما ورد متقدماً في مخطوط بغداد في غير موضعه ورقة ٢٢ ب من تلك المخطوطة .

(**) من هنا إلى قوله : أن يتكى ، إلى ذلك (ص ١٨١ س ١١ بعد) ناقص في مخطوطة بغداد .

وحملها إليه . فلما مات رؤى في المنام وسئل : كيف كان حاله عند السؤال ؟ فقال : جاء الرجل فقالوا : من ربك ؟ فقلت : ألمثلي يسأل (ح : ١٤٢) عن هذا وأنا قد حملت فرو أبي يزيد على عاتقي ؟! فقال بعضهم لبعض : تعالوا نذهب ! فلا يجيء من هذا شيء .

وسمعت محمد بن أحمد الواعظ قال : سمعت أبا الفضل الزاهد قال : بلغنا أن أبا يزيد رحمه الله قال : خرجت إلى الصحراء فرأيت وقد مطر العشب(١) فغاصت رجلي فيه كما يغوص الثلج .

وبه . قال : قال أبو يزيد : إن أهل الحج يطوفون حول البيت ، فيطلبون البقاء ، وأهل المحبة يطوفون حول العرش يطلبون اللقاء .

وبه . قال أبو يزيد : اللهم مَن فعل بي سوءاً وقولاً فاجمع عليه من نِعَمك كما تهب الريح فيجتمع الثلج في الوادي .

وبه . قال أبو يزيد : من يهتد إلى بيت نفسه فلا يسعه أن يذكر حرشة .

قال : وسمعت محمد المقري الدامغاني المعروف بيشمنوان رحمه الله قال : سمعت علي بن محمد الدهقان — وهو عالم زاهد صوفي ، — رحمة الله عليه — يقول : رأى أبو يزيد — قدس الله روحه — تفاحاً أحمر مليحاً . فقال : تفاح لطيف . قال . فقيل له : يا أبا يزيد ! أما استحييت أن تضع اسمي على ثمرة . قال : فنسي اسم الأكبر أربعين يوماً . قال : إلهي ! نذرت أن لا آكل من بسطام ما عشتُ .

وبه . قال أبو يزيد : من يهتد إلى بيت نفسه فلا يسعه أن يذكر حديثه(٢) .

وبه . قال : يحكى أن أبا يزيد قال لأصحابه ذات يوم : قمت(٣) البارحة

---

(١) ح : العشق .
(٢) كذا وردت هذه الرواية الثانية .
(٣) ح : فقمت .

وأنا أريد أن أذكر الله تعالى فلم يمكني ذلك . وذلك أنه جاءتني وَحْشَة كلمة قلتها في (١٤٣) صباي . فقلت : كيف أذكر بلسان جرى عليه ما جرى ،

وسمعت شيخ المشايخ أبا عبد الله الداستاني — رحمة الله عليه — قال : سمعنا المتقدمين يقولون : إن أبا يزيد — رحمة الله عليه — قال : هذا الحديث — يعني : حديث الله كاتيان الثلج في الصيف — وجوده غريب وبقاؤه أغرب .

وسمعت شيخ المشايخ يقول : سمعنا المتقدمين يحكون عن أبي يزيد رضي الله عنه أنه قال : لا أحد يدخل فيحسن أن يقول من هذا الباب ، ولا أحد يدخل فيحسن أن يسمع من هذا الباب ، فيشق على المريض أن يحتاج أن يفعل بنفسه ويأكل بنفسه .

وسمعته أيضاً يقول : سمعنا المتقدمين قالوا : قال أبو يزيد : ما تقول فيمن أعطى أمْنَتَين : إن شاء أن يتكيء إلى هذا ، وإن شاء أن يتكيء إلى ذلك .

وقال شيخ المشايخ في عقب هذا الكلام : ما تقول فيمن أعطى محرابين : إن شاء قام في هذا . وإن شاء قام في ذلك ! ثم قال شيخ المشايخ : ذاك مقامان [2] أحدهما مقام المرادية . والثاني مقام الفتوة . وقال [3] شيخ المشايخ : وأول من نالها وبلغها من جملة أولياء الله تعالى كان أبا يزيد [4] ثم أبا العباس القصاب . وقد كان هو ثالثهما قدس الله أرواحهم .

وسمعت شيخ المشايخ يقول : كان أبو يزيد يتكلم من مقاماته العالية

---

(١) آخر النقص في مخطوط بغداد .

(٢) ص ، ح : مقامين .

(٣) ح : مقام الفتوة . لا مقام عند شيخ المشايخ رحمه الله أعلى من درجة الفتوة ، وأول من نالها .

(٤) ص ، ح : أبو يزيد .

(*) يسبق هذا سطر زائد لا موضع له في مخطوط بغداد ؛ وما قبله في مخطوط بغداد هو الذي أوردناه من قبل حتى قوله : « ولست لغرض ما حييت بتاركه » ص ١٤٨ .

ودرجاته الرفيعة فبلغ ذلك بعض الناس فقال : غير جدير أن يكون . فأخبر أبو يزيد بذلك فأجاب : قال له أكنت أنت جديراً بالكون ؟ !

وسمعت أبا إسحق يعقوب علي الصوفي السرخسي قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن الفرج الحلبي قال : سمعت أبا بكر بن إدريس يقول : سمعت عَمّويه يقول : سمعت أبا يزيد يقول : في الطاعات من الآفات مالا تحتاجون أن تطالبوا [1] المعاصي .

قال : وسمعت أبا يزيد يقول : ذكر الله باللسان غفلة .

وسمعت شيخ المشايخ أبا عبد الله محمد بن علي البسطامي يقول : سمعنا المتقدمين يقولون إن أبا يزيد قال : إذا أمر الأستاذ التلميذ أمراً من أمور الدنيا وبعثه في إصلاحه . فيقيم مؤذن في بعض طرقاته على مسجد من المساجد . فيقول أدخل أولاً المسجد وأصلي ثم أكون وراء ما بعثني إليه — فقد وقع في بئر لا يتبين أسفلها — يعني ليس لها مقر .

وسمعت أبا القاسم الحسين بن محمد بن شبيب قال : حدثنا اسحق بن إبراهيم بن محمد السرخسي قال : سمعت محمد بن الفضل الوراق قال : سمعت شيخاً بخارياً بمرو الروذ قال : سئل أبو يزيد البسطامي فقيل له : إن الناس يقولون إن شهادة «أن لا إله إلا الله» مفتاح الجنة . فقال : صدقوا . ولكن لا يفتح المفتاح بغير مغلاق ؛ ومغلاق لا إله إلا الله أربعة أشياء : لسان بغير كذب ولا غيبة . وقلب بغير مكر ولا خيانة ، وبطن بغير حرام ولا شبهة ، وعمل بغير هوى ولا بدعة .

وسمعت أبا القاسم المظفر بن محمد البستي قال : سمعت محمد بن الحسين السلمي ؛ قال : سمعت منصور بن عبد الله قال : سمعت عُميّ البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد قدس الله روحه يقول : حسبُك من التوكل

---

(١) ص ، ح : تطلبون .

أن لا ترى لنفسك (٣٩ب) ناصراً غيره ، ولا لرزقك خازناً غيره ، ولا لعملك شاهداً غيره .

وسمعت أبا القاسم قال : سمعت محمد بن الحسين قال : قال [1] أبو يزيد : الخلق يظنون [2] أن الطريق إلى الله أشهر من الشمس وأبين منها . وإنما سؤالي [3] منه أن يفتح عليّ من الطريق إليه ولو مقدار رأس إبرة .

وبه قال : قيل لأبي يزيد : ما أعظم آيات العارف؟ فقال : أن تراه يؤاكلك ويشاربك [4] ويمازجك ويبايعك [5] وقلبه في ملكوت القدس . هذا أعظم الآيات

وبه قال : قال أبو يزيد : مَن صدق في عين الجمع بالحرية كان لازماً بجوارحه على آداب العبودية وسره في مشاهدة الحق . فإن كان في عين الإفتراق ، فإنه يجمع جهد المجتهدين في عبوديته ويكون ذلك كالهباء .

وبه قال : قيل لأبي يزيد : متى يبلغُ الرجلُ مقام الرجال في هذا الأمر ؟ قال : إذا عرف عيوب نفسه . وقويت هِمتُهُ عليها .

وسمعت شيخ المشايخ أبا عبد الله الداستاني رحمه الله [6] روى عن مشايخه عن أبي يزيد — قدس اللهُ سِرَّه [7] — أنه قال : نِعْمَ ما تعلم أنك الرجل السوء ولكن إذا صوفحت وسئلت . فتقع في التُّهمَة .

وسمعت أبا علي الحسن بن أحمد المعبر يقول : سمعت أبا القاسم الحسن

---

(١) ص : أبا يزيد .
(٢) ص : يضنون .
(٣) ح : بوالي .
(٤) ح : يشارلا — وهو تحريف ظاهر ، أو هو يشاركك .
(٥) ح : ويبايعك ويشاربك .
(٦) الداستاني رحمه الله : ناقصة في ص .
(٧) ح : روحه .

بن محمد بن حبيب قال : حدثنا أبو الحسن عبد الله بن موسى السّلامي بهراة (١) قال : حدثنا أحمد بن يعقوب البسطامي قال : حدثنا خلف بن عمرو . قال : سمعت أبا يزيد يقول : جنّني بي فمِتُّ . ثم جنّني به فعشْتُ . ثم جنّني عنّي وعنه فغبتُ . ثم أوقفني في درجة الصحو وسألني أحوالي . فقلت : الجنون بي فناء . والجنون بك بقاء . والجنون عني وعنك ضياء . وأنت في كل الأحوال أولى بناء .

سمعت أبا عبد الله الشيرازي الصوفي (٢) : سمعت أبا النجم البردعي بشهكور قال : سمعت القنّاد يقول : سمعت الجنيد بن محمد يقول : الناس يرتاضون في ميادينهم . فإذا بلغوا ميدان أبي يزيد هملجوا (٣) .

وسمعت أبا عبد الله قال : حدثني عيسى بن نزول القزويني قال : أخبرنا أبو بكر الصبّاح يقول : حدثني أبو جعفر الفرغاني قال : سمعت أبا موسى الدبيلي يقول : سألتُ أبا يزيد البسطامي عن حقيقة التصوف فقال : التصوف نور شعشعاني رمقته الأبصار فلاحظها .

وسمعت محمد بن إبراهيم الواعظ يقول : سمعت محمد بن محمد الفقيه بن سليمان يقول : سمعت أبا القاسم إبراهيم بن محمد قال . قال أبو يزيد البسطامي (٤) النفس تنظر إلى الدنيا والروح تنظر إلى العقبى . والمعرفة (٥) تنظر إلى المولى . فمنْ غلبت نفسُه عليه فهو من الهالكين . ومن غلبت روحُه عليه فهو من المجتهدين ؛ ومن غلبت معرفتُه عليه فهو من المتّقين .

وسمعت أحمد بن محمد يقول : سمعت أبا موسى عيسى بن محمد بن عيسى

---

(١) بهراة : ناقصة في ص .
(٢) ح : الصوفي ، رحمة الله عليه .
(٣) ح : مهلجوا . وهملج : حسن سيره ؛ مشى مشية سهلة في سرعة .
(٤) البسطامي : ناقصة في ح .
(٥) إلى الدنيا ... والمعرفة : ناقصة في ح .

بن موسى بن عيسى بن آدم البسطامي قال : حكى عن (١) أبي يزيد أنه قال : أراد موسى عليه السلام أن يرى الله تعالى وأنا ما أردت أن أرى الله : هو أراد أن يراني .

قال : وقال الحسن بن علوية : ذهب أبو يزيد إلى مكة مع واحدٍ من تلامذته (٢) . فلما دخل المدينة جاءت (٣) مكة إلى المدينة فطافت حوالي أبي يزيد فغشي على تلميذه ووقع على الأرض . فلما أفاق مسح رأسه وقال : تعجبت ! فقال : نعم ! قال : والله إن جاءت (٣) إليَّ (٤) بسطام لكانت مقصرة في حقي .

قال : وسمعت خالي رحمه الله يقول : قال (٥) الحسن بن علوية : خرج أبو يزيد لزيارة أخٍ له ببلخ . فلما وصل إلى نهر جيحون – يعني بعد قصده الرجل الذي سكن بلخ – وراء بلخ التقى به حافتا النهر . فقال : سيدي ! إيش هذا المكر الخفي ؟ وعزتك يا عزيزي ما عبدتك لهذا ! (١٣٥ ا) وعزتك ما أردتُ هذا . ثم رجع ولم يعبر .

وسمعت بعض إخواننا من الصالحين رحمه الله قال : سمعت بعض الشيوخ يحكي أن أبا يزيد البسطامي قصد في بدء أمره زيارة رجل من القوم . ومشى إليه مسيرة سبعمائة فرسخ فلما رآه وجده سميناً . فندم على القدوم عليه . فتوسم الرجل منه ذلك ، فقال له . يا أبا يزيد ! لا تُفْسِد (٦) مسيرك إليَّ سبعمائة فرسخ . فإن سِمَنِي من فَرَحِي به .

قلتُ أنا : سألني بعضُ المنكرين كيفية قول الشيخ السيد (٧) أبي يزيد

---

(١) ص ، ح : من .
(٢) ح : تلامذة .
(٣) ص ، ح : جاء .
(٤) ص : بسطامي .
(٥) قال : ناقصة في ح .
(٦) ص : لا تفد .
(٧) السيد : ناقصة في ص .

قدس الله روحه : سبحاني ! سبحاني ! ما أعظم شأني ! فأجبته على حسب عقلي : قوله « سبحاني » كقوله : خالقي ورازقي ، وألقى إضافة إلى نفسه : « وما أعظم شأني [1] » ! إذ أنت سبحاني – يعني : أنت لي .

وحقيقة [2] قوله (و) : « سبحاني » أعظم من أن يُفَهِّمه مُفَهِّم أو يعلمه عالم إلا بعد فنائه [3] عن نفسه بكليته حتى يبقى الحق [4] بالحق مع الحق . فهي إشارة منه به إليه . وتلك إشارة إلى تنزيه الرجال بعد إدراك الكمال ونهاية الجمال وغاية الجلال والقرار على حال ليس وراءها حال .

وحكى بعض أصدقائنا يقال له أبو العلاء ابن أبي الفضل الشاور أبادي رحمه الله . قال : حضرت يوماً من الأيام مشهد الشيخ سلطان العارفين أبي يزيد قدس الله روحه العزيز . فإذا بعصفور يريد أن يصطاد نملة . وكان يسير مسرعاً ليدركها حتى قرب من القبر . فلما بلغ قريباً من القبر انصرف عنها وتركها . – علمتُ أنه تركها حرمة وحشمة لذلك الشيخ . فتعجبت منه . والله أعلم بالصواب .

[تم الكتاب بعون الله تعالى الملك الغفور – المسمى بكتاب
النور من كلمات [5] أبي طيفور . رحم الله جميع
الأولياء . إلى أرواحهم الفاتحة .]

وهنا يرد في نسخة حلب ما يلي : ويجوز أن يكون إضافة جديدة للكتاب الأصلي بدليل إشارته إلى كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم وأنه أخذها عنه : –

وسمعت أبا الحسن علي بن نصر اللبان الدينوري العدل الثقة رحمه الله قال : حدثنا الشيخ أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصفهاني يقول : سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول : سمعت أبا

---

(١) فأجبته ... شأني : ناقصة في ص .
(٢) ص : وحقيقته .
(٣) ح : من .
(٤) ح : ص : بقي : بقي للحق .
(٥) ص : أبـو .

الحسن المروزي (١) يقول : سمعت امرأة أبي يزيد البسطامي قالت : سمعت أبا يزيد يقول : عالجت كل شيء فما عالجت أصعب من معالجة نفسي ، وما شيء أهون علي منها .

وسمعت أبا الحسن المروزي (١) يقول : سمعت امرأة أبي يزيد قالت : سمعت أبا يزيد رحمه الله يقول : دعوت نفسي فأبت علي واستعصت ، فتركتها ومضيت إلى الله تعالى .

هاتان الحكايتان (٢) المرويتان عن امرأة أبا يزيد (مما) أدرك الشيخ أبو نعيم أحمد (ح : ١٥٠) بن عبدالله بن أحمد الأصفهاني رحمة الله عليه في كتابه المسمى « بحلية الأولياء وطبقة الأصفياء » (فيها) إثبات الزوجة لأبي يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامي قدس الله روحه ونور ضريحه .

][تم الوصايا بعون واهب العطايا في شهر جمادي الأول سنة ١٢٣٩ . اللهم اغفر لكاتبه ولناظمه ولصاحبه ولمن نظر فيه ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات . اللهم ، برحمتك يا رب . وصلى الله عليه وسلم ، وعلى آله أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

حرره العبد الفقير إليه تعالى عبد الوهاب طبار الكيالي الحلبي][.

ثم ختم يقرأ هكذا : « عهدة لويز ماسينيون » .

---

(١) ح : الروزي .
(٢) ح : هذه الحكاية المرويتين .

رسالة لعبد الغني النابلسي في حكم شطح الولي

من المجموع رقم ٤٠٠٨ عام بالظاهرية بدمشق

(١٥٢ أ) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحافظ من الضلال في جميع الأقوال والأفعال ، لمن حققه بمعرفة نفسه في ربّه ذي الإكرام والجلال ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أنزل عليه القرآن هدى للناس في سائر الأحوال ، وعلى آله وأصحابه أفضل أصحاب وأكمل آل . وعلى التابعين وتابعي التابعين من الأولياء الوارثين والعارفين المحققين من الرجال . أما بعد :

فيقول العبد الفقير إلى مولاه الخبير ، عبد الغني المدرس في المقام الخاتمي ، والمنزل الخاتمي ، جامع الشيخ الأكبر ، خطيب العلوم الإلهية على أوج المنبر ، حققه الله تعالى بحقائق العرفان ، وأمدّه ببدائع الكشف والبيان .

وجدت رسالة اسمها : « المسلك الجلي في حكم شطح الولي » للشيخ الإمام العلامة العمدة المحقق المدقق الفهامة الملاّ إبراهيم الكوراني المدني — رحمه الله تعالى — أجاب بها عن سؤال ورد عليه من بعض جزائر جاوه من أقصى بلاد الهند في سنة ست وثمانين وألف ، حاصله : : « أيد الله تعالى العلماء أهلَ التحقيق وهدي بهم الطالبين سواء الطريق : ماذا يقولون في قول بعض أهل جاوة ، ممن يُنْتَسَب إلى العلم والورع : إن الله تعالى نفسُنا ووجودُنا ، ونحن نفسُه ووجودُه هل له تأويل صحيح كما قال بعضُ أهل جاوة ، أوهو كفر صريح كما يقوله بعض العلماء الواردين إلينا ممن يُثْنَى عليه بأنه عالم بالعلم الظاهر والباطن !

بيّنوا لنا ما هو الحق بمقتضى قواعد الشرع والتحقيق . أجزل الله لكم الثواب . وأدام لكم الإمداد والتوفيق » — إلى هنا صورة السؤال .

وقد أجاب الملاّ إبراهيم المذكور رحمه الله تعالى عن ذلك بما فتح له . سالكاً أحسن المسالك . ونحن الآن نجيب بما يفيض الله تعالى علينا من البيان . بتجلي اسم الله تعالى المؤمن والنظر بنور الإيمان .

اعلموا يا أخواني أن الله تعالى أرسل إلينا — معشر بني آدم — من جنسنا ؛ وأنزل الكتب والصحف عليهم بالوحي . لنتبع أقوالهم . ونقتدي بأفعالهم وأحوالهم . ولا نتبع العقول ولا الأفكار . ولا يبقى لنا دليل في ديننا إلا ما ورد إلينا من كلام الله تعالى وكلام أنبيائه ورسله . ولا نعتبر غير ذلك . وقد أرسل الله تعالى إلينا محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين . عليه صلاة الله تعالى وسلامه وعليهم أجمعين . وأنزل الله تعالى عليه القرآن العظيم وهو الفرقان النظيم . قال تعالى : « طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى [1] » وقال تعالى : « تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً [2] » . فالقرآن هو مقام الجمع ، والفرقان مقام الفرق ؛ والجمع هو الفرق . والفرق هو الجمع : والفرق والجمع هو القرآن وهو الفرقان . وهو العين الواحدة . وهو العيون الكثيرة . قال الله تعالى : « بل الذين كفروا في تكذيب . والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » [3] . فهذا هو الذي من ورائهم محيط بهم . قال سبحانه : والله « بكل شيء محيط [4] » . والمحيط غير المحاط به . قد أخبرنا تعالى بأن كل شيء هالك إلا وجهه . « وكل مَنْ عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام [5] » . وقال تعالى : « أينما تولوا فثم وجه الله [6] » ، أي ذاته العلية .

---

(١) سورة طه : ١ — ٢ .

(٢) سو الفرقان : ١ .

(٣) سورة البروج : ١٩ — ٢٠ .

(٤) سورة فصلت : ٥٤ .

(٥) سورة الرحمن : ٢٦ — ٢٧ .

(٦) سورة البقرة : ١٠٩ .

ولا يذهب أحد إلى أن القرآن لا ينظر في معانيه أحد إلا المجتهد ، فيمنع الناس عن الإنتفاع بكلام ربهم ، ويتذكرون به ربهم تعالى ؛ قال تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مُدّكر (١) ؟ ! » قالها أربع مرات في سورة « القمر » ؛ فالقرآن ميَسَّر — يعني معانيه — على كل حال للمؤمنين به ، خصوصاً في تذكير الرب به وبما فيه من الأسرار الإلهية والأنوار الرحمانية ؛ ولا يمنع منه أحد لأنه حبل الله المتين ، ونور الله المبين . وقد اشترط العلماء الإجتهاد في الإعتقاد . واختلفوا في صحة إيمان المقلد . وليس مرادهم اجتهاد الفقهاء في فروع الأحكام . فإن ذلك الإجتهاد له شروط في أصول الفقه ؛ وإنما المراد هنا معرفة الله تعالى بالنظر في كتاب الله . وفي سُنّة نبيه عليه السلام . ولا منع لأحد من ذلك لتصحيح إيمانه ؛ وإنما الممنوع منه شرعاً نظرهم بالعقول وإقامة الأدلة العقلية على اعتقادهم في حق الله تعالى وما يجب عليه . وما يستحيل عليه . وما يجوز في حقه سبحانه . فإن القرآن والسُّنة كافية في ذلك لكل من آمن بهما وأسلم لهما . والأنظار العقلية في معرفة الله تعالى هي شأن من لم يؤمن بالقرآن ولا بالسُّنة المحمدية . وأما المؤمن بذلك فلا يمكنه شرعاً إلا متابعة ما جاء في القرآن والسنة من ذكر الله تعالى . وذكر أوصافه وأسمائه . ولو كانت العقول كافية في المعرفة الإلهية شرعاً ما كان الله تعالى أرسل الرُّسُل وأنزل الكتب . فإن العقول مخلوقة قاصرة عن معرفة الرب القديم سبحانه . ولهذا لما كذّبت الأمم الماضون أنبياءهم ورُسُلَهم وكفروا بالكتب والصحف المنزلة ما بقي لهم ما يعتمدون عليه في معرفة ربهم إلا عقولهم ؛ فتبعوا عقولهم ، ونظروا بها ؛ فعبدوا الكواكب وعبدوا النار والعجل وعبدوا الأصنام ؛ وعبدت الفلاسفة علة العالم ، وفرعوا الأنظار العقلية ، وعملوا الهيئة الكونية بأدلة عقولهم النظرية ؛ وصنعوا للعقل ميزاناً يزنون به مدركاتهم الفكرية . وتبعهم على ذلك كثير من المسلمين . وتركوا النظر في القرآن والسُّنة المحمدية كما قال تعالى في شأن أمثالهم من أهل الكتاب : « ولما جاءهم رسول من عند الله مُصَدِّق لما معهم نَبَذَ فريقٌ

---

(١) سورة القمر : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ .

من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله (١٥٢ ب) وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلْكِ سليمان [١] » .

والحاصل أن عمدتنا وعُدَّتنا هو التمسك بالقرآن العظيم وسُنَّة نبي الله الكريم في معرفتنا بربنا . وإطلاق ما أطلقه على نفسه في كلامه القديم وما أطلقه عليه نبيه البَرّ الرحيم . أما الله تعالى فإنه قال في القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد : « إن الذين يبايعون الله . يد الله فوق أيديهم [٢] » . فقد أخبر تعالى أن نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم هو الله تعالى وتَقَدَّس . وبَيْعته بَيْعة الله . ويده التي مُدَّت للبيعة هي يد الله تعالى كما سمعت من الآية الشريفة . ولولا أنه — صلى الله عليه وسلم — على معرفة من ربه حقيقية . ما قال عنه تعالى ذلك القول . ولهذا قال البيضاوي : لأنه — أي الله تعالى — هو المقصود ببيعته . أي ببيعة النبي (ص) . ولولا جواز إطلاق ذلك على الله تعالى ما قاله تعالى وأطلقه في كلامه القديم . ولا عبرة عندنا بإنكار العقلاء لذلك . واحتجاجهم علينا بالأدلة العقلية . لأن شرعنا كلّه حق . وهو كلام الله تعالى . وكلام رسوله (ص) ؛ ودِيننا هو دين القرآن . ولا دين العقول .

وقال الله تعالى أيضاً : « وهل أتاك حديث موسى ؟ إذ رأى ناراً فقال لأهله : امكثوا ! إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقَبَس [٣] » — يعني إن كانت ناراً كما هي ظاهرة لي أظهرَها في عيني مُقلِّب القلوب والأبصار . « أو أجد على النار » — بطريق الاستيلاء الحقيقي — « هدى » — أي اهتداء إلى وجه الله تعالى الحقيقي . « فلما أتاها نودي يا موسى : إني أنا رَبُّكَ » — وهذا هو الهدى الذي كان يتوقعه موسى عليه السلام لمعرفته بأن الله تعالى يظهر على حسب ما يريد . وما في العالم كلها سواه . وهو الذي يقلِّب القلوب والأبصار ، وهو نفس

---

(١) سورة البقرة : ٩٥ — ٩٦ .

(٢) سورة الفتح : ١٠ .

(٣) سورة طه : ٨ — ١٤ .

القلوب والأبصار . إذا أراد أن يظهر فأن يظهر بما شاء أن يظهر . ثم قال تعالى لموسى عليه السلام حين ظهر له وأخفي سبحانه صورة النار : « فاخلع نعليك » — أي صورتك الظاهره وصورتك الباطنة . يعني جسمك وروحك ، فلا تنظر إليهما لأنهما نعلاك اللذان (١) تمشي بهما في عالم الأغيار — « إنك بالوادي المقدس » وهو الذات الوجود الحق المقدس عن كل شيء محسوس أو معقول — « طُوي » — لانطواء العوالم كلها فيه واختفائها في وجوده ولانعدامها في حقيقته .

ثم قال لموسى عليه السلام : « وأنا اخترتك لنفسي » — بأن تكون أنا وأكون أنا أنت . « فاستمع لما يوحى » إليك مني . وهذا نظير حديث الإنسان الغافل لنفسه يحدثها وتحدثه . ثم أكد الله تعالى هذا الظهور المذكور في أعيان العوالم كلها عند من اختص بالتحقيق بذلك فقال : « إنني أنا الله الذي لا إله إلا أنا » . ثم إنه تعالى أخرجه من ذلك الطور وأرجعه إلى صبغته بالصورة الموسويه فقال له : « فاعبدني وأقم الصلاة لذكري » - أي لأجل هذا التذكر الذي تحققته مني بأنك أنت أنا . وأنا أنت . وهو قوله تعالى : « ولقد يَسّرْنا القرآن للذكر » — أي للتذكر . « فهل من مُدّكر ! » أي متذكر . أي يذكر الله تعالى في نفسه هذا الذكر بحيث يغيب عن صورته . ويرجع إلى أمر ربه الذي هو حقيقة خلقته . فيظهر من لم يزل . ويفنى من لم يكن . وقال تعالى : « أولَم نُعَمّرْكم » —أي نطيل أعماركم في الدنيا . « ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير (٢) » . وقال تعالى : « ولذكر الله أكبر (٣) » . أي ذكره لكم بظهوره وبطونكم . وقال الله تعالى لموسى عليه السلام : « وألقيتُ عليك محبةً مني . ولتُصْنَعَ على عيني (٤) » : أي ذاتي فأظهر بك وتغيب أنت . وتظهر أنت وأغيب أنا ؛ وما

---

(١) ص : اللذين .

(٢) سورة الملائكة : ٣٢ .

(٣) سورة العنكبوت : ٤٣ .

(٤) سورة طه : ٣٩ .

هما اثنان . بل عين واحدة . وقال تعالى له : « واصطنعتك لنفسي [1] » — أي لأذهب عنك عينك الفانية . وأرى بك عيني الباقية . وقال تعالى : « إن الموت الذي تفرّون منه فإنهُ ملاقيكم [2] » — أي حاضر فيكم كما قال تعالى : « إنك ميت وإنهم ميتون [3] » . وقال تعالى : « أموات غير أحياء [4] » ولكن لا يشعرون ثم قال تعالى بعد الآية الأولى : « ثم تُرَدُّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » — أي تعملون بأنفسكم أو بالله . فمعنى ردكم إليه رجوع أعينكم الكثيرة إلى عينه الواحدة . وقال تعالى : « فاعلم أنه » — أي الشأن : « لا إله إلا الله » — أي لا وجود إلا الله . « واستغفر لذنبك [5] » وذنبه (ص) هو ما يغادره على قلبه . ولهذا كان يستغفر الله سبعين مرة في كل يوم وليلة كما قال (ص) . وإشارات القرآن في عين ما نريده مما نشير إليه كثيرة جداً عند من يدعو إلى الله[6] على بصيرة . قال تعالى لنبينا محمد (ص) : « قل » يا محمد ! هذه « سبيلي » . أي طريقي في رجوع الأعيان الكثيرة إلى العين الواحدة . وذلك رجوع الكثرة إلى الوحدة . وهو التوحيد الحقيقي والإيمان الكامل — « أدعو إلى الله » . أي أرجع كل حادثة إلى عينه القديمة . « على بصيرة » — أي معرفة تامة حقيقية : « أنا ومن أتبعني » . فورث علومي الحقيقية لا الخيالية . « وسبحان الله وما أنا من المشركين [7] » . أي الذين ألهاهم التكاثر . أي الكثرة عن الوحدة . حتى زاروا المقابر . أي ماتوا على كثرة أعيانهم ولم يرجعوها إلى العين الواحدة .

ثم إن الله تعالى جمع الكل وحقق عينه الواحدة . وأبطل كل عين سواها . وأرجع ذلك إلى عينه الواحدة . فقال عز وجل : « هو » . أي الله تعالى : «الأول

---

(١) طه : ٤٣ .
(٢) سورة الجمعة : ٨ .
(٣) سورة الزمر : ٣١ .
(٤) سورة النحل : ٢١ .
(٥) سورة محمد : ٢١ .
(٦) غير واضحة في النص .
(٧) سورة يوسف : ١٠٨ .

أي كل أول به ، « والآخر » ، أي كل آخر ؛ « والظاهر » ، أي كل ظاهر ، « والباطن [1] » — أي كل (١٥٣ ا) باطن ؛ فإن كل عين ظاهرة وكل عين باطنة هي عين الله تعالى لا غير .

وأما أهل التأويل في هذه الآيات المنزلة على قلب نبينا والرسول إلينا بوحي جبريل عليهما الصلاة والسلام فقد قال تعالى : « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه [2] » — أي من الذي اشتبه عليهم لوقوفهم عند مدارك العقول وعدم ترقيهم إلى أسرار النقول وبعد نقول الكتاب والسنة الميسّرة بتيسير الله تعالى كما قال سبحانه أربع مرات في سورة القمر : « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر ؟ ! » وهم يفسرون ذلك ردّاً على الله تعالى في صحيح قوله الحق . ثم قال : « ابتغاء الفتنة » — وهم فرقة منهم يحملون الآيات القرآنية على تفهم عقولهم وتحسين آرائهم . ولم يصبروا بالتقوى والإخلاص حتى تتكشف لهم الأسرار وتشرق عليهم الأنوار . قال تعالى : واتقوا الله . ويعلمكم الله . والله بكل شيء عليم . و « كل شيء هالك إلا وجهه » [3] ؛ فكل شيء وجهه تعالى . ووجهه ذاته العلية المنزّهة عن كل شيء هالك . وابتغاء الفتنة هو تجسيم الله تعالى واعتقاد أنه جسم جالس على عرشه . والله غني عن العالمين .

ثم قال تعالى : « وابتغاء تأويله» — وهو تحريف الكلام العربي وردّه إلى المعاني العقلية . فابتغاء الفتنة فهم العقول لذلك الكلام الإلهي الحق بما يعرف في الحس من المحسوسات . وابتغاء تأويله فهم العقول لذلك الكلام الإلهي بما يعرف في العقل من المعنويات . والكل باطل لأن الله تعالى ذم أهل التأويل وأخبر عنهم بالزيغ عن الحق . وقال تعالى بعده : « وما يعلم تأويله إلا الله » . لأن تأويله الله لا غيره . ثم قال تعالى : « والراسخون في العلم » — الإلهي — « يقولون آمنا »

---

(١) سورة الحديد : ٣ .

(٢) سورة آل عمران : ٥ .

(٣) القصص ٨٨ .

ـ يعني بإيمان الله تعالى المؤمن ـ « كلٌ » ـ أي جميع الأعيان ـ « من عند ربّنا » ـ أي هي راجعة إليه منه بدأ الأمر وإليه يعود : « وما يتذكر » ـ بإرجاع الكل إليه تعالى ـ « إلا أولو الألباب » أي أصحاب كل شيء . وكل شيء هالك إلا وجهه . أي أولى الوجه . يعني الذات الإلهية . وملخص الأمر كما نقل عن أبي القاسم الجنيد قدس الله سرّه أنه كان يقول : والله والله ما عرف الله إلا الله . فالله تعالى يعرف نفسه . ويستحيل أن يعرفه غيره . جل وعلا ؛ وإنما عند الكل معانٍ [1] عقلية وعبارات لفظية . والعجز عن الإدراك إدراك .

وإنما الحق علم الله تعالى الذي يعلمه للمتّقين المطيعين لأوامره . المجتنبين لنواهيه ، وغيرهم يلزمه الإيمان بالغيب والإسلام للغيب حتى يرزقهم سبحانه التقوى فيعلمهم من علمه القديم .

فإذا علمت هذا الذي ذكرناه . فاعلم أن جوابنا عن السؤال المذكور أن هذا القائل من أهل جاوة يقول إن الله تعالى نفسُنا ووجودنا . ونحن نفسُه ووجوده فإن كان خرج عن طوره الأول وطوره الثاني وطوره الثالث ووصل إلى طوره الرابع . فإن الطور الأول هو الأغيار ـ يعني غير الله تعالى كما قال تعالى ـ ؛ والطور الثاني هو الأفعال ـ يعني صار كله أفعال الله تعالى : ظاهرُه وباطنُه ؛ والطور الثالث هو صفات الله تعالى وأسماؤه ؛ والطور الرابع هو ذاته تعالى كما قال تعالى : « لتركبنّ طبقاً عن طبق [2] » . فتخرجون من طبق الأغيار فلا يبقى أحدٌ منكم غيراً لدخولكم في طبق الأفعال . فتصيرون أفعال الله تعالى كما قال تعالى : « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة [3] » ، وهي النفس الواحدة والعين الواحدة ، ثم تخرجون من طبق الأفعال فتدخلون طبق الصفات الإلهية

---

(١) ص : معاني .

(٢) سورة الانشقاق : ١٩ .

(٣) سورة لقمان : ٢٧ .

والأسماء الربّانية ، ثم لا تبقى منكم بقية وتصيرون في الطبق الرابع . قال تعالى : « وأنّ إلى ربك المنتهى [1] » .

فهذا القائل للكلام المذكور إن صدق في نفسه وركب هذه الأطباق طبقاً عن طبق فقد صدق ، فهو ... ... [2] موحد بالتوحيد ، وهو وارث محمدي ؛ وإن كان باقياً في طور الأغيار ولم يخرج عن الطبق الأول وقال ذلك القول فهو كافر بالله تعالى كما قال تعالى : « ويحذركم الله نفسه [3] » — أن تدّعوا خلاف ما أنتم عليه من الغيرية . والله رؤوف بالعباد . لأنكم حينئذ عباد الله . لا نفس الله . فاحذروا الله : لا تقولوا عن غيره إنه هو الله . ولا عن أنفسكم إنها هي الله فإنكم تكذبون . وأما إذا خرج عن طور الأغيار . ودخل في طور أفعال الله تعالى فإنه ساقط التكليف لغيبته وسكره وعدم عقله وامحاء إدراكه . وإذا خرج عن طور الأفعال الإلهية ودخل في طور الصفات والأسماء الربّانية فهو الوارث للأنبياء عليهم السلام . فله مرتبة معلومة . وليس هو من ورثة محمد (ص) في المقام الذاتي فإن صاحب الوراثة المحمدية هو خاتم الأولياء في زمانه . كما أن نبيه محمداً (ص) خاتم الأنبياء فلا نبيّ بعده ؛ وفي كل زمان لله تعالى أولياء بعدد الأنبياء المتقدمين . ولهم خاتم لولاياتهم وارث محمدي ذاتي المقام . والله الأعلم بالحق والصواب بين الأنام .

وهذا الذي كتبناه من فيض الوارد الرحماني والفاتح الربّاني . فمن آمن به وصدق . فهو عند الله تعالى من المؤمنين الصادقين ؛ ومن جحد وأنكر . فحسابه عند رب العالمين .

فرغ ما جرى به قلم الإمداد . ورسمه في الطرس روح الإستعداد ، بصورة إسم عبد الغني في عشية نهار الجمعة الثالث عشر من شعبان لسنة تسع وثلاثين ومائة وألف .

---

(١) سورة النجم : ٤٢ .

(٢) بالهامش ، وموضعه كلمتان غير مقروئتين .

(٣) آل عمران : ٢٧ .

ملحق نصوص غير منشورة

خاصة بأبي يزيد البسطامي

— ١ —

« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي

مخطوط رقم ١٥٠٥ بالمكتبة الأهلية بباريس

تحت سنة ٢٦١ هـ : ورقة ١٩٣ أ

... وفيها توفي أبو يزيد البسطامي ، واسمه طيفور بن عيسى بن شرشوان . (وكان) مجوسياً فأسلم . وكان لعيسى ثلاثة أولاد وهو [أكبرهم] أكبرهم[1] وطيفور أوسطهم ، وعلي أصغرهم . وكانوا كلهم زهاداً عُبّاداً[2] . وكان أبو يزيد أفضل أهل زمانه وأجلهم حالاً ، له لسان في المعارف والتدقيق وفي علوم المكاشفات والفناء والبقاء لم يسبق إليه .

ذكر طرف من أخباره

حكى أبو نعيم الأصفهاني وابن باكويه وابن خميس في « مناقب الأبرار » طرفاً من زهده وكراماته وخوفه وورعه وجميل صفاته وعباداته .

(*) لصفحات هذا المخطوط ترقيمان : أحدهما بالعربية والآخر بالأفرنجية ويختلفان بقدر ورقة ، وقد اخترنا الثاني .

(١) كذا مكررة .

(٢) ص : زهاد عباد .

حدثنا جدي رحمه الله بإسناد «إلى العباس بن حمزة يقول : صلّيت خلف أبي يزيد البسطامي الظهرَ . فلما أراد أن يرفع يديه ليكبر لم يقدر إجلالاً لإسم الله تعالى وارتعَبَتْ فرائصه حتى كنت أسمع تقعقع عظامه . فهالني ذلك .

— وروى جدّي عن ابن ناصر بإسناده إلى عيسى بن آدم ابن أخي أبي يزيد قال : كان أبو يزيد يعظ نفسه فيصيح : يا مأوى كل سوء ! المرأة إذا حاضت طهرت بعد ثلاثة أيام وأكثره عشرة . وأنت قاعدة منذ عشرين أو ثلاثين . بعدُ مـا طهرت . فمتى تطهرين ؟ ! إنك تقفين بين يدي الله الطاهر (والذي يقف بين يدي الطاهر) ينبغي أن يكون طاهراً .

قلتُ : لم يذكر له جدي في « المنتظم » سوى هذه الكلمات عن العباس بن حمزة وعن عيسى بن آدم ابن أخي أبي يزيد . ولا خفاء أن الرجل كان جليلاً سيداً عارفاً نبيلاً . وقد استقصيت أخباره وذكرتُ أحواله وآثاره . فأقول :

حكى ابن باكويه بإسناده عن قاسم الحداد قال : خرج أبو يزيد في بعض سياحاته فجاء إلى دجلة فالتقى به الشّطّان . فحول وجهه عنها ثم قال : وعزّتك ! إنك تعلم أنني ما عبدتك لهذا . فلا تحجبني عنك .

وحكى عنه علي بن جهضم في « بهجة الأسرار » قال : صعد أبو يزيد ليلة على سور بسطام . فدار عليه طول الليل مجتهداً أن يذكر الله تعالى . فلم يقدر إجلالاً وهيبةً . فلما طلع الفجر نزل فبال الدمَ . قال : وجلس يوماً بين يدي المنبر . — وقد حكى هاتين الحكايتين جدي في كتاب « المنتخب في الوعظ » .

وحكى عنه أبو عبد الرحمن السُّلَمي قال : قال أبو يزيد : جلستُ ليلةً في المحراب . فمددتُ رجلي . فهتف بي هاتف : يا أبا يزيد ! من يجالس الملوك ينبغ [(1)] أن يجالسهم بحسن الأدب .

وحكى عنه ابن جهضم في « البهجة » أنه قال : رأيت ربَّ العزة في المنام

---

(1) ص : ينبغي .

فقلت : يا خُداه ! كيف الطريق إليك ؟ فقال : فارق نفسك وتعال.[1] .
وحكاه جدّي في « المنتخب » .

وذكر ابن خميس في « المناقب » عنه أنه أذّن مرة [2] ثم أراد أن يتم [3] فنظر في الصف فرأى رجلاً عليه آثار السفر . فكلّمه بشيء . فخرج الرجل من المسجد . فقيل له : ما قال لك أبو يزيد ؟ قال لي : اخرج واغتسل فما يجوز التيمم في الحضر .

وحكى أيضاً قال : اشتهر رجلٌ بالولاية . فقال أبو يزيد لبعض إخوانه : قُمْ بنا إليه . فدخل الرجلُ المسجدَ وبصق تُجاه القبلة . فرجع أبو يزيد وقال لصاحبه : امضِ [4] بنا . فهذا غير مأمون على أدب من آداب الشريعة . فكيف يكون مأموناً على ما يدّعيه من الولاية ؟ !

قال : وغسل يوماً ثوبه في الصحراء ومعه صاحبٌ له فقال له صاحبه : علّقه على حائط الكرم . فقال : ما أذن لي صاحبُه . فقال : علّقه على الشجر (١٩٤ أ) فقال : تنكسر أغصانه فيفسد . فقال : ابسطه على الإذْخِر . قال : يفسد . لأن الله جعله علفاً للدواب . فولى أبو يزيد ظهره إلى الشمس وجعل القميص على ظهره ورأسه وقلبه حتى جفّ ثم لبسه .

قال : ودخل يوماً إليّ ، فغرس عصاه في الأرض . فوقعت على عكّاز شيخٍ إلى جانبه ، فوقع العكاز . فقام الشيخ فانحنى وأخذه . فقام أبو يزيد إلى الشيخ وقبّل رأسه وحالّله وقال : إنما انحنيت وأخذتُ العكاز بسببي .

قال : وقدم شقيق البلخي وأبو تراب النخشبي على أبي يزيد وقُدّمت

---

(١) ص : تعالى .
(٢) ص : مرة .
(٣) أي يقيم الصلاة .
(٤) ص : مضى .

السفرة وهناك شابٌّ جالس ، فقال له أبو يزيد (١) : قُمْ فكُلْ مع الشيوخ . فقال : أنا صائم . فقال له أبو تراب : كُل ولك أجرُ صوم شهر . فأبي . فقال له شقيق : كُل ولك أجرُ صوم سنة . فأبي . فقال لهم أبو يزيد : دعوه فقد سقط من عين الله . فأخِذَ الشاب بعد سنة فقطعت يده .

قال : وقال عُمَيّ البسطامي : كنا قعوداً في مسجد أبي يزيد ، قال : قوموا بنا نستقبلْ ولياً (٢) من أولياء الله . فقمنا وإذا بإبراهيم بن ستنبه الهروي قد أقبل فقال له أبو يزيد : وقع في خاطري أنني أستقبلك وأشفع لك إلى ربي . فقال له إبراهيم : لو شفعتك في جميع الخلائق لم يكن عجباً : إنما هم قطعة من طين . فتحيَّر أبو يزيد من جوابه .

ذكر المختار من كلامه

قال أبو نعيم عن إبراهيم الهروي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : غلطت في ابتداء أمري في أربعة أشياء : توهمت (٣) أني أذكره وأعرفه وأحبه (٤) وأطلبه . فلما انتهيت رأيت ذكرَه سبق ذكري . ومحبّته سبقت محبتي ومعرفته سبقت معرفتي . وأن طلبه (٥) سبق طلبي .

وقال إبراهيم : وسمعته يقول : عملتُ في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدتُ شيئاً أشدَّ علي من العلم ومتابعته . ولولا اختلاف العلماء لبقيت متحيراً . واختلافهم رحمة . إلاَّ في تجريد التوحيد .

قال : وسئل (٦) أبو يزيد : ما علامة العارف ؟ فقال : لا يفتر من ذكره

---

(١) ص : ابويز .

(٢) ص : أوليا .

(٣) ص : توهمت .

(٤) ص : فأحبه .

(٥) ص : وأطلبه .

(٦) ص : أبا يزيد .

ولا يملّ من حقه ولا يستأنس بغيره . وقال : إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم ، فأطاعوه ، فخلع عليهم من خلعه ، فاستغنوا بالخلع عنه ، وإني لا أريد من الله إلا الله تعالى .

وقد حُكينا عن أحمد بن خضرويه أنه قال : رأيتُ ربَّ العزة في المنام فقال لي : يا أحمد ! كل الناس يطلبون مني إلا أبا (١٩٤ ب) يزيد فإنه يطلبني .

وقال : لو وصفتْ لي تهليلة ما باليتُ بعدها بشيء .

وقال : هذا (١) فرحي بك وأنا (٢) أخافك ، فكيف فرحي بك إذا أمنْتك !

وسئل : بمَ (٤) نالوا المعرفة ؟ فقال : بتضييع (٥) ما لهم والوقوف مع ماله .

وقال : إن الله تعالى أطلع على قلوب أوليائه فمنهم من لا يصلح لحمل المعرفة (٦) صِرْفاً فعلّله بالعبادة .

وقال : ليس العجب من حُبي لك وأنا عبد فقير ، وإنما العجب من حُبّك لي وأنت ملك قدير .

وقال : منذ ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله أتمضمض وأغسل لساني إجلالاً له أن أذكره .

وحُكي عنه في « المناقب » أنه قال : أشد المحرومين عن الله ثلاثة بثلاثة : فأولهم الزاهد بزهده ، والثاني العابد بعبادته ، والثالث العالم بعلمه . ثم قال :

---

(١) ص : هذ .
(٢) ص : وأما .
(٣) ص : أفقتك .
(٤) ص : بما .
(٥) ص : بتصبيح .
(٦) ص : المرفة .

مسكينٌ الزاهد ! لو عَلِم أن الله سمّى الدنيا كلها قليلاً في قليل . فكم مقدار ما ملك من ذلك القليل ؟ ! وفي كم زهد فيما ملك ؟ ! وأما العابد فلو رأى مِنّة الله عليه في العاقبة عرف عبادته في المنّة . وأما العالم فلو عرف أن ما في جميع العالم في شطر واحد من اللوح المحفوظ . فكم علم هذا العالم من ذلك الشطر ؟ وكم عمل بما علم ؟

قال : وقال : ما ذكروه إلا بالغفلة ، ولا خدموه إلا بالفترة ، وأكثر الناس إشارة (١) إليه أبعدهم عنه .

وقال : غبت عن الله ثلاثين سنة . وكان غيبتي عنه ذكرى إياه . فلما حضرتُ وجدته في كل حال .

قال : وقيل له : لِمَ لا تسافر ؟ فقال : لأن صاحبي مقيم . فقيل له : إن الماء الراكد يُكْرَه الوضوء منه . فقال : لم يَرِدْ بماء البحر بأساً : هو الطَّهور ماؤه . والحلُّ ميتته . ثم قال : ترى الأنهار دَوِياً وجرياً . فإذا دنت من البحر وامتزجت سكنت وذهبَ خريرُها .

وحكى أبو نعيم عنه قال : طلقتُ الدنيا ثلاثاً بتاتاً لا رجعة لي فيها وصرت إلى ربي وحدي فناديته بالإستغاثة : أدعوك دعاء من لم يبقَ له غيرك . فلما عرف صدق الدعاء من قلبي والإياس من نفسي كان أول ما ورد عليَّ من إجابة دعائي أنه أنساني نفسي بالكلية ونصب لي الخلق بين يديَّ مع إعراضي عنهم بالكلية .

وقال : دعوتُ نفسي إلى الله فاستعصت عليَّ فتركتها ومضيتُ إليه .

وحكى عنه ابن باكويه أنه قال : كل الناس يخافون من الحساب ويتجافون عنه وأنا أسأل الله أن يحاسبني . قيل له : ولِمَ ؟ قال : لعله أن يقول فيما بين ذلك : يا عبدي ! فأقول : لبيك ! ثم يفعل بي ما يشاء بعد ذلك .

---

(١) ص : أشار .

قال : وقال له رجل : دُلّني على عمل (١٩٥ ا) أتقرب به إلى الله تعالى ! قال : تحبّب إلى أوليائه ليحبّوك ، فإنه ينظر إلى قلوب أوليائه فلعله أن ينظر إلى اسمك في قلب وليه فيحبك فيغفر لك .

وحكى عنه ابن باكويه قال : عرج بي إلى السماء فطاف ودعا . قيل له : بأي شيء دعا ؟ قال : بالمحبة والرضا .

وحكى عنه ابنُ جهضم أنه قال : نظرت فإذا الناس يتلذذون في الدنيا بالطعام والشراب والنكاح ، وكذا في الآخرة . فجعلت لذتي في الدنيا [1] ذكره وفي الآخرة النظر إليه .

وقال جعفر الخلدي : قال له رجل : لِمَنْ أصحب ؟ قال : لِمَنْ إذا مرضتَ عادَكَ ، وإذا أذنبْتَ سامحك .

وحكى في « المناقب » أن رجلاً قال له : بماذا أستعين على العبادة ؟ فقال : بالله ، إن كنت تعرفه .

وقال : من سمع الكلام ليتكلم به مع الناس رزقه الله فهماً يكلم به الناس ، ومن سمعه ليقابل به الله رزقه الله فهماً يناجي به ربّه .

قال : وقال : اللهم أفْهِمْني عنك ، فإني لا أفهم عنك إلاّ بك .

وقال : القلانس تنزل من السماء ، وإني لأعرف أقواماً يعولعون (كذا) برؤسهم كذا كذا .

وقال : كنتُ حدّاد نفسي اثنتي عشر سنة ، وخمس سنين مرآة قلبي ، وسنةً أنظر فيما بينهما . فنظرتُ فإذا في وسطي زنار ظاهر [2] . فعملت في قطعه خمس سنين . فكشف لي عن الحقائق . فرأيت الخلق موتى . فكبّرتُ عليهم أربع تكبيرات .

---

(١) ص : الدنـا .

(٢) ص : زناراً ظاهراً .

وقيل له : بأي شيء وجدت هذه المعرفة ؟ فقال : ببطن جائع وبدن عارٍ [1]

وقال : السُّنّة الدنيا ، والفريضة صحبة المولى .

وسئل عن الزهد فقال : ليس له منزلة . ثم ذكر ابتداء زهده فقال : كنت في الزهد ثلاثة أيام : ففي اليوم الأول زهدت في الدنيا وما فيها ؛ وفي اليوم الثاني زهدتُ في الآخرة وما فيها ؛ وفي اليوم الثالث زهدتُ فيما سوى الله ؛ فلما كان اليوم الرابع لم يبق لي شيء سوى الله ؛ فهتف بي هاتف : يا أبا يزيد ! إنك لا تقوى معنا . فقلت : هذا الذي أردت . فقال : وجدت وجدت !

وقال : دعوت نفسي إلى طاعة الله فأبت ، فمنعتها شرب الماء سنة .

قال : إنّ لله تعالى شراباً [2] يسقيه في الليل قلوبَ أحبابه . فإذا شربوه طارت قلوبهم في الملكوت الأعلى حُبّاً لله تعالى وشوقاً إليه . ثم أنشد : (١٩٥ ب)

غرست الحبَّ غرساً في فؤادي ... فلا أسلو . إلى يوم التنادي
جرحت القلبَ مني باتصـــال ... فشوق زائدٌ والحب بادي
سقاني شربـة أحيـا فـؤادي ... بكأس الحب من بحر الوداد
فلـولا اللهُ يحفـظ عارفيـــه ... لهام العارفون بكـل وادي

قال : وسأله بعض أصحابه عن التوكل فقال له : ما تقول أنت فيه ؟ فقال : إن أصحابنا يقولون : لو أن السباع والأفاعي عن يمينك وشمالك مـا تحرك سرُّك لذلك . قال أبو يزيد : هذا قريب ، ولكني أقول : لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون [3] ، وأهل النار في النار يُعَذّبون . ثم وقع تمييز بين الفريقين لخرجتُ من التوكل .

قال : ورأى أبو يزيد رجلاً يسوق حماراً فقال : ما حرفتك ؟ فقال :

---

(١) ص : عاري .

(٢) ص : شراب .

(٣) ص : يقيعمون .

خَرْبَنْده. فقال أبو يزيد: أمات الله حمارك لتكون عبداً لله لا عبداً لحمار.

قال: وأرسل إليه ذو النون المصري يقول: يا أخي! إلى متى النوم والراحة وقد سارت القافلة؟! فقال أبو يزيد لرسوله: قل لأخي ذي[1] النون: ليس الرجل من يقوم طول الليل ثم يسبق إلى المنزل: إنما الرجل من ينام طول الليل على فراشه. ثم يصبح وقد سبق القافلة. فبكى ذو النون وقال: هذا كلام لا تبلغه أحوالنا.

قال. وقال له رجل: أنت أبو يزيد! فقال: ومَنْ أبو يزيد؟ ومن يعرف أبا يزيد؟ أبو يزيد يطلب أبا يزيد فما يجده. وبلغ ذا النون[1] فقال: لله عرائس مُخَدِّرون[2] عنده في مجال الأنس لا يراهم أحد. لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وقال: حظوظ الأولياء في أربعة أشياء: الأول والآخر والظاهر والباطن: فمن فني منها بعد ملابسته إياها فهو الكامل. وبيانه: من كان حظه من اسمه الظاهر لاحَظَ عجائب قدرته؛ ومن كان حظه من اسمه الباطن شاهد ما يجري في السرائر؛ ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله في السوابق؛ ومن لاحظ ما في الآخر صار مرتبطاً بالمستقبل.

وكان كوشف على قدر طاقته وسُئل عن المعرفة فقال: «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها»[3].

وقال: للخلق أحوال. ولا حال للعارف لأنه حُجِبَتْ رسومه فلا يُشاهد في يقظته ونومه غير الله تعالى.

وسئل عن المحبة فقال: استقلال الكثير من نفسك (١٩٦ أ) واستكثار القليل من حبيبك.

---

* كلمة فارسية معناها الحرفي: عبد الحمار. ومعناها العادي: صاحب الحمار، الحمّار.

(١) ص: ذو النون.

(٢) ص: مخدون.

(٣) سورة النمل: ٣٤.

وقال أبو موسى الديلمي : سألت أبا موسى عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل فقال : لو دخلتْ يدك في فم التنين حتى يبلغ الرُّسْغَ لا تخاف غير الله . قال : فخرجت لأبي يزيد لأسأله عن التوكل ، فطرقتُ عليه الباب فقال : قد كان في جواب عبد الرحمن كفاية . فقلتُ : افتح ! فقال : ما أتيتني زائراً وقد أتاك الجواب من وراء الباب . ولم يَفْتَحْ لي قال : فغبتُ عنه سنة ثم أتيته فطرقتُ عليه الباب فقال : مرحباً لأنك أتيتني زائراً ؛ وفتح . فأقمت عنده شهراً لا يخطر بقلبي شيء إلا أخبرته . فقلت له عند وداعي له : أفدني فائدة . فقال : أخبرتني أمي أنها كانت حاملاً بي . فكانت إذا قدم لها طعام فيه شبهة انتفضت يدها عنه . فإن قيل : فهذا الجواب لا يطابق السؤال ، قلتُ : هذا جواب عن إخبار أبي يزيد عما كان يخطر له . فإن من منعَ الله أمه ، وهي حامل به ، عن تناول الحرام ، لا يبعد منه أن يتكلم عن الخواطر والأوهام .

وقال في « المناقب » : كتب يحيى بن معاذ [1] إلى أبي يزيد : سكرتُ من كثرة ما شربت من كأس محبته . وكتب إليه أبو يزيد [2] : غيرك شرب بحار السموات وما روى بعدُ ؛ لسانه خارج على صدره وهو يصيح : العطش العطش وأنشد في ذلك :

عجبتُ لمن يقول : ذكرت ربي ... وهل أنسى فأذكر ما نسيتُ ؟
شربتُ الحبَّ كأساً بعد كأسٍ ... فما نَفِدَ الشرابُ وما رويت

وقال : إن لله عباداً لو احتجب عنهم في الدنيا أو في الجنة لحظةً لاستغاثوا كما يستغيث أهل النار في النار .

وقال : إن الله خلق إبليس كلباً من كلابه ، وخلق الدنيا جيفة ؛ ثم أقعد إبليس على آخر طريق الدنيا وأول طريق الآخرة وقال له : كُلُّ من مال إلى الجيفة سلَّطْتُك عليه .

---

(١) ص : ابن معاذ ، مكررة .
(٢) ص : أبا يزيد .

حديث الطّاس والعَسَل والشَعْرة

حكى القاضي الدامغاني في « مجرد الحكايات » عن أبي يزيد البسطامي قال: كنتُ جالساً يوماً وعندي أربعة من الصالحين . فأُتي بطأسٍ فيه عَسَلٌ وإذا فيه شعرة ؛ فوُضِع بين أيدينا . فقال أبو يزيد : طأس حَسَنٌ .. وعسله حلو . وشعرةٌ دقيقة . فليقل كل واحدٍ منكم في هذا شيئاً . فقال واحد منهم : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحسنُ من هذا الطأس . وحلاوة العلم أحلى من (١٩٦ ب) هذا العسل . وصدق الدعوى أدق من هذه الشعرة . وقال الثاني : العقل أحسن (من) هذا الطأس ؛ وكتاب الله أحلى من العسل ؛ وطريق الحُجة أدق من هذه الشعرة . وقال الثالث : النفس أحسن من هذه الطأس ؛ والعلم أحلى من هذا العسل ؛ وطريق الورع أدقُ من هذه الشعرة . وقال الرابع : الآخرة أحسن من هذا الطأس ؛ ونعيم الجنة أحلى من هذا العسل ؛ وطريق الأولياء إلى الله أدقُ من هذه الشعرة .

فقالوا لأبي يزيد : فما تقول أنت ؟ فقال : المعرفة في قلوب العارفين أحسن من هذا الطأس ؛ ورؤية المحبين لله أحلى من هذا العسل ؛ وطريق الصدق أدقُ من هذه الشعرة .

ذكر قصة الشاب الذي مات عند رؤيته

ذكر ابن خميس في « المناقب » للغزالي في « الإحياء » وصاحب « القوت » وغيرهم عن بعض أصحاب أبي يزيد ، قال : كان عندي [1] شاب صغير ملازم للخَلوة . فقلت له : هل رأيت أبا يزيد ؟ قال : لا . فتركته أياماً وأعدت عليه القول . قال : لا . فلما أكثرت عليه قال : رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد . قال : فكررت عليه القول وهو لا يزيد على هذا . فغاظني [2] . فقلت:

---

(١) ص : عنده .

(٢) ص : فغاضني .

او رأيت أبا يزيد مرةً كان أنفعَ لك من رؤية الله سبعين مرة . فقال : قم بنا إليه . فخرجنا نطلب أبا يزيد . وإذا به قد خرج من النهر وفروته مقلوبة على كتفه . فلما رآه الشاب صاح ومات . فقلت لأبي يزيد : ما هذا ؟ فإنه ذكر أنه يرى الله وما مات ؛ يراك فيموت ؟ فقال : نعم ! كان يرى الله على قدر حاله . فلما نظر إليّ ، رأى الله على قدر حالي فلم يثبت فمات . قال : ثم دارَيناه فغسلناه وكفّنّاه ، وصلّى عليه ودفنه وبكى .

حديث حَجّه ، وما جرى لـه

ذكر ابن خميس في « المناقب » طرفاً من ذلك فقال : قال أبو يزيد : حججتُ أول حجة فرأيتُ البيتَ ولم أرَ صاحبَ البيت . وحججتُ ثالثاً فلم أرَ البيت ولا صاحبَ البيت ولا الناس . هذا صورة ما ذكره في « المناقب » .

وذُكر في كتاب جمعه عبدالحق البغدادي الحرمي تمامُ الحكاية . فرواه عن أشياخه قالوا : قال أبو يزيد [فقلت] : مَن مثلي وقد (١٩٧ أ) وصلت إلى هذه الحالة وعجبت . فهتف بي هاتف : أعَجِبْتَ ؟ إذهب فلا حاجة لنا فيك ! قال : فنمتُ في البادية على وجهي . لا آكل ولا أشرب ولا أنام . فمررت بدير فيه راهبة فقلت لها : ها هنا مكان طاهرٌ أصلّي ؟ فقالت : طَهِّر قلبَكَ وصلِّ (١) حيث شئت . قال : فدخلتُ ديراً فرأيتُ قوماً يعبدون الصليب . فَذُرتُ (٢) وقلتُ : ويحكم ! أتعبدون ما لا يضر ولا ينفع ؟ ! وتدَّعون عبادة من ينفع ولا يضر ! فهتف بي هاتف : نحن في غنى عن نصحك . اذهب ! فلا حاجة لنا فيك . قلتُ : ما بقي بعد هذا حديث . ثم قلتُ لراهب : ناولني زُنّاراً (٣) . فقلتُ : ما بقي غير شد الزنار . فأدخلت يدي في أكمام مرقعتي

---

(١) ص : صلى .
(٢) ص : ففرت ؟
(٣) ص : زنار .

وقلتُ : أرمي بها [1] وأشد الزنار ولم يبق إلا أن أخرج رأسي . فهتف بي الهاتف لا يا أبا يزيد ! ما وصل الحال إلى هذا . وإنما نحن نعلم أنك تحبنا . فنتدلل عليك . وأنشد في المعنى :

قالت لطَيفِ خيالٍ زارها ومضى بالله صِفْهُ ولا تَنْقُصْ ولا تَزِد
فقال : خلفته لو مات من عطش وقلتُ : قف عن ورود الماء لم يرد
قالت : صدقتَ . الوفا في الحب عادته
يا بَرْدَ [2] ذاك الذي قالت على كبدي !

ذكر وفاتـــه

قالت علماء السِّيَر : توفي أبو يزيد في هذه السنة [3] ببسطام . وقبره ظاهر يزار بها . قال أبو نعيم : وإذا أجدبوا [4] استسقوا به فَسُقُوا .

وكان له يومَ مات ثلاث وسبعون سنة .

وقد اسند الحديث . والله أعلم بالصواب .

---

(١) أي بالمرقعة .
(٢) ص : يا بر ذاك .
(٣) أي سنة إحدى وستين بعد المائتين .
(٤) ص : أجذبوا .
(٥) ص : وسبعين .

— ٢ —

« نفحات الأنس من حضرة القدس »
لمولانا عبد الرحمن الجامي ، تعريب تاج الدين زكريا العثمـــاني
مخطوط رقم ١٣٧٠ عربي بباريس بالمكتبة الأهلية ، ورقة ٢٦ ب

أبو يزيد البسطامي قدس الله سرّه

من الطبقة الأولى . واسمه طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان . كان جدّه يهودياً فأسلم . وكان من أقران أحمد بن خضروية . ورأى أبا حفص ويحيى بن معاذ وشقيق البلخي . ومات في سنة إحدى وستين ومائتين ؛ وقيل في سنة أربع وثلاثين ومائتين . والأول أصح . وكان أستاذه كردياً . وأوصى : ادفنوني تحت رِجْل أستاذي لحرمة الأستاذ .

وكان صاحب آيٍ ، لكن فتح عليه بالولاية فما ظهر مذهبه . قال شيخ الإسلام : نسبوا إليه كذباً كثيراً ، ومنه أنه قال : « ذهبتُ فضربت الخيمة محاذاة العرش » . قال شيخ الإسلام : هذا الكلام كفرٌ في الشريعة وبعدٌ في الحقيقة ، إذ معناه لا يتحقق بإثبات النفس ، بل تتحقق الحقيقة بنفي الوجود ؛ ولا تثبت الحقيقة بالأثنينية ، فإن إثبات الأثنينية شِرْك ، ونفي الأثنينية توحيد .

قال الحصري رحمه الله : إن رأيت العرش كنت كافراً . والجنيدُ كان

متمكناً ، وما كان له بَوْحٌ . وكان يُعظم الأمر والنهي وأخَذَ الطريق من الأصل ، فلا جَرَم كان مقبولاً لجميع الفِرَق .

سُئِل الجنيد : أين وطنك ؟ قال : «تحت العرش » — يعني غاية همتي ومنتهى نظري واستقرار روحي هو الذي قال الله لموسى : أنت غريب وأنا وطنك .

وقيل : كان أبو يزيد إذا قام للصلاة يخرج من صدره قعقعة يسمعها من كان قريباً منه . وهذه القعقعة من هيبة الحق وخشيته وتعظيم الشريعة .

وقال أبو يزيد عن الموت : « إلهي ! ما ذكرتُكَ إلا عن غفلة ، وما خدمت إلا عن فترة » — ومات .

قال أبو موسى : قال أبو يزيد : رأيتُ الله في المنام فقلتُ : كيف يكون الطريق إليك ؟ قال : إذا انقطعتَ عن نفسك وصلت [1] .

---

(١) إلى هنا وقف النص في المخطوطة إذ سقط ما بعده .

— ٣ —

قصة أبي يزيد البسطامي مع الراهب

عن المجموع رقم ١٩١٣ عربي * ، بالمكتبة الأهلية بباريس ، ورقة ١٩٥ أ

حكى أنه كان ولي من أولياء الله تعالى يقال له أبو يزيد البسطامي . وكان قد حجّ خمساً [١] وأربعين حجة ، ويقرأ كل يوم ختمة . فبينما هو واقف على جبل عرفات إذ قالت له نفسُه : من مثلك يا أبا يزيد ! حججت خمساً [١] وأربعين [٢] حجة ، وقرأت عشرة آلاف ختمة . فنادى في الحال : من يشتري مني خمسة [١] وأربعين [٢] حجة برغيف خبز ؟ فقال رجل : أنا . فأخذ منه الرغيف وألقاه إلى كلب فأكله.. ثم شدد على نفسه ودخل إلى بلاد الروم : ، وإذا براهب قد أمسك بيده وأتى به إلى منزله . وأخلى له مكاناً في داره . فأقام يعبد الله تعالى في ذلك المكان . والراهب يأتيه في كل يوم بالأكل والشرب بُكرة وعشيا مدة شهر . فقال أبو يزيد يوماً لنفسه : يا نفس ! أنا أريد أن أكسرك وشو ما تنكسري ؟ قال : فبينما يخاطب نفسه وإذا بالراهب قد دخل عليه وقال :

---

(١) ص : خمسة .

(٢) ص : أربعون .

* مجموع مخطوط في ٢١٣ ورقة ، مقاس ٣٠ $\frac{1}{2}$ × ٢١ سم ، مسطرته ٢٥ ؛ تاريخ نسخه في مكة سنة ١٠٠٤ هـ (= ١٥٩٦ م) .

ما اسمك ؟ قال أبو يزيد . فقال الراهب : ما أحسنك لو كنت عبدالمسيح . قال : فصعب ذلك على أبي يزيد وأراد الخروج من عنده . فقال له الراهب : أقِمْ عندنا إلى تمام أربعين يوماً ، فإن لنا عيداً عظيماً وأريد أن تحضر ، ولنا أيضاً واعظاً يعظنا من السنة إلى السنة مرة واحدة . فأجابه إلى ذلك .

فلما كان تمام الأربعين دخل عليه الراهب وقال له : قم ! أتى يوم عيدنا . فلما قام قائماً قال له : كيف تمضي معي وتحضر بين ألف راهب وأنت على هيئتك هذه ! فإني أخشى عليك . ولكن اخلع ثيابك والبس هذا البُرنُس وشُدّ وسطك بالزنار وعلّق الإنجيل على صدرك .

قال : فلما سمع كلام الراهب صعب عليه ذلك ، فنودي في سره : يا أبا يزيد ! افعل ذلك فإن لنا فيه إرادة ومشيئة . قال : فعند ذلك خلع ثيابه ولبس البرنس وشد وسطه بالزنار وحمل الإنجيل على صدره وتوجه معه إلى البيعة وجلس مع الرهبان فلم ينكروا عليه . قال : فبينما هو كذلك رأوا أعظمهم قد أقبل ولم يتكلم . فقالوا له : لِمَ لا تتكلم كعادتك ؟ فقال : كيف أتكلم وبينكم رجل محمّدي ؟ ! فقالوا : قل لنا عليه حتى نقطعه بسيوفنا . فقال : والله ما أدلكم عليه حتى تحلفوا أنكم لا تؤذونه (١) ولا تشوشون عليه . فحلفوا له على ذلك . فقال الراهب عند (١٩٥ ب) ذلك : أقسمت عليك أيها المحمدي بالله إلا ما قمت من بين الجماعة . قال : فوثب أبو يزيد قائماً على قدميه فقال : انظروا إليه . فقالوا صدقتَ أيها الشيخ . فقال له : ما اسمك ؟ قال : أبو يزيد ؛ قال : تعرف شيئاً من العلم ؟ قال : أعرف الذي علمني ربي عز وجل . قال : أخبرني عن واحدٍ ماله ثانٍ (٢) ، وثانٍ (٢) ماله ثالث ، وثالث ماله رابع ، ورابعٍ ماله خامس ، وخامسٍ ماله سادس ، وسادسٍ ما له سابع ، وسابع ماله ثامن ، وثامن ماله تاسع ، وتاسع ما له عاشر ، وعاشر ما له حادي عشر ؛

---

(١) ص : تؤذوه ولا تشوشوا .

(٢) ص : ثاني .

وحادي عشر ماله ثاني عشر ، وثاني عشر ماله ثالث عشر ؟ فقال أبو يزيد : اسمع الجواب بعون الملك الوهاب .

أما الواحد فهو الله لا إله إلا هو ، واحد لا شريك له .

أما الثاني فهو الليل والنهار . وأما الثالث فهو الطلاق ثلاث مرات . وأما الأربعة [1] فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان . وأما الخمسة فالصلاة الخمس . وأما الستة فهي الأيام الست التي خلق الله فيها السموات والأرض . وأما السبعة فهي السموات السبع . وأما الثمانية فإنها حَمَلَة العرش يوم القيامة . وأما التسعة فهي مدة حمل المرأة للولد . وأما العشرة فهم الكرام البَرَرَة . وأما الحادي عشر فإخوة يوسف عليه السلام . وأما الثاني عشر فهي السنة : اثنا عشر شهراً .

فقال له الراهبْ : صدقتَ . فأخبرني عَمَّن خُلِقَ من الهواء [2] ، ومن حفظ في الهواء ، ومن هلك بالهواء [2] . فقال : خلق من الهواء [2] عيسى عليه السلام . وحفظ في الهواء [2] سليمان عليه السلام ، وهلك بالهواء [2] قوم عاد .

، فقال : صدقتَ ! فأخبرني عمن خلق من الخشب ، ومن حفظ في الخشب ومن هلك من الخشب . فقال أبو يزيد : خلق من الخشب عصا موسى عليه السلام ، وحفظ في الخشب نوح عليه السلام ، وهلك بالخشب النبي زكريا عليه السلام .

فقال الراهب : صدقتَ ! فأخبرني عمن خلق من النار ، ومن حفظ في النار ، ومن هلك بالنار . فقال أبو يزيد : خلق من النار إبليس ، وحفظ في النار إبراهيم خليل الله عليه السلام ، وهلك بالنار أبو جهل .

فقال الراهب : صدقت ! فأخبرني عمن خلق من الحجر ، ومن حفظ في الحجر ، ومن هلك بالحجر . فقال أبو يزيد : خلق من الحجر ناقة صالح عليه

(١) ص : الأبعة.

(٢) ص : الهوى .

السلام ، وحفظ في الحجر أصحاب الكهف ؛ وهلك بالحجر أصحاب الفيل .

فقال له الراهب : صدقت ! فأخبرني عن قول العلماء فإنهم يقولون إن في الجنّة أربعة أنهار : نهر من عسل ، ونهر من لبن ، ونهر من ماءٍ ، ونهر من خمر وكل ذلك يجري في مجرى واحد ، لا هذا يختلط بهذا ؛ ولا هذا يختلط بهذا (١١٦ ا) . فهل له مثال في الدنيا ؟ قال : نعم ! ابنُ آدم في رأسه أربعة أنهار : ماء أذنيه مُرٌّ ، وماء عينيه عذب ، وماء أنفه مالح ، وماء لسانه حلو .

قال صدقت . فأخبرني عن أهل الجنة فإنهم يأكلون ويشربون ولا يتغوطون فهل له مثال في الدنيا ؟ قال : نعم ! الجنين في بطن أمّه يأكل ويشرب ولا يتغوط . ولو تغوط في بطن أمه لماتت .

قال : صدقت . فأخبرني عن شجرة في الجنة اسمها « طوبى » ، ليس في الجنة قصر ولا غرفة إلا وفيه غصنٌ من أغصانها . فهل لها مثالٌ في الدنيا ؟ قال : نعم ! الشمس إذا طلعت .

قال : صدقت . فأخبرني عن شجرة لها اثنا عشر غصناً ، في كل غصن ثلاثون ورقة ، في كل زهرة زهرتان في الشمس ، وثلاث زهرات في الظل ؟

فقال أبو يزيد : أما الشجرة فهي السَنَة اثنا [1] عشر شهراً ، والورق بعدد أيام الشهر ، والزهرات فهي الصلاة الخمس . وأما التي في الشمس فالظهر والعصر والتي في الظل فالمغرب والعشاء والصبح .

فقال الراهب : صدقت . فأخبرني عمن حجّ بيت الله الحرام وطاف وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة الحج . فقال أبو يزيد : تلك سفينة نوح عليه السلام .

فقال الراهب : صدقت . فأخبرني أين يكون الليل إذا جاء النهار ؛ وأين

---

(١) ص : اثنى .

يكون النهار إذا جاء الليل ؟ فقال أبو يزيد : ذلك في غامض علم الله تعالى ، فإن ذلك لا يظهر عليه نبيٌّ مرسل ولا ملك مُقرّب .

فقال : صدقت .

ثم بعد ذلك قال أبو يزيد للراهب : أما أنت فقد سألت عن مسائل وأجبتك عليها . وأريد أن أسألك عن مسألة واحدة فقال الراهب : سَلْ ما شئت . فقال أبو يزيد : أخبرني عن مفتاح الجنة ما هو . وما مكتوب على أبوابها ؟ فسكت الراهب . فقال له الرهبان : غُلِبْتَ يا أبانا . قال لا . قالوا : فلم لا تجيبه (١) مثل ما أجابك ؟ قال : أخاف إن أجبته عنها تقتلوني . قالوا له : وحقّ الإنجيل إن أجبته لا نقتلك . فقال الراهب : اعلموا أن مفتاح الجنة قول لا إله إلا الله . وأشهد أن محمداً رسول الله .

فقال الرهبان عند ذلك : نشهد أن لا إله إلا الله ، ونشهد أن محمداً (٢) رسول الله .

فقال الراهب : نحمد الله الذي أسلمتم . فإني كنتُ مسلماً منذ ستين سنة ولكني كنت أكتم إيماني خوفاً منكم . إلى أن منّ الله عليّ بهذا الرجل .

قال : ثم أخربوا البيعة وجعلوها مسجداً لله تعالى . وأقام أبو يزيد عندهم يعلمهم أمور دينهم . ثم ودعهم ورجع إلى بلاده .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبيّ بعده ، وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين .

---

(١) ص : يجبه .
(٢) ص : محمد .

طبقات المشايخ للامام أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي

نسخة مصورة بمكتبة جامعة فؤاد الأول بالقاهــرة

برقم ٢٦٠٣٢ عن مخطوط بـالمتحف البريطاني

الطبقة الأولى

[١٤ ب] ومنهم أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان

وكان جده سروشان مجوسياً فأسلم . وهم ثلاثة أخوة : آدم وطيفور وعلي. وكلهم كانوا زهّاداً عبّاداً وأرباب أحوال . وهم من أهل بسطام .

مات أبو يزيد رحمه الله — سنة إحدى وستين ومائتين ، وقيل سنة أربع وثلاثين .

وأسند الحديث عن أبي يزيد عبد الرحمن السُّدي عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلعم: « إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله . (١٥ ا) وأن تحمدهم على ما رزق وأن تذمّهم على ما لم يؤتك الله ، إن رزق الله لا يجرّه حرص حريص ولا يردّه كره كاره . إن الله تعالى بحكمته وجلاله جعل الرَّوْح والفرج في اليقين والرضا وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط » .

قال أبو يزيد : قعدت ليلة في محرابي ، فمددت رجلي ، فهتف بي هاتف : من جالس [1] الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب .

وسئل عن درجة العارف فقال : ليس هناك درجة ، بل أعلى فائدة العارف وجود معروفه .

وقال : العابد يعبده بالحال ، والعارف يعبده في الحال .

وسُئِل : بماذا يستعان على العبادة ؟ فقال . بالله إن كنت تعرفه .

وقال أدنى ما يجب على العارف أن يهب له ما قد ملكه .

وقال : من ادّعى الجمع بامتلاء الحق يحتاج أن يلزم عند [2] العبودية .

أذّن أبو يزيد مرةً ثم أراد أن يقيم ، فنظر في الصف فرأى رجلاً عليه أثرُ سَفَرٍ ، فتقدم إليه فكلمه بشيء . فقام الرجل وخرج من المسجد . فسأله بعض من حضر . فقال الرجل : كنت في السفر فلم أجد الماء فتيممت ونسيت ودخلت المسجد ، فقال لي أبو يزيد : لا يجوز التيمم في الحضر . فذكر ذلك وخرجت .

وقال : عملتُ في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدتُ شيئاً أشدّ عليّ من العلم ومتابعته ، ولولا اختلاف العلماء لبقيت ، واختلاف (١٥ ب) العلماء رحمةٌ إلا في تجريد التوحيد .

وقال : لا يعرف نفسه من صحبَتْه شهوته .

وقال : الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة ، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم .

وقال : من سمع الكلام ليتكلم مع الناس رزقه الله فهماً يكلم به الناس ، ومن سمعه ليعامل الله تعالى به في فعله رزقه الله فهماً يناجي به ربه .

---

(١) تحتها : يجالس .
(٢) فوقها تصحيح هو : علل .

وقال : هذا فرحي بك وأنا أخافك ، فكيف فرحي بك إذا أمنتك !

وقال : يا رب ! أفهمني عنك ، فإني لا أفهم عنك إلا بك .

وقال : عرفتُ الله بالله ، وعرفت ما دون الله بنور الله .

وقال : كُفْر أهل الهمة أسلم من إيمان أهل المنة .

وسئل : بِمَ نالوا المعرفة ؟ قال : بتضييع مالهم والوقوف مع ماله تماله .

وقال : اطّلع الله (1) على قلوب أوليائه . فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغلهم بالعبادة .

وسئل : ما علامة العارف ؟ فقال : أن لا يفتُر من ذكره ، ولا يملّ من حقه ، ولا يستأنس بغيره .

وقال : إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه . فخلع عليهم خلعة من خلعه فاشتغلوا بالخلع عنه ، وإني لا أريد من الله إلا الله .

وقال : غلطت في ابتدائي في أربعة أشياء : توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه ؛ فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري . ومعرفته تقدمت معرفتي ومحبته أقدم من محبتي . وطَلَبَه لي أولاً حتى طلبته .

وقال : اللهم إنك خلقت هذا الخلق بغير علمهم . وقلدتهم أمانة من غير إرادتهم (١٦ أ) ، فإن لم تُعِنْهم فمن يعينهم ؟ !

وقال : إذا صحبك إنسان وأساء عشرتك فادخل عليه بحُسْن أخلاقك يَطِبْ عيشك ، وإذا أنعم عليك فابدأ بشكر الله تعالى فإنه الذي عطف عليك القلوب ، وإذا ابتليت فأسرع إليه الإستقالة (2) فإنه القادر على كشفها دون سائر الخلق .

---

(1) فوقها : تعالى .

(2) في الصلب : إلى الاستكانة .

وقال : إن الله تعالى رزق[1] العباد الحلاوة . فمن أجل فرحهم بها يمنعهم[2] حقائق القرب .

وقال : أبعد الخلق من الله تعالى أكثرهم إشارةً إليه .

وقال : المعرفة في ذات الحق جهل ، والعلم في حقيقة المعرفة حيرة ، والإشارة من المشير شركٌ في الإشارة .

وسئل : بأي شيء وجدتَ هذه المعرفة ؟ فقال : ببطنٍ جائع وبدنٍ عارٍ .

وقال : العارف همُّه ما يأمله . والزاهد همُّه ما يأكله .

وقال : طوبى لمن كان همه همّاً واحداً ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه .

وقال : من عرف الله فإنه يزهد في كل شيء يشغله .

وسئل عن السُّنَّة والفريضة فقال : السُّنَّة تركُ الدنيا ، والفريضة الصحبة مع المولى ، لأن السُّنَّة كلها تدل على ترك الدنيا ، والكتاب كله يدل على صحبة المولى . فمن تعلّم السُّنَّة والفريضة فقد كمل .

وقال : النعمة أزلية يجب أن يكون لها شكرٌ أزليٌّ .

---

(١) فوقها تصحيحاً : ير (زق) .

(٢) في النص تحتها : منعهم .